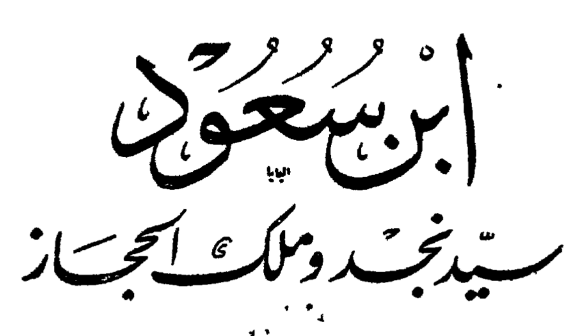
ابن سعود



المكتبة الأهلية
في بيروت
للطبع والترجمة والتأليف والنشر

مطبوعات المكتبة الأهلية

المكتبة الاهلية



تأليف

الرحالة الانجليزي الشهير

كنث ولمز

وتعريب

كامل صموئيل مسيحه

المحرر بجريدة « صوت الاحرار » البيروتية

المطبعة الادبية — بيروت

١٣٥٢ هـ — ١٩٣٤ م

عني بنشره وطبعه — محمد جمال
صاحب المكتبة الاهلية — في بيروت

كلمة المؤلف

« ليس في ميسور احد من المؤلفين ، الذين يعنون بالكتابة عن بلاد العرب الوهابية ، الا ان يعترف بفضل (جون فلبي) و (امين الريحاني)

وانه ليسرني ان اقر باني مدين لهما ، كما ان الغرب مدين ايضاً بالمعلومات التي يعرفها عن ابن سعود ، وعن السجايا التي يتحلى بها هذا الرجل العظيم — الى هذين الرحالتين الشهيرين

واني مدين ايضاً لصاحب السعادة وزير ابن سعود المفوض في لندن الشيخ حافظ وهبه

واقول من الآن اني وحدي المسؤول عن كل ما جاء في هذا الكتاب »

الملوك والامراء والعظماء وغيرهم

الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب

النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)	
الملك عبد العزيز بن سعود	نجد — والحجاز
الملك حسين بن علي	الحجاز
الملك علي بن الحسين	الحجاز
الملك فيصل بن الحسين	العراق
السلطان عبد الحميد	تركيا
الملك جورج الخامس	انكلترا
الملكة ولهلمينا	هولندا
رئيس الجمهورية الفرنسوية	فرنسا
الغازي مصطفى كمال باشا	تركيا
الخديو محمد علي باشا	مصر
الخديو ابراهيم باشا	مصر
الخديو عباس حلمي باشا	مصر
الامير عبد العزيز بن سعود	نجد
الامير عبدالله بن الحسين	شرق الاردن
الامير عبد الرحمن بن سعود	نجد
الامير فيصل بن سعود	نجد
الامير زيد بن الحسين	الحجاز
الامير تركي بن سعود	نجد
الامير محمد بن سعود	نجد

الامير عبد الكريم	المغرب
الامير محمود بن سعود	نجد
الامير عبدالله بن سعود	〃
الامير ابن الرشيد	الصحراء
الامير نوري الشعلان	〃
الامير سعود بن عبد العزيز	نجد
الإمير فيصل بن تركي	〃
الامير عبدالله بن الرشيد	الصحراء
الامير محمد بن الرشيد	〃
الامير سعود بن الرشيد	〃
الامير عبدالله بن الجلوي	نجد
الامير عبدالله بن مثاب	الصحراء
الامير عبدالله بن فيصل	نجد
الامير سعود بن فيصل	〃
الامير عبد الرحمن بن فيصل	〃
الامير محمد بن طلال	الصحراء
الامير طوسون	مصر
الامام يحيى	اليمن
السيد الادريسي	اليمن
الشيخ مبارك الصباح	الكويت
الشيخ جابر الصباح	〃
الشيخ سالم الصباح	〃
الشيخ احمد الجابر الصباح	〃
نسريف غ ب	حجاز

الشيخ محمد بن عبد الوهاب	نجد
الشيخ عجلان	شمر
الشيخ عبدالله النفيسي	نجد
مدحت باشا	تركيا
احمد الجوزي باشا	«
فخري باشا	«
نوري باشا السعيد	العراق
الامام احمد بن تيمية	سورية
خالد بن لؤي	نجد
حافظ وهبه	مصر
احمد بن ثنيان	نجد
فؤاد بك حمزه	سورية
الدكتور عبدالله الدملوجي	العراق
الدكتور ناجي الاصيل	الحجاز
فيصل الدويش	نجد
سلطان بن بجا	«
ابن لامي	«
ابن مساعد	«
سالم بن سبحان	«
حسين بن جراد	الصحراء
ابن رفاده	سورية
فهد بن جلوي	نجد
نايف بن حثلين	«
دهدان بن حثلين	«

ابن حميد — نجد
بندر بن فيصل الدويش — 〃
فرحان بن مشهور — سورية
امين الريحاني — 〃
جورج انطونيوس — فلسطين
اللورد بلهافن — انكلترا
اللورد كيرزون — 〃
السير برسي كوكس — 〃
السير جلبرت كلايتون — 〃
السير فرنسيس همفريز — 〃
السير ريجنلد ديجيت — 〃
السير ارلوند ولسون — 〃
السير توماس ارلوند — 〃
الكونت كابنست — روسيا
مستر باشا — المانيا
الكولونيل ديكسون — انكلترا
الكولونيل هملتون — 〃
الكولونيل كتليف اون — 〃
الكولونيل لورانس — 〃
الكولونيل يسكو — 〃
الكولونيل نويل — 〃
الكولونيل توكس — 〃
الكابتن شكسبير — 〃
الكابتن يمان — 〃

المستر عوردان ,	انكلترا
المستر جون فلي	«
المستر ستنبغون	«
المستر ماكدونيل	«
المستر توتشل	اميركا
المستر كراين	«

تمهيد

جاء في خطاب القاه الملك عبد العزيز بن سعود في موتمر الرياض الكبير الذي عقد في سنة ١٩٢٨ لمعالجة شوون العشائر هذه العبارة الجامعة : « لقد أسست هذه المملكة دون معين؟ . . . وكان الله القدير وحده معيني وسندي ، وهو الذي انجح اعمالي ! . . . »

اجل ، لقد حافظ ابن سعود على مكانته الرفيعة التي بلغها بثباته وصلابة ارادته وكرمه وسخائه . . .

ابن سعود ملك عرف كيف ينتفع بالاختراعات الحديثة في صيانة مملكته الواسعة

ابن سعود رجل عرف انه لا يكفي في الملك العربي ان يجري دم النبل في عروقه ، كي يكون ملكاً مطاعاً ، وانما ينبغي ان يكون محبوباً من الشعب مهاباً . .

واذا كان بعبقريته قدر بمعجزة على توحيد القبائل في اواسط بلاد العرب، المشهورة بتنافسها وتخاذلها ، واذا كان طموحه النادر، وفهمه نفسية البدو ، ووقوفه على عاداتهم ، هي التي ربطت الاقطار العربية المتاخمة لخليج فارس ، والمتاخمة للبحر الاحمر ، فان عقيدته الوهابية هي التي استفزته ودفعت به للاغراق في طلب المجد ، وهي التي حفزت روحه الطموح للعلى . . . التي خلقت للخلود

. . .

١

ابن سعود رجل طويل القامة ، يدل مظهره على مهابة وقوة ، طوله ستة اقدام واربع بوصات، متناسب الاعضاء ، قوي العضلات، يبز السواد الاكبر من رعيته في متانته ، وصلابته وحيويته ونشاطه

وجهه طويل .. بيضاوي .. جميل ، يسهل عليك ان تقرأ فيه سلامة نيته ، وصراحته

بسيط الى اقصى حد في ثيابه وطعامه، ينفر من الابهة والفخفخة، ولا يهتم بزخارف الحياة ومباهجها ، وانما يعني بالحقائق ... عارية .. مجردة .. لا اثر للزركشة فيها .. ولا المبالغة .. ولا التزويق

قام علماء نجد والحجاز سنة ١٩٣١ يعترضون بان حفلة التتويج التي تقام لجلالته ، بمناسبة اعتلائه عرش « الحجاز — نجد » في الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ بدعة لا مبرر لها ... وعادة اوربية اكثر منها اسلامية او عربية ، فرحب جلالة الملك المتواضع بهؤلاء العلماء ، وسمع اعتراضهم واعترف بوجاهته ؛ ولما كان هذا الاعتراض لا يتعلق بدولته ، بل بشخصه وحده ، فقد أمر بالغاء هذا الاحتفال السنوي

هو في الواقع شديد الطموح ، ولكنه في الوقت عينه يغالي

الى اقصى حد في تواضعه ، هو رجل ورع ، تقي ، يرى المباهاة بالنفس اثماً والكبرياء خطيئة

حدثني الشيخ حافظ وهبه وزير جلالته المفوض في لندن قال :

ينهض جلالته قبيل الفجر و بعد تلاوة سور من القرآن الكريم — القرآن الكريم الذي يعد حجر الزاوية في حياة جلالته كلها — يذهب الى المسجد على صوت المؤذن

و بعد ان يؤدي فريضة الصلاة ويبتهل الى العزة الالهية في المسجد ، يعود الى بيته فيقضي شطراً من وقته في تلاوة بعض السور والاحاديث النبوية ، ثم ينظر في شؤون الدولة المستعجلة ، ويعمد الى الراحة مدة قصيرة ، ثم ينهض للاستحمام ... ويرتدي ثيابه ، ويتناول طعام الصباح ، ثم يحضر اجتماع مجلس الدولة الخاص ، فيعالج مع رجاله الشؤون المهمة

وتجري بين جلالة ابن سعود ، وزعماء القبائل العربية احاديث خاصة ، فيستمع لشكاويهم وظلاماتهم ، ويمدهم بنصائحه الغالية ، وآرائه الثمينة الحكيمة

و بعدئذ يعقد المجلس العام الذي لا يمنع عن حضوره اي بدوي . اجل يستطيع اي فرد من رعيته ان يحادثه محادثة الند للند ، ويناقشه مناقشة الصديق للصديق ... هذه الديمقراطية في اوسع معانيها هي التي تميز الحكم الشرقي العربي البدوي ، عن الحكم الغربي الاتوقراطي

اجل ، يتطلع البدوي الى وجه مليكه ، ويخاطبه باللهجة البدوية الصريحة :

يا عبد العزيز !

وبعد الغداء يصلي صلاة الظهر ، ثم يجتمع باعضاء مجلسه الخاص ، ويصلي صلاة العصر ، ثم ينصرف الى اهله وحريمه .

وقبل ان يعود الى فراشه لينام ، بعد الجهود العنيفة التي بذلها ، يطلب من احد العلماء ان يقرأ له بعض فصول من الكتب الاسلامية الدينية المقدسة

وتغلب على هذا الرجل المصلح العظيم احياناً ، سورة من الحزن والكآبة ، ولكنه سرعان ما يطرد هذه السحب السوداء ، فلا تطول عبوسته وكآبته

ولم يفقد حتى الان اللذة التي يشعر بها الشبان عندما يخرجون للنزهة ، وهو شديد الولع بالرياضة على انواعها ، وليس ألذ عنده من تنظيم المسابقات الرياضية ، في ركوب الخيل والصيد ، هذه المسابقات التي يشترك جلالته فيها ، ويحاول ان يبز افراد رعيته في الحيوية والنشاط ، ومظاهر الشباب

ويكبر ابن سعود لا بجد ، واننا نؤكد انه بعد وفاته [illegible]
[illegible] خيراً في خزائنه [illegible] منه [illegible]

خائباً ، و «دار الضيافة» في «الرياض» تكرّم الرجل الغريب في اي وقت حل ، فتقدم له ما يحتاج اليه من طعام ومأوى وعطايا ابن سعود غير منقطعة وهداياه متواصلة ..

والواقع انه كان من الضروري ان ينفق عن سعة ، فقد كانت تعاني بلاده شدة وضيقاً ، كما تعاني بقية اقطار العالم

. وبلاد العرب مشهورة بانها «موطن الخطابة» . ومواهب ابن سعود الخطابية عظيمة ، بل هي من العوامل التي تساعده على الاحتفاظ بعرشه

اجل ، ان ابن سعود يظهر مقدرة عجيبة في احاديثه العامة منها والخاصة . وهو اذا تكلم تدفق كالسيل . يحب التحليل ورد الشيء الى اصله ، شديد الولع بتشريح المواضيع تشريحاً يدل على ذكاء ، وفطنة ، ولباقة ، وكثيراً ما يقسم الموضوع الى اقسام فيقول اولاً ، ثانياً ، ثالثاً . يخاطب البدوي بلهجة البدوي ، ويخاطب الحضري بلهجة الحضري ، ولا يهبط عليه الاجنبي حتى يخرج مفتوناً بحديثه مأخوذاً برقته

وليس احب الى ابن سعود من الجلوس في آخر النهار ، بعد اعماله المرهقة المضنية ، وحوله جماعة من المقربين من انصاره ، يسامرهم في شؤون الحياة ، ويحادثهم حديثاً يبعث فيهم الحمية والنشاط ويدخل الامل الى قلوبهم ، وهو عندما يتحدث يتبسط في الحديث ،

ويكثر من النكات ، التي تدل عَلَى حدة ذكاء ، وسرعة بديهة .

وابن سعود شديد الايمان بالله ، وتدفعه هذه الثقة غير المحدودة كما قلنا الى الابتعاد عن الكآبة والغم ، بينما بعض « الاخوان » من رعايا نجد لا ترى العبوسة تفارق وجوههم

وابن سعود يتلذذ بسماع رنين الضحكات ، ولا يمل من القصص السارة المبهجة ..

وقد رزق اكثر من عشرين ولداً .. وهو سعيد في حياته الزوجية ، وزوجاته يغمرنه بعطفهنّ وحبهنّ

وفي بلاد العرب يهتمون بالزواج الباكر ، ولا يستسلمون للعشق ، الا عندما لا يتاح لهم الزواج

ومن مزايا الملك ابن سعود الجميلة شدة محبته لاقربائه ... سواء اكانوا من الاحياء او الاموات .. وكثيراً ما يذرف ابن سعود الدموع السخينة ، عندما يتذكر الاعزاء الذين واراهم التراب ويزور احياناً مقبرة الاسرة — في ايام الجمعة — فيذرف الدموع غزيرة على افراد البيت الكريم الذين اصبحوا في ذمة الله

ومن النادر ان تجد رجلاً تجمعت فيه المزايا التي تجمعت في ابن سعود فهو :

جندي موفق ظافر

ومصلح مبدع مبتكر

وتقي ورع صالح

وانساني لطيف مهذب

وجواد سخي سمح

وراسخ وطيد متين

وذكي حاذق لبيب

وشجاع جريء مقتحم

... وفوق هذا كله نبيل في تواضعه ، نبيل في احتشامه !

اجل ، لا تجد بين ملوك العالم كلهم ملكاً يتحدث اليه رعاياه، بمثل الحرية المطلقة التي يتمتع بها رعايا المملكة السعودية ، ولا تجد بين ملوك العالم كلهم ، ملكاً له في نفوس رعاياه الاحترام الذي له ، هم يظهرون لمليكهم اخلاصاً غير محدود ، وولاء يقرب من التقديس، وولعاً هو الهيام بعينه ، والعشق بذاته ! بل ان شخصية ابن سعود الفذة العظيمة ، الجافة ، الصارمة ، قد فتنت الخياليين (ايديالست) في امم الشرق والغرب !

اما عيوبه ، اذا كانت ثمة عيوب ، فهي نتيجة بيئته ، ووليدة الوراثة ، ولو قام مليك غيره اقل صرامة وشدة ، او اوسع علماً ومعرفة ، لما وجد له مكاناً في تلك الانحاء ، التي لا تدين بغير دين القوة ، وعلى هذا فابن سعود اعظم رجل يستطيع ان يحكم تلك البلاد ويسودها

ويكفيه فخراً ان رجاله يعدونه «مليكاً» ؟ نعم ، حسبه فخراً انه حضّر البدو الرحل ، الذين ما كانوا يعرفون غير التجوال والطواف ، وحبب اليهم الزراعة وحرث الاراضي ٠٠ بعد ان كانوا من الجوابة ٠٠ الرحالة الذين لا يخضعون لنظام ولا قانون ؟

وقد صرح انه كان يقصد من وراء ذلك ، ان يمنع نتائج الغزو التي تدعو لانحلال العرب وتجزئتهم ، كما انه كان يرمي الى تكوين جيش دائم

وقد تنبأ كثير من الكتاب ، في فاتحة الحكم الوهابي ، بفشل فكرة القضاء على الغزو ، والواقع ان ابن سعود يلاقي مصاعب جمة في حمل « الاخوان » على الاستقرار ، وتنفيرهم من معيشة الغزو ، وقد نشل الى حد بعيد لسببين :

الاول : ان مياه نجد كانت وستظل غير كافية لارواء مساحة كبيرة من الاراضي الصالحة للزراعة

الثاني : ان الغزو قد تغلغل في طبيعة البدوي ، فاصبح من المستحيل عليه ان يبدل هذه العادة التي تمكنت فيه ، بحيث اصبحت جزءاً من طبيعته وشطراً من كيانه

وابن سعود يقدر اكثر من غيره انه بعد ان يوفق في تحضير البدو ، وترغيبهم في الزراعة ، وحرث الارض ، ينبغي له ان ينشر التعليم بين الاخوان وهو ما يفعله الان

والواقع ان سكان نجد والحجاز يقبلون على التعليم بمحض ارادتهم ، والعرب جميعاً سواء منهم الساكنون في شبه الجزيرة ، او في فلسطين والعراق وسورية يظهرون شغفاً عظيماً بالعلوم ، ويساعدهم ذكاؤهم على سرعة التعلم ، ولكن العلة الاساسية في عدم نشر العلوم في بلاد العرب الوهابية ، انما هو افتقار ابن سعود الى المال ، وللاكفياء المدرسين

اما التعليم الديني ، فهو موجود بالطبع منذ زمن بعيد ، ولكن التعليم الحديث شيء جديد في نجد ، وبالرغم من هذا فابن سعود وهو رجل غير متعلم تعليماً عصرياً ، استطاع ان يضع برنامجاً علمياً شاملاً في سنة ١٩٢٦ واختار الشيخ حافظ وهبه ليكون اول وزير للمعارف ، وهو الان وزيره المفوض في لندن ، كما ان ابن سعود يأتي بالاساتذة من سورية ومصر ، ويرسل البعثات العلمية من الطلبة الحجازيين والنجديين الى الخارج ، وقد بذل جهوداً طيبة في تحسين الحالة الصحية في نجد ، واخذ بفن الطب الحديث

وقد عالج طبيب اميركي عين جلالته اليسرى التي اصيبت بالدمع ، ومع هذا فالفضل الاكبر في رقي الحالة الصحية في المملكة السعودية ، يرجع الى ابن سعود نفسه ، فهو الذي ادخل التلقيح ضد الجدري ، كما شجع الاهلين على اتخاذ الاحتياطات الصحية والاساليب الحديثة للوقاية من الامراض واسس المستشفيات النقالة ، وفتح الصيدليات ، والمستوصفات

وان الخدمات التي قام بها ابن سعود لنجد ، لا تقل عن الخدمات التي قام بها للحجاز . اجل ، لقد عني بصحة الحجاج اقصى عناية ، وكان لاهتمامه بتحسين مياه الشرب ، والشؤون الصحية ، والمستشفيات ، وما الى ذلك مما تراه اليوم في المدن الحجازية كمكة ، وجده ، اكبر الاثر في تخفيض عدد الوفيات بين الحجاج

وقد لا يمضي زمن طويل حتى ترى الحكومات الغربية ان لا ضرورة لابقاء المحاجر في الطور ، وكرامان ، على الطرفين الشمالي والجنوبي من البحر الاحمر ، والذي يحدو بنا الى هذا الظن ما بدا حتى الان من التقدم العجيب المستمر ، في تحسين حالة الحجاج منذ قامت الحركة الوهابية

وتظهر الاحكام السعودية قاسية ، كقطع يد السارق مثلاً ، ولكن هل يدري القارئ انه منذ قرن كانوا يشنقون الرجل في انكلترا اذا سرق خروفاً

ولا ينبغي ان يغيب عن اذهاننا ان قسماً كبيراً من رعايا ابن سعود لا يزالون يعيشون على الفطرة ، بعيدين كثيراً عن حالة العمران ، بل ان القبائل التي تقيم في الجانب الجنوبي من الصحراء المشهور باسم «الربع الخالي» والذي كان اول اوروبي وصل اليه هو المستر «برترام توماس» في سنة ١٩٣١ ثم توغل فيه المستر « جون فيلبي » في سنة ١٩٣٢ لا يفرقون كثيراً عن المتوحشين ، فاذا استعمل ابن

سعود الرحمة معهم، فلا شك انهم يسيئون فهمها ولا يقدرون قيمتها، ولهذا لا يفيدهم الا الحاكم الجبار ، الذي يحكمهم بيد من حديد

وابن سعود شخصياً لا يحب القسوة، وهو ليس بالرجل الخشن القاسي في احكامه، بل هو احياناً يظهر اللين في غير موضعه ، ولكنه لا يرحم احداً اذا خالف الشريعة الاسلامية المقدسة ، او حاول الاخلال بالنظام ، وكل نظام ديمقراطي سابق لاوانه قبل ان يتمكن من اخضاع امبراطوريته الشاسعة لارادته ، وقبل ان يكون في وسع الانسان ان يسير مطمئناً بمفرده ، دون ان يعترضه اللصوص وقطاع الطرق ، الذين كانوا فيما مضى لا يعرفون غير قطع رقاب المسافرين وسلبهم

٢

اشتهرت عائلة « ابن سعود » التي نشأت في نجد في منتصف القرن الثامن عشر عندما اعتنقت آراء رجل الاصلاح محمد بن عبد الوهاب ، الذي يعد من المسلمين المستنيرين ، والذي بعد ان تلقى علومه في الخارج ، عاد الى اواسط بلاد العرب لينشر الدعوة الوهابية ، ولكن قام في وجهه بعض القواد المصريين امثال محمد علي ، وابراهيم باشا ، وقضوا على الحركة الوهابية ، في الشطر الاول من القرن التاسع عشر ، ولكن على الرغم من اقتصار نشر الدعوة على نجد القاحلة فان اسرة ابن سعود قد وقفت في المحافظة على هذه الشعلة ، ولم تدعها تخبو او تنطفيء

وخربت الجيوش المصرية العاصمة الاصلية

ولكن سرعان ما تأسست عاصمة جديدة في « الرياض »

ومن النادر ان تبقى بلاد العرب دون زعيم قوي من اصحاب الطموح والمقدرة وذلك للمشاكل الكثيرة التي تتولد عن اطلاق الحدود داخل شبه الجزيرة فضروري وجود الزعيم الذي ينظم المراعي ويفض للمشاكل الناتجة عن شح المياه

ولهذا فانه عَلَى الرغم من وجود ازمنة في تاريخ العرب سادت

فيها الفوضى ، والركود ، لم تعدم البلاد العربية من ينعش الحياة فيها ويبعث النشاط في نفوس اهلها

وكان بيت الرشيد في القرن التاسع عشر هو الذي يحكم صحراء حائل الشمالية ويتحكم افراده في قبيلة شمر

واسرة «الرشيد» هذه قد خلدت اسمها في تاريخ العرب ولكنها كانت ذات اهمية محلية فقط اذ قبلت ان تكون خاضعة للحكومة العثمانية وان كانت قد لعبت دوراً هاماً في الحرب العالمية عندما اعلنت الجهاد الى جانب الاتراك

ففي سنة ١٨٨٥ استولى محمد بن الرشيد عَلَى الرياض عاصمة الامارة الوهابية ، ومع ان الوهابيين غضبوا لعجزهم عن رده فقد اذعنوا له طائعين ، واستسلموا صاغرين ، واصبح محمد بن الرشيد حاكمهم وسيدهم

ولكن الاسرة السعودية لم تنس هذا الذل ، ولم تصفح عن قاهريها ، فانه بعد سبع سنوات قام قسم من الوهابيين في وجه قبيلة شمر ، واعملوا فيها الذبح والتقتيل ، كما هي العادة في المنازعات الدموية ، التي تقوم بين البدو ، ولكنهم عادوا مدحورين مهزومين

وكان يبدو في ذلك الحين ان نجم السعوديين قد افل ، وان ابواب السماء قد اغلقت في وجوههم

اما كبير العائلة وعميدها عبد الرحمن ، فقد رأى الخطر الذي

يهدده ، وادرك ان الاعداء لا بد ان يثأروا منه ومن اسرته العاصية، ففر الى خليج فارس ، حيث لا تستطيع السلطات التركية الوصول اليه ، و بعد ان تجول مدة بلا مأوى ، مع اسرته ، التجأ اخيراً الى « الكويت » وتلاشت الامبراطورية الوهابية

حديث عن الكويت

اما الكويت هذه فمدينة صغيرة على الجانب الغربي من الخليج الفارسي ، شيدت حديثاً ... ورقدت آمنة في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وكانت تتمتع بافضل نظام من الحكم وتجني ارباحاً كبيرة من المتاجرة باللآلىء ، وصنع القوارب والقلوع، وان كان الرحالة العادي يحسبها « لا شيء » وكان حاكمها الشيخ مبارك يغالي في اتوقراطيته ،وهو من الحكام الجبارين الذين يعتمدون على نفوذهم الشخصي ، وقد اغتصب عنوة الكويت ، وأقام نفسه حاكماً عليها في سنة ١٨٩٦ والاغتصاب في بلاد العرب اكثر انتشاراً من الوراثة السلمية ، والاساليب المشروعة التي لا تتطلب سفك دماء ، ومن ينل الشيء بالقوة في بلاد العرب، يقدره العرب اكثر ممن يلجأ الى الاساليب الشرعية الهادئة السلمية ..

ومهما يكن الامر فان الشيخ مبارك كان سياسياً شديد البأس . وكان الاتراك حكام بلاد العرب ، بالاسم ، لا يخفون اضطرابهم

من هذا الحاكم الجبار ، صاحب النفوذ والسلطان ، ولكن هذه النظرات الحادة لم تكن شيئاً بجانب حملقات الاوروبيين ... الاستعماريين الذين كانوا يرقبون باهتمام كل ما يجري في الكويت؛ وان كانت بعيدة عنهم آلاف الاميال !

اجل ، كانت المانيا في ذلك الحين تحلم بمد السكة الحديدية من « استمبول » الى « خليج فارس » مارة بالاناضول والعراق

وكان المهندسون والساسة الالمان يرون ان ينتهي الخط الحديدي في الكويت ، كما ان الروس كانوا يريدون ان يجعلوا الكويت محطة من محطات الفحم

وحاول الكونت كابنست الروسي الحصول عَلَى امتياز من الباب العالي لمد السكك الحديدية من البحر الابيض المتوسط الى الخليج الفارسي

وكانت هذه المشاريع غير خافية على انكلترا التي استولت على الهند

وقد سبق للشيخ مبارك ان طلب من الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٩٧ ان تتدخل لحمايته من الاتراك الذين يطمعون في ضم املاكه اليهم ، ولكن طلبه يومئذ لم يلق آذاناً صاغية ، الا انه بعد مرور سنة واحدة رأت بريطانيا العظمى ان من الحكمة ان تتفاهم مع شيخ الكويت ، فعقدت معه معاهدة خيبت امال الاوروبيين

والاتراك ، واحبطت مشاريعهم التي كانوا ينوون تنفيذها ، تلك المشاريع التي كانت تدور حول التهام الكويت واستغلالها، وهكذا اصبحت بريطانيا العظمى هي الدولة الاجنبية الوحيدة القادرة على استثمار الكويت

وفي الوقت عينه كان الشاب العربي المنفي عبدالعزيز بن سعود يدبر هو الآخر خططه

واذا كانت «الكويت» في نظر الاوروبيين هدفاً ، فانها كانت في نظر عبد العزيز « وسيلة »

وكان قد قضى السنوات العشر الاولى من حياته كخلف لاسرة قوية ، صلاتها طيبة ببيت الرشيد ، واما السنوات العشر التالية فقضاها مشرداً على شواطىء البحر تارة ، وبين بني مرة تارة اخرى ، هذه القبيلة التي كانت تتجول في جنوب الحساء وفي تخوم الصحراء الشاسعة المعروفة بالربع الخالي

وربما كان سكان هذه القبيلة اقرب الى الفطرة من سائر البدو، وقد انتفع ابن سعود من تحكيم صلاته بها ، وكان في ذلك الحين حساساً الى درجة بعيدة ، ومن السهل أن يؤثر عليه

اما هذا المنفي الملكي فلم يترك شهراً يمر دون أن يزيد من قوة عزمه على استرداد العرش واستعادة مجد البيت السعودي

وكان يقول :

«سأسترد الرياض ان شاء الله! سأعيد مجد البيت السعودي!»

وكان والده عبد الرحمن يتطلع اليه مأخوذاً بجرأته، مفتوناً بشجاعته، كان يتطلع اليه فيجد شاباً، بهي الطلعة، طويل القامة، خفيف الحركة، عريض الكتفين، متناسق الاعضاء، خفيف العارضين —وافراد عائلة سعود لا يتمتعون باللحى الكثيفة الشعر— تبدو عليه دلائل الذكاء، فيبتسم في وجهه ويقول بصوت ناعم حلو:

«ان شاء الله! .. ان شاء الله! ..»

ولكن كيف؟... كيف يمكن لعبد العزيز المنفي في الكويت، عبد العزيز الذي لا يجد معه في المنفى غير والده وبعض اقاربه، وثلة من الانصار تحقيق امنيته؟ لا احد يدري، بل ان عبد العزيز ذاته كان لا يدري!

اما شيخ الكويت فكان على تمام الاستعداد لان يضرب الاسرة الرشيدية الضربة القاضية، وعلى الاخص بعد ان توفي كبيرها محمد ابن الرشيد سنة ١٨٩٧ وهو الذي كان قد استولى على الرياض وحكم جبل شمر في سنة ١٨٨٥

ودرس عبد العزيز في عناية قصوى فن الادارة على يد حاكم الكويت، هذه الدروس التي عرف كيف ينتفع بها عند مخاطبته لممثلي الدول الاجنبية، وفي استرداد العرش المسلوب ...

اخذ عبد العزيز يفكر في القيام بحملة على الذين يحتلون حائل

والرياض، واخيراً رأى ان الساعة قد حانت، وكان قد بلغ نهاية العقد الثاني واصبح قائداً تحت امرته قوة من انصاره الوهابين وجنود الشيخ مبارك

وفي خريف سنة ١٩٠٠ تحرك ، وهو شديد الثقة بالله ، من الكويت لمقاتلة جيوش ابن الرشيد ، ولكن نيات الشيخ مبارك كانت قد افتضحت، وهذا ما حدا بالخصوم لان يتأهبوا لملاقاته ·

وفضلاً عن هذا كانت امنية مبارك الوحيدة اضعاف ابن الرشيد وشل قوته ، بينما كان غرض ابن سعود الاسمى استعادة الرياض ، وعلى ذلك انفصل عن رفيقه وترك القوة المختلطة، واتجه الى الجنوب الغربي نحو موطن اجداده

وقبل ان يتم له الفوز النهائي،وصلت اليه الانباء بان ابن الرشيد دحر قوات الشيخ مبارك في موقعة الصريف في شباط سنة ١٩٠١

اجل ، كان مبارك وعبد العزيز لا يعتمدان الا على الحظ ، ولكن الحظ قد خانهما فاضطرا للعودة الى الكويت !

اجل ،لقد اخطأ الشاب العربي في اعتزازه بقوته، فقد كان من الشاق ان يتغلب عَلَى الاعداء الذين اغتصبوا موطن اجداده ، واحتموا ببطن الصحراء

لقد كانت الحملة التي قام بها ابن سعود قبل الاوان ، سبباً في تعزيز مكانة ابن الرشيد ، ولم يكن قد بزغ نجم ابن سعود ؛ وان كان قد خيل للشاب عبد العزيز انه قد رأى النجم ساطعاً · ·

٣

كان انتصار آل الرشيد في معركة « الصريف » بداية صفحة جديدة في تاريخ ابن سعود ! .. ولم تكن القوة التي أتى عبدالعزيز بها الكويت تزيد على اربعين رجلاً

فماذا تستطيع هذه القوة الصغيرة ان تفعل ؟

واخذ خصوم ابن سعود يتساءلون :

ماذا يريد هذا الشاب الحدث ؟ انه لا يستطيع ان يفعل شيئاً ! وهذا ما كان يقوله ابن الرشيد وهو ما برح في عزه وبأسه، تغزو رجاله القبائل الموالية لمبارك وتعود منها بالغنائم والاسلاب

واذا كان ابن سعود في هجومه الاول قد فشل ، فقد صمم في حملته الثانية ان يستمر مجاهداً حتى يظفر او يقتل ! وقد طاف الصحاري الشرقية وجمع تحت لوائه شراذم من قبائل شتى ، ولكن سرعان ما تركته هذه الشراذم لانها لم تجد الغنائم التي تنتظرها ، والاسلاب التي نترقبها

وفي الواقع فان عبد العزيز عندما فكر في الهجوم لاسترجاع الرياض لم يكن يملك شيئاً من المال

اما حاكم الكويت ، الذي حمى عبد العزيز ووالده عبد الرحمن، فقد اشار على هذا الشاب المغامر بالعودة لئلا تتحطم فرقته الصغيرة،

وتتمزق بين يدي ابن الرشيد القوية الحديدية

ولما سمع ابن سعود هذه النصيحة لم يعمل بها ، لانه لم يكن من الرجال الذين تثبط عزائمهم ؛ كانت الحياة عزيزة في نظره ، ولكن الشرف كان اغلى من الحياة واثمن !

وبعد ان تجول مدة ، وهو لا يقصد في الظاهر جهة معينة ، استقر في كانون الاول ١٩٠١ بين واحات غبرين ، بالقرب من الربع الخالي والحسا ، وهناك نظم خطة الهجوم ، ولكنه ابقاها مكتومة في صدره

وكان المكان الذي نزله في صحراء نجد الجنوبية أبعد ما يكون عن الشبهة ، وكان الرشيديون يترقبون الهجوم من الجهة الشمالية الشرقية ، ولهذا كان في وسعه ان يهجم هجمته على عاصمة «الرياض» دون ان يجد من يصده ، وهكذا يأخذ خصومه على حين غرة

وظل في الايام الاولى من كانون الثاني سنة ١٩٠٢ يتجول في طريق « حسا — الرياض » بالقرب من موقع ابي جيفان ، ثم في منتصف هذا الشهر التاريخي اعلن خطته لاتباعه

وبعد ان ترك ٢٠ او ٣٠ من رجاله كامنين في ذرى الروابي القريبة من الرياض ، سار ببقية رجاله وقت الغسق قاصداً عاصمته السليبة ، اما الرجال الذين أبقاهم في مكمنهم فقد قال لهم :

«لا حول ولا قوة الا بالله ، اذا لم يصل اليكم رسول منا غداً ،

فاسرعوا بالنجاة ، واعلموا اننا قد استشهدنا في سبيل وطننا ! »

وما ان وصل الى حافة الواحة ، حتى قسم عبدالعزيز جماعته، فترك شقيقه محمداً وفي عهدته ٢٠ رجلاً ،وطلب اليهم الاختفاء بين ادغال النخيل، وان ينتظروا الرسول الذي يحمل اليهم خبر الفوز او الهزيمة؟.

وقبل ان يسدل الليل سدوله وصل ابن سعود مع رفقاءه العشرة الى الرياض ، فتسلق اسوارها التي لم تكن حصينة مستعيناً بجذع نخلة مقطوعة،و بعد ان تسلق عدة سقوف وصل مع جماعته الى دار الحاكم واخذ ابن سعود يقرع الباب بشدة، فقامت سيدة وفتحت الباب وسألت:

« من انت ؟ اذا كنت تطلب الحاكم فهو ينام الليلة في القلعة ، ولا يعود الا صباحاً » وحاولت ان تصرخ نخافت من هذا البدوي الذي لم تشاهده من قبل ، فامرها ابن سعود بالصمت ، واشار الى رجاله ان يدخلوا ، ثم جمع من وجد من النساء ونهاهنّ عن الصراخ، بعد ان هددهنّ بالقتل اذا أبين ان يخضعن لامره

اما اولئك النساء فعمدن الى الصمت مذعورات وقصد ابن سعود وجماعته المكان الذي ينام فيه عجلان حاكم شمر ، واحتلوه احتلالاً عسكرياً ، ولكنهم بدلاً من ان يناموا تلك الليلة بعد ان لاقوا عناء مرهقاً ، شربوا قهوة الحاكم واكلوا من تمر الحاكم ، ثم عكفوا على تلاوة القرآن الكريم

وبزغ الفجر وفتح الحراس ابواب القلعة الثقيلة وخرج الحاكم

مع حرسه يقصد داره ، عندئذ ترك ابن سعود ورجاله قصر الحاكم وانقضوا بغتة عَلَى حرس عجلان ، الذين تولاهم الذهول ، وفي هذا الحي المكشوف اخذت طلقات البنادق تفرقع والسيوف تبرق

وكانت حاشية ابن سعود تفوق حاشية عجلان عدداً ، ولكنها كانت دونها في المعدات الحربية والاسلحة ، وان كانت قد باغتت الحاكم وجماعته

وقامت معركة صغيرة قتل فيها الحاكم وبعض رجاله ، ولكن قبل ان يقضى عليه تمكن من ان يصرخ ·

« اسرعوا ، اغلقوا ابواب القلعة » فاسرع رجاله يريدون انفاذ امره ، ولكن عبدالله ابن عم عبد العزيز كان متوقعاً هذه النتيجة ، فمنع اغلاق الابواب بعد ان اظهر اول دليل على بطولته ومغامرته ، واول اثر خالد على اخلاصه وتفانيه في سبيل ابن سعود

وسار ابن سعود الى القلعة وحاصرها ، فاستسلم الرشيديون ، ومن اعلى هذه الاسوار نودي بابن سعود حاكماً على هذه العاصمة ، بعد ان غاب عنها في منفاه احد عشر عاماً ، فتلقى القوم هذا الخبر بمنتهى الدهشة والحبور

وانتشرت الاخبار في المدينة كلها كما تنتشر النار في الهشيم ، وانطلقت الالسنة بحمد الله تعالى ، فكنت لا تسمع الا قولهم الحمد لله ! الحمد لله ، اصبح حاكمنا عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن سعود ، الحمد لله ! ليعش عبدالعزيز ! ليعش عبدالعزيز

٤

كيف قامت الامارة الوهابية الاولى

قبل ان نأتي على تفاصيل الجهود التي بذلها جلالة الملك ابن سعود لتوطيد مملكته السعودية وتثبيت حكمه ينبغي ان نسرد بايجاز تاريخ الامارة الوهابية الاولى التي ختمت حياتها خاتمة شائنة على ايدي بيت الرشيد في سنة ١٨٨٥

وان الوقوف عَلَى اسرار هذه الامارة الوهابية الاولى ، وتفهم العوامل التي ساعدت عَلى نجاحها ، والخطيئات التي ارتكبتها فقضت عليها بالانحلال، من الامور الحيوية اذا كنا نريد تقدير المجهودات الموفقة التي قام بها ابن سعود تقديراً صحيحاً ، واذا كنا نحاول التكهن عن عمر مملكته السعودية الوهابية

ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١٦٩١ في «العيناء» الواقعة شمالي « الرياض » في اقليم « العريض » من نجد

وهذا الشاب العربي ، وان نشأ في الصحراء كان طموحاً ، فدفعه الطموح لدراسة القوانين في كثير من الاقطار الشرقية ، وزار الشام وبغداد ، واخيراً انتهى به المطاف الى مكة المكرمة . وقد راعه التهاون في الدين الذي لمسه في المدن الاسلامية ، فصمم

على العودة الى وطنه الاصلي ليبشر بالعقائد الاسلامية مجردة عن كل تزويق وبهرجة

عاد الى الدرعية في سنة ١٧٣٦ فبدأ يفضح العيوب التي رآها في الشرق ، من مقتبسات الغرب ، كما انه حمل حملة شعواء على الخرافات التي كانت رائجة في نجد فقابل الاهلون تبشير هذا المصلح بغير اكتراث

ومن الجلي ان الوازع الادبي لم يكن كافياً لانجاح الرسالة التي يقوم بها محمد بن عبد الوهاب، وانه كان لا بد له من الالتجاء الى احدى الامارات العربية القوية

ولحسن حظ محمد بن عبدالوهاب انه التجأ الى عائلة ابن سعود

وفي سنة ١٧٤٢ اهتدى محمد بن سعود — من قبيلة عنزة ، هذه القبيلة التي يفخر ابن سعود بانتسابه اليها ، والتي تعد من القبائل العربية القوية — واعتنق الوهابية وتزوج هذا الامير العربي ابنة عبد الوهاب، فامتزجت القوتان الروحية والزمنية ، ولم يكن للقوة الواحدة ان تنجح دون الاعتماد على الثانية

وكان السر في زوال الامارة الوهابية الاولى يعزى لافتقار السعوديين الى المقدرة على معالجة شؤون البلاد الاقتصادية

ومع ان العرب لم يتقبلوا في بادىء الامر رسالة محمد بن عبد الوهاب بقبول حسن ، فان الاتراك هم الذين كانوا ينقمون على

عبد الوهاب اكثر من غيرهم ، نعم ٠٠٠، الاتراك الذين كانوا يحكمون بلاد العرب، اسمياً، وكانوا في الواقع حماة الحرمين الشريفين مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ٠ وربما لم يحملوا انفسهم عبء فهم عقائد هذا المصلح، وعلى كل فقد وجدوا فيها تهديداً لنظمهم المريحة، وفقداناً لحياتهم الناعمة المرفهة، ولهذا بذلوا كل ما في وسعهم لاهلاك محمد بن عبدالوهاب وقمع انصاره الداعين الى تعاليمه ، وحجتهم انه يحاول فرض رأي جديد معارض للاسلام

حاول الاتراك الحط من قدر المتعصبين لهذا المذهب الوهابي، ولقبوهم يومئذ بالوهابيين تحقيراً وتعييراً

بلى ، اخطأ الاتراك في احتقارهم كل هذا «الاحتقار» لعبد الوهاب ولكنهم حصدوا ما زرعوه ، بغضاً ومقتاً ، للحكم العثماني ، ولم تلد اساليب القمع الشديدة ، والاضطهاد المر ، غير النقمة على الاتراك، فترنم الوهابيون ان من واجبهم تقتيل اكبر عدد من الاتراك باعتبار انهم من المسلمين الضالين ؟ ٠٠٠

بدأ الجهاد وقامت الحرب المقدسة بين النجديين ؟

ونشطت الحركة في سنة ١٧٧٠ حتى ان شريف مكة احمد ابن سعيد طلب من جماعة العلماء فحص العقائد الوهابية والبت في المواضيع الثلاثة الآتية :

١ — هل الوهابية بدعة وضلال ؟

...

٢ — هل يستباح هدم الشواهد التي تعتلي الاضرحة ؟
٣ — هل يمكن للاولياء ان يشفعوا للبشر ويتوسطوا بينهم وبين الله ؟

وعقد العلماء موءتمراً في مكة وافتوا عدة فتاوى في صحة الوهابية

وفي سنة ١٨١٥ امر محمد علي بعقد موءتمر جديد من العلماء ، وبعد النقاش الطويل اتخذ الموءتمر قراراً كان في الواقع صدمة هائلة للحكومة العثمانية ، فقد اكد العلماء ان المذهب الوهابي لا يناقض التعاليم الاسلامية الصحيحة ، بل ذهبوا الى ابعد من هذا، فاكدوا ان هذه العقائد الوهابية لو شرحت شرحاً صحيحاً لكان خصومها اول الموءمنين بها ، ولانقلبوا وهابيين متحمسين للوهابية !

وقرار العلماء هذا لا غبار عليه اليوم ، كما كان لا غبار عليه بالامس ، فليست الوهابية بدعة ، وانما هي حركة زهد وتقشف ، تحض على النسك والزهد ، والانتعاش الروحي ، وما احوجنا اليوم للانتعاش الروحي ..

وفضلاً عن هذا فيمكن ان نعد الوهابيين من صميم المسلمين السنيين ، الحنبليين . ولكن الاتراك قد تغاضوا عن قرار هوءلاء الشيوخ الاجلاء ، ولم يكن من المنتظر منهم ان يوءيدوا حركة في نجاحها قضاء على عادات كثيرة ، ولهذا ظلوا يناصبونهم العداء ، فنعاظم حماس محمد بن عبد الوهاب وكان من المسالمين،واشتد سخط

محمد بن سعود وهو الذي القى بالوقود للنيران لتزداد اضطراماً

ولما توفي محمد بن عبد الوهاب في الدرعية في سنة ١٧٨٧ كانت الحركة الوهابية التي نشأت ضعيفة — لان الشيخ محمد بن سعود لم يكن اقوى شيوخ نجد — قد امتدت شرقاً فجنوباً فشمالاً فغرباً!

وخلف عبد العزيز اباه في سنة ١٧٦٥ فتمكن تدريجاً من ضم قبائل نجد تحت العلم الوهابي، وما ان تم له ذلك حتى ارسل الرسل الوهابيين الى كل مكان . واخيراً بعد ان تعاظم نجاحه في بلاد العرب الشرقية، ولى وجهه شطر الحجاز، البلاد الاسلامية المقدسة، والتي لا تفصلها عن نجد اية حدود طبيعية فلاقى مقاومة عنيفة

وفي اقل من المدة التي يستغرقها اللاسلكي في نقل الاخبار، كانت بلاد العرب كلها قد علمت ان ابن سعود قد استرد الرياض، ونادى بنفسه حاكماً عليها

اجل استطاع ان ينجح بالدهاء والمكر، نجاحاً لم يكن بميسوره ان يتوصل اليه، لو استعمل القوة

وان تلك الليلة التاريخية — الخامس عشر من كانون الثاني سنة ١٩٠٢ — لا يمكن ان تنسى ما دام في بلاد العرب شعراء يمجدون الشجاعة والبطولة

ورأى شريف مكة الاكبر «غالب» انه اذا كانت العقائد الوهابية ستسود بلاد العرب، فلا بد من تبديل في نظام الحكم

وادارة المدن المقدسة ، فاستاء من الدعاية التي يقوم بها عبد العزيز ، وكان من جراء استيائه نشوب الحرب سنة ١٧٩٢ بين الحجازيين والنجديين ؛ وبعد قتال طويل انتصر الوهابيون انتصاراً كان له صداه في العالم باسره ، فانزعج الاتراك انزعاجاً عظيماً وايقنوا انهم لم يقدروا قوة اواسط بلاد العرب قدرها ، وصمموا عَلَى اقتلاع الشجرة الوهابية من جذورها ومحوها من الوجود !

وفي سنة ١٧٩٧ حشدوا جيشاً كبيراً في البصرة ، وساروا الى الحسا فالقوا عليها الحصار ، فصدهم الوهابيون ، فاضطر الاتراك للتقهقر مخذولين ، ووجدوا ان خير طريق يمكن ان يسلكوه هو عقد الصلح مع الوهابيين ، لمدة ست سنوات ولكن انى للوهابيين الذين ثملوا بهذا النصر ولا تنس انهم قد تغلبوا على الجيوش النظامية — ان يحافظوا عَلَى شروط الصلح هذه ، فاحتشدوا حول البصرة دون ان تقف احد في سبيلهم ، وانضم اليهم بعض سكان الاقاليم الواقعة بين الخليج الفارسي وعمان ، في الطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة ، وقطعوا الطرق بين العراق والحجاز

وحاول الشريف الاكبر غالب صد الوهابيين فلم يوفق ، وخشي ان يقع في النكبة التي وقع الاتراك فيها ، فنسي عتوه وطلب التفاهم مع الوهابيين على الاقل لاستئناف الحج ، ومع هذا فقد ظل الوهابيون يسلبون وينهبون ، ويعملون في الرقاب تقتيلاً وذبحاً !

وعَلَى الاخص في الشيعيين العراقيين ؟ ...

وفي نيسان سنة ١٨٠١ نهب الوهابيون مدينة كربلاء ، وكانوا في هذه المرة تحت قيادة سعود بن عبد العزيز ، واعتدوا على قبر الحسين ؟ ولم يبقوا على احد من سكان كربلاء !.. وكانت حملتهم فظيعة لم يسبق لها مثيل ، غير حملة المغوليين الذين قضوا على نظم الري ، التي كانت تتمتع بها هذه الاراضي حين كانت خصيبة .

وبعد ان التهم الوهابيون الغنائم والاسلاب ، عادوا تاركين المنطقة الواقعة بين « كربلاء » و « البصره » خراباً !..

وثبت من جديد انه من العبث التفكير في عقد معاهدات مع الوهابيين بعد ان احتلوا ، دون انذار ، الحائل ، وهي من الموانيء الواقعة على البحر الاحمر تحت ادارة الشريف غالب ، وكان الاعتراض عديم الجدوى . اجل ، كان من الجلي ان الوهابيين لا يفكرون في غير الحرب ، وكانت الشروط التي عرضوها لا تفرضها الا الامبراطوريات الممعنة في استعمارها عَلَى الولايات الصغيرة المغلوب عَلَى امرها

اما اسم « سعود » فكان ممقوتاً في العالم الشيعي كله . وكيف لا يكون سعود بغيضاً ، وقد احتل مصيف المكيين الجميل ، مدينة الطائف التي تشبه الروضة الغناء ؟ وكيف لا يكون مكروهاً وقد اطلق جنوده لينهبوا ما شاءوا وليسلبوا ما ارادوا ؟!..

اجل ، وجد الشريف غالب نفسه في موقف دقيق ، عاجزاً عن الدفاع عن بلاده، وصد الهجمات الوهابية، فاستسلم الى الوهابيين الذين جاءوه يحاربون باسم الله ، وينهبون ما ينهبون وهم يلهجون باسم الله ! .. كأن الارادة الالهية هي التي دفعتهم للغزو والسلب! ..

وفي نيسان سنة ١٨٠٣ دخل سعود مكة ذاتها دون ان تسفك قطرة من الدماء ، فاخذ « يطهر » المدينة المقدسة ... اجل، كانت مكة المكرمة في نظر محمد بن عبدالوهاب مقراً للشعائر «الاثيمة»!. وكان الحجاج الذين يحجون الى مكة، في نظره، يشاهدون بعيونهم الى اي حد «تدنس» ديانتهم الطاهرة ، ويحط من شأنها ، وان العالم الاسلامي يجاري مكة ، فاذا «تطهرت» « تطهر » العالم الاسلامي !

بلى ، كان يريد من عباد الله ان لا يعبدوا غير الله ... فهدم القبور المقدسة، ومزق ستائر الكعبة المقدسة، وحرم المتاجرة بالاشياء المقدسة ، ومنع زيارة القبور التي اعتاد الحجاج زيارتها ، ولم يبق غير الاحتفال برجم الشيطان ، ولثم الحجر الاسود في الكعبة ..

وفي الرابع من تشرين الثاني سنة ١٨٠٣ حدثت حادثة تكشف بجلاء عن سخط العالم الاسلامي على الحكم الوهابي الارهابي ، ففي ذلك اليوم بينما كان عبد العزيز يصلي في جماعة من الاتقياء صلاة العصر، اندفع رجل من بين المصلين واغمد خنجره في قلب الامام ! وكان هذا القاتل شيعياً ايرانياً، اراد ان يثأر من زعيم الوهابيين الذين

قتلوا اطفاله منذ سنتين في كربلاء ! ، فدفعه حب الانتقام لان ينتظر طويلاً ، ويفكر طويلاً ، ثم تظاهر باعتناق المذهب الوهابي لتتاح له مثل هذه الفرصة التي انتهزها ، فقضى على حياة عبدالعزيز واطمأنت نفوس الشيعة ، ولكنه دفع الثمن فمات محروقاً ، ولقد احرقه الوهابيون حياً ! ..

لاقى الامير الثاني عبد العزيز ربه في الثانية والثمانين ، وكان قد خلف والده على الامارة في الرابعة والاربعين (١٧٦٥—١٨٠٣) وهنا يجمل بنا ان نذكر ان جلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، قد بلغ في سنة ١٩٣٣ الرابعة والخمسين ، ومن المنتظر ان يعمر عشرات من السنين ، وان النجاح الحربي الذي تم انما يعزى الى حمية ابنه عبد العزيز ، الذي يحكم اليوم على جزيرة العرب كلها ، اذا استثنينا اليمن ، هذه الامبراطورية الوهابية الواسعة التي خضعت له بحكم السيف ...

وفي ١٨٠٦ قام الوهابيون بغزو الاقطار الشمالية حتى حلب ، فاسرع السوريون في طلب الصلح ، ولكن انى للوهابي ان يرضى بالصلح ، بعد ان ثمل بالنصر وبعد ان فاضت عليه الغنائم فيضاً ... ولم ينقطع الوهابيون عن « غزو » القرى ، بين الحين والآخر فما جاءت سنة ١٨١٠ حتى كانوا قد سلبوا ٣٥ قرية من قرى حوران ، التي لا تبعد عن دمشق غير مسيرة يومين ! ..

اما الباشا حاكم الشام ، فقد هاله الامر ، فجرد حملة لم توفق الا قليلاً وشعر الاتراك حماة شرق الصحراء السورية وغربها ، بعجزهم امام هذه القبائل الجامحة ، والعشائر الممتلئة قوة ، وحيوية ! وتوغل البدو يغزون اي مكان ارادوه دون عائق ، فلم يجدوا وسيلة لدرء الغارة الوهابية ، الا من جهة الغرب ، وبقوة مصرية ؟

واطاع محمد علي ، الالباني العظيم ، الذي يعد بحق المؤسس الحقيقي للقومية المصرية ، اوامر الباب العالي ، ووافقه على رغبته في طرد الوهابيين وسحقهم ، ولكن الريبة عادت تتسرب الى الباب العالي في ولاء محمد علي له ، وخيل الى الدولة العثمانية ان هناك مؤامرة جهنمية ، دبرها عاهل مصر لدك نفوذها في ارض النيل دكاً

وكانت الدولة العثمانية تعاني الامرين

وفي سنة ١٨١١ جهز محمد علي جيشاً بقيادة ابنه طوسون بك ، مؤلفاً من الفي الباني ، وثمانماية تركي ، وهجم طوسون على «المدينة» فلم يستطع الاستيلاء عليها الا في نهاية سنة ١٨١٢ ثم سقطت مكة والطائف بعد زمن قصير ، وقد استطاع الامير الثالث سعود (١٨٠٣=١٨١٤) ان يصمد في وجه الجيش الفاتح ، وان يهزم قوة كان يقودها محمد علي بنفسه عند «ترَبة» الواقعة على الحدود النجدية الحجازية ، والتي اصبحت من الاماكن المشهورة في تاريخ بلاد العرب

وقد تم هذا النصر للوهابيين في سنة ١٨١٣ ولكن توفي الامير

سعود في السنة التالية ، فانحطت بموته قوى الوهابيين

واخذ محمد علي يجرب الخطة التي استعان بها الكولونيل لورنس فيما بعد، ولغرض آخر: وهي كسب القلوب بالمال، والبدو يتعطشون للذهب ، وليس من الهين صرفهم عنه ، ولكن الذهب لا يعطى في غير مقابل ...

اجل ، كان الذهب السبب الحقيقي لاندحار الوهابية اندحاراً هائلاً قرب الطائف ، فقد انقسمت القبائل على بعضها

وخلف عبدالله الامير الرابع والده سعود ، واصبح اميراً عَلَى نجد في ١٨١٤ ولم يستطع صد الهزائم المتتابعة ، وتقدم طوسون بك، وقد لمس هذا الضعف الى «القصيم» واحتل «راس» واشترى القبائل التي كانت موالية للوهابيين بالذهب ، فاضطر هذا الامير لفتح باب المفاوضات طالباً الصلح ، ولكن حاكم مصر لم يكن يرغب في تسوية الامور بمثل هذه السرعة . وعاد ابراهيم باشا بن محمد علي باشا في ١٨١٥ على رأس قوة كبيرة ، واشترى قبائل مطير وعتيبة وحرب بالذهب ، وفي الواقع انه لم يفعل غير ما فعله بقية القواد الذين تم لهم الظفر ، في كل تاريخ بلاد العرب

اخذ ابرهيم باشا يحتل مدينة بعد مدينة .. حتى استولى عَلَى «الدرعية» ذاتها ، التي كانت عاصمة الامبراطورية الوهابية ، والتي كانت تعتز بماضيها ، وتفاخر بمجدها ، ولم يجد الامير عبدالله مناصاً

من الاستسلام ، فاستسلم صاغراً ، فدمر ابرهيم باشا الدرعية ولم تقم لها قائمة فيما بعد ، وارسل الامير عبدالله الى القاهرة فاركب البحر منها الى استمبول ، وهو يحمل توصية من محمد علي بان يعامل بالشفقة ولكن « الشفقة » لم تكن غير « الاعدام »

وبينما كان رأسه يتدحرج في حي اياصوفيا ، كانت الامارة الوهابية تلفظ نفسها الاخير ! وكانت الدلائل كلها تدل على ان نجداً اصبحت ولاية تابعة لمصر كما كانت الحجاز ؟..

خمدت نار الوهابية ، ولكن لهيبها لم ينطفىء ، فظل الوهابيون يتحينون الفرص للانتقام ، وتمكنوا من ابادة حامية الرياض « العاصمة الجديدة »

وتمكن تركي الامير السادس من اكتساح الغزاة ونصب نفسه حاكماً عَلَى نجد ، والحسا ، وعمان في سنة ١٨٢٤ ولكنه لم يستطع اعادة مجد الامارة الوهابية ، وأجبرته مصر عَلَى دفع الجزية

اما قوة الوهابية الحقيقية فكانت قد نفدت، وبنفادها تلاشت اماني السعوديين في تكوين جبهة قوية تستطيع صد الغزاة، وتقف في وجه الفاتحين

وما جاء القرن التاسع عشر حتى كانت الحرب الاهلية تلعب دورها بين السعوديين انفسهم، وكانت هذه الحرب دليلاً لا يقبل الشك على انحطاط الوهابية ، وضعف الامل في اعادة مجدها

وتجدد الرجاء باعتلاء فيصل الامير السابع عَلَى العرش في سنة ١٨٣٤ وكان ينتظر الوهابيون البعث على يديه، وفيصل هنا هو جد الملك الحاضر

وبينما كان فيصل بن تركي يخمد ثورة الحسا ، في سنة ١٨٣٤ كان « الامير الخامس » يستعين بالاتراك عَلَى خصومه ، وتمكن من اغتيال «تركي» في الرياض في سنة ١٨٣٤ ولكنه لم يعمر اكثر من شهرين ، اذ تمكن فيصل بن الامير المقتول بمساعدة عبدالله بن الرشيد من اغتياله ، فاصبح فيصل اميراً ، و كوفىء عبدالله بتعيينه حاكماً عَلَى حائل

وعبدالله بن الرشيد هذا هو الذي اسس الاسرة العربية الشمالية، التي اتخذت حائل عاصمة لها، كما ان بيت الرشيد قد سما على البيوتات كلها ، ومن بينها البيت السعودي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

واستسلم الامير فيصل يومئذ للرفاهية ، فتغاضى عن دفع الجزية ، فاضطرت مصر الى تذكيره وافهمته عملياً عاقبة هذا التغاضي، اذ وصلت قوة مصرية في سنة ١٨٣٧ اعادت اليه ذاكرته، بل اخذته اسيراً الى القاهرة ، وحكمت مصر نجداً حكماً مباشراً

ولكن الامير فيصل استطاع في سنة ١٨٤٣ ان يفر من القلعة، وعاد الى الرياض ونصب نفسه اميراً كما كان ، وفرض الوهابية عَلَى

عمان ، والحسا والقصيم وجبل شمر ، ومع قوة شخصيته لم يستطع ان يعيد للوهابية حيويتها وقوتها، فلما توفي في١٨٦٧ انحطت الوهابية بعد ان انتعشت زمناً قصيراً

اما ابنه عبدالله — الامير الحادي عشر — فحكم اولاً من (١٨٦٧ — ١٨٦٩) ولكنه لم يكن محبوباً ، فلم يجد شقيقه سعود « الامير الثاني عشر » صعوبة كبيرة في خلعه في ١٨٧١ فاستعان المخلوع بالاتراك فاعادوه فحكم نجد ، كالامير الثالث عشر ...

اما سعود فلم يكن في وسعه مقاومة الاتراك فارسل في١٨٧٢ شقيقه عبدالرحمن ليفاوضهم في بغداد ، فكافأوه على تعبه ومجيئه للمفاوضة ، بالسجن طيلة سنتين ! ..

وتوفي الامير سعود في ١٨٧٧ فخلفه عبدالله بعد انقضاء ثلاث سنوات على عزله ، فحكم ٨ سنوات (١٨٧٧—١٨٨٥) اظهر فيها عجزاً فاضحاً ، فاضطرت اسرته الى سجنه ! ..

وكانت تبدو الدلائل كلها على ان امراء الرياض قد وهنوا ، وان البيت السعودي قد تلاشى

وفجأة يظهر في منتصف القرن التاسع عشر على المسرح النجدي ، رجل عظيم هو محمد بن الرشيد ، من حائل ، فيضيف نجداً اليها ، ويخرج عبدالله من سجنه ، ولكنه ينفيه مع شقيقه عبد الرحمن و بقية

افراد اسرته الى حائل ، ثم يعود في ١٨٨٦ فيسمح لعبد الله وعبد الرحمن بالعودة الى الرياض

وتوفي عبدالله سنة ١٨٨٩ وانتظر عبد الرحمن ان يكون حاكما على الرياض من قبل ابن الرشيد ، ولكن امنيته لم تحقق

وفي حزيران سنة ١٨٩٠ كثرت حوادث الاغتيال، وارتاب ابن الرشيد في الاسرة السعودية، فامر حاكم الرياض سالم بن سبحان بان يخرجهم من البلاد و يريحه منهم ، فامر هذا الحاكم كل الذكور من اعضاء الاسرة السعودية ان يحضروا في يوم عينه لهم ليتلقوا «تحية» ابن الرشيد اللطيفة ، وعرف السعوديون كيف يثأرون لانفسهم فجاؤوا مسلحين لسماع هذه التحية ، وما ان دخلوا غرفة الحاكم حتى اظهروا بجلاء كيف تقابل التحيات في غير اوقاتها ، فانقضوا على الحاكم وقضوا عليه كما قضوا على اتباعه ، ونجوا من النفي الذي كان ينتظرهم ... ثم وجدوا انفسهم في موقف حرج، فانهم اصبحوا اسياداً على الرياض ولكنهم لم يصبحوا اسياداً على نجد

وفي كانون الثاني سنة ١٨٩١ سحقت قبيلة شمر القوات الموالية للسعوديين بالقرب من بريده

وادرك عبدالرحمن فوراً ان البقاء في داخل بلاد العرب قد بات مستحيلاً ، فهرب مع اسرته الى الكويت ، اما من بقي من عائلته فلم يلقَ غير السجن ...

هذا هو الاساس الذي بنى عليه عبدالعزيز بن سعود ملكه ؟..

اساس قائم عَلَى التعصب للعقائد الوهابية ، والمجد الحربي ، والحروب الاهلية ، والانحلال ، وسفك الدماء ،

رواية متعددة الفصول ومشاهد متعاقبة ، فيها الجانب المنير ، والجانب المظلم ،

عقائد ملتهبة،مطهرة تقشفية،بطولة نادرة، شخصيات عظيمة، تضيء كالنجوم اللامعة، ثم تنطفيء، والى جانب هذه الصورة المشرقة نهب وسلب ، تقتيل وذبح ، اعتداء منكر على الاماكن المقدسة !

« بانوراما » استغرق تمثيلها مايتي سنة ،

هي صورة مصغرة لتاريخ بلاد العرب في الحقبة الاخيرة من هذا الزمن ، فهل يتاح لشبه الجزيرة الاستقرار يوماً من الايام ؟

٥

بعد ان تمكن ابن سعود من استرداد قلب الامارة الوهابية ، بطريقة تدل على براعة فائقة ، وحذق مدهش ، اخذت اقاليم نجد تتساقط في احضانه ، ولم يكن على ابن سعود الا ان يهز جذع هذه الشجرة ، التي لم تر سعودياً مدة تزيد على عشر سنوات ، هزاً عنيفاً ليتلقى الثمار

ولكن من الذي يضمن للبدو من سكان نجد ، ان ابن سعود اكثر من نيزك من النيازك الكثيرة التي تظهر في بلاد العرب ، فتضيء مدة بنورها اللامع ، ثم تختفي فلا يعود يراها احد ؟ .. اجل ، لم يكن ابن سعود في سنة ١٩٠٢ سيداً على غير العريض ، اهم اقاليم نجد من الوجهتين الجغرافية والسياسية ، قلب الوهابية فيما بعد

ومع ان ابن سعود لم يكن يفكر ، ولم يكن ينوي حتى ذلك الحين استخدام السلاح الديني ، في فرض ارادته على اخوانه العرب ، الا انه قد ثبت بان استعماله هذا السلاح فيه اظهار لقوته ، وكان له اعظم الشأن

اما اقاليم نجد التسعة فهي : العريض ، الخرج او اليمامة ، حارق الافلاج ، الدواسر ، الوشم ، سدير ، القصيم

اما العريض فيحدها شمالاً سدير ، وشرقاً صحراء الدهناء ، وجنوباً الخرج وحارق والافلاج ، وغرباً الوشم.

***

وكان اول واجب على ابن سعود بيناً جلياً ، وهو تثبيت حكم آل سعود على نجد ذاتها ، ولقد كانت العداوة مستحكمة بين آل سعود وآل الرشيد ، كما ان الخصومة كانت شديدة بين ابن سعود وبعض افراد عائلته ، الذين اكل الحسد قلوبهم ، بعد ان رأوا نجاح ابن سعود وتوفيقه ... هؤلاء الاخوان الذين سجنوا في حائل عندما هرب ابن سعود ووالده الى الكويت ليحتميا فيها

وقضى ابن سعود سنة ١٩٠٢ في توطيد سلطانه عَلَى جنوب نجد

ولكن حدث في شتاء تلك السنة ان ابن الرشيد يئس من تحريض الاتراك عَلَى مهاجمة ابن سعود ، فدفعه اليأس لان يقوم هو نفسه بحملة عنيفة . أليست مقاتلة هذا الشاب الذي استولى على البلاد عنوة واقتداراً افضل من ان يركن لليأس ؟

اما غرضه ، طبعاً ، من وراء تلك الحملة ، فكان استرجاع الرياض ! ولكن سرعان ما تبين له ان ابن سعود قد حصن المدينة تحصيناً قوياً كما تفعل الجيوش المنظمة ، وانه اصبح من المستحيل عليه مهاجمة الرياض من الامام ، فصمم على مهاجمتها من الوراء ، من الجنوب .

وبعد ان قام بعدة مناورات عسكرية ، سار الى « الخرج » ناوياً

الاستيلاء اولاً على دلامة ، اهم مدن ذلك الاقليم . ولكن الصحراء لا تكتم سراً ، فسرعان ماسمع ابن سعود بخطة عدوه وتأهب للملاقاته

اقترب ابن الرشيد عند طلوع الفجر من دلامة ، وخيل اليه ان خصومه غارقون في نومهم العميق ، وان في وسعه الاستيلاء على المدينة قبل ان يفيقوا ولم يكن يدري انهم له بالمرصاد

نشبت معركة حامية كمعارك الصحراء ، ولكن الظفر لم يتم لاحد من المتقاتلين

واخيراً عند غروب الشمس جمع ابن الرشيد رجاله وقفل راجعاً الى حائل

و كان من رحمة الله ان عاد ابن الرشيد فجأة ، فان قوى رجال ابن السعود كانت قد نفذت ونضبت ذخيرتهم

ومن الجلي ان الحظ وحده الذي اسعده ، وان ثقته العجيبة بالله هي التي نجته من الهزيمة .

واستدعى ابن سعود والده من الكويت و كان ينوب عنه الى ان توفي سنة ١٩٢٨ بعد حياة كلها بطولة وشهامة

وفشل ابن الرشيد في محاولته فتح الرياض عنوة ، فقد اكتسحه الامير عبد الرحمن والد ابن سعود و اعاده مقهوراً

وقبل ان يصل ابن الرشيد الى « الوشم » كانت الفرق الوهابية قد طارت واحتلت « شقرا » و « ثرمده »

وجاء ابن سعود بنفسه لنجدة هذه القوات التي سارت في الطليعة ووسع مدى الهجوم ، فاستولى على كل مدن اقليم سدير ما عدا «المجمعة» ثم استولى على اقليم الوشم ، واجبر قبيلتي «عتيبة» و«قحطان» على تأدية الجزية

وحالت العوامل الجوية دون استمرار القتال ، ففي الصيف يحرم القتال طبعاً لاشتداد الحرارة ، وفضلاً عن ذلك فامطار ربيع ١٩٠٣ كانت قليلة ، ولم يكن في وسع اواسط بلاد العرب اعداد جيش تتوقف حياته عَلَى نتاج الارض وخيراتها

وانقضى شتاء ١٩٠٣ قبل ان يتمكن ابن سعود من تحقيق امنيته ، في الاستيلاء على « القصيم » فاخذ ينتظر الظروف الجوية الملائمة للقتال في ملل

وفي اذار سنة ١٩٠٤ كان قد فرغ صبره ، وكان ابن الرشيد قد قصد الجهات الشمالية الشرقية ، لجمع الانصار من رجال قبيلة شمر القوية

ولكن ابن سعود سار بقوة عجيبة الى وادي السر ، حيث هزم قائد جيش ابن الرشيد حسين بن جراد

وفي الشهر التالي وزع قواته ، فارسل قسما من رجاله الى الجهات الشمالية الشرقية ، لاخضاع قبيلة شمر ، واحتفظ بالبعض الآخر ، للهجوم عَلَى القصيم ، وكانت هذه الخطة تدل على عقل نيروذكاء حاد

وتمكن ابن سعود من الاستيلاء على عنيزة ، وهي من المدن المهمة

وهو مدين بفوزه لصديقه الامير عبدالله بن جلوي الذي رافقه عند استيلائه الاول على الرياض ، والذي ظل يخدمه باخلاص منقطع النظير اكثر من ثلاثين عاماً ، اظهر فيها تفانياً عجيباً ، وولاء صادقاً

وبعد ان استولى عَلَى العنيزة سقطت بريدة في يده في حزيران سنة ١٩٠٤ فاصبح ابن سعود سيداً على كل نجد

٦

وبعد ان طرد ابن سعود ابن الرشيد من تخوم نجد ، وقف كل جهوده على شيئين :

— اصلاح المدن التي وقعت في يده وتعميرها

— اجبار الاحزاب ذات المصالح على الاعتراف بشرعية حكمه والمركز الرفيع الذي يتبوأه .

علاقة ابن سعود بالحكومتين العثمانية والانكليزية

اما من الوجهة الدولية ، فلم يكن ابن سعود يبالي بغير الحكومة العثمانية ، التي كانت اسمياً الحاكمة على شبه جزيرة العرب ، والحكومة الانكليزية التي كان مركزها قوياً جداً في الخليج الفارسي

وكانت صلات الانكليز بحاكم الكويت الشيخ مبارك وغيره من زعماء القبائل متينة جداً ، وكان الذهب الانكليزي يلعب دوره في تحبيب البدو بالانكليز ، وترغيبهم في الحكم الانكليزي

وفي المدة التي مرت بين استيلاء ابن سعود عَلَى البريدة ، واستيلائه عَلَى العنيزة ... حوالي الشهرين ... كانت قد وصلت ثمان فرق تركية تحت قيادة القائد المخيف احمد الجوزي باشا للصحراء الشرقية ولم يمض طويل وقت حتى اشتبكت في القتال مع ابن سعود ، وهاجمته في القصيم ، ثم انضم الى هذه القوات عرب شمر ، الموالون لابن الرشيد

وو'صلت القوتان المتحدثان السير بالرغم من حرارة الصحراء المحرقة
ولم يتم الظفر لاحدالطرفين المتقاتلين ، فقدكان الاتراك يظهرون
شجاعة ولكنهم كانوا ايضاً يظهرون غباوة وحمقاً ، بينما كان اتباع
'بن سعود يستميتون في الدفاع ، وان كانوا اقل من خصومهم استعداداً

اجل ، لم يكن في وسع ابن سعود الانتصار على الاتراك ، فاخذ
يفقد رجاله بالعشرات ثم بالمئات ، بل ان ابن سعود ذاته قد جرحت
يده في معركة من المعارك الحامية

واخيراً وجد ابن سعود انه خسر الف رجل ، كما ان خصومه
فقدوا مثل هذا العدد ، فتقهقرت القوات السعودية ، وتقدم الاتراك
واستولوا على الخيام ولكنها كانت فارغة

واذا قارنا هذه المعركة الحامية ، بالمعارك الوهابية التي دارت
في القرن الثامن عشر طيلة ٣٠ سنة كاملة (١٧٤٤ — ١٧٧٤) نجد
'ن الوهابيين لم يفقدوا في كل تلك الحروب غير ١٧٠٠ قتيل بينما
قتل من خصومهم ٢٣٠٠ اما في هذه المعركة وحدها فقد سقط من
خ:بين الفا قتيل

وكانت بعض الفرق الوهابية من القصيم قد بددت شمل بدو
تمر ، فلما سمعت ان معبودها ابن سعود قد هرب ، اضطرت الى
التقهقر ، وكان الفوز للجيوش التركية الغازية

ثم ترك الجنود الاتراك المعسكر ، وساروا الى الواحات المحيطة

بمدينة الراس ، وفي لمح البرق كانت القوات الوهابية قداستولت على كل ما معهم من ذخيرة ومؤونة ، فعاد الامل وانقشع اليأس ، ثم سارت لحماية مدينة الراس ، و بقيت ثلاثة شهور تحملق في الجيش التركي وتحدق فيه ؛ ولكنها لا تجرأ عَلَى مقاتلته

وكانت حرارة الشمس المحرقة تخنق الجنود خنقاً ، واخيراً انتشرت « الكوليرا » بين الوهابيين ، و بدأت طلائع التمرد ، بل اخذ بعض رجال ابن سعود بالعصيان ، وهددوه انهم يتخلون عنه ، اجل كان رجاله لا يريدون غير الظفر السريع ، والغنيمة السريعة ، او ترك الدار تنعي من بناها

ولما جاء الخريف تحرك الاتراك ، وما بقي من قوات ابن الرشيد الى الجهة الشمالية الغربية من رأس ، ولكنهم قبل ان يختاروا مكاناً يخيمون فيه كانت القوات السعودية قد باغتتهم واشتبكت معهم في القتال

ولما وجد ابن سعود ان الهجوم من الجانبين قد فشل ، قاد جيوشه الى قلب العدو

وكانت حملته هذه تدل على اليأس والقنوط ، ولكن الحظ خدمه ، فان رؤية القائد الجبار ، ابن سعود ، يحمل بنفسه عَلَى العدو بجرأة لا نظير لها ، قد ولدت في الوهابيين شجاعة لا توصف ، فاقتحموا الموت اقتحاماً

اما الاتراك فكانت حرارة الشمس قد اوهنتهم واضعفتهم ، وكانوا يفتقرون الى ضروريات الحياة الاولية فاضطروا للتقهقر

واخذ وجه ابن سعود يطفح بشراً ، واخذ يصلي شكراً لله عز وجل

ولكن رجال ابن سعود لم يكونوا يفكرون في غير الغنائم ، وها قد وجدوا من الغنائم ما لم تقع عيونهم عليه منذ زمن بعيد ؛ غنائم هائلة وفيرة : من بنادق وامتعة ومواد غذائية ، والاهم من هذا كله كميات كبيرة من الذهب !

وكانت هزيمة الاتراك في ايلول سنة ١٩٠٤ شنيعة حقاً ، البعض استسلم للوهابيين ، والبعض الآخر احتمى بقبيلة شمر ، التي كانت موالية لتركيا ، وذهب الكثيرون ضحية الجوع والعطش ، وبعد محاولات عديدة من الاتراك لفتح باب المفاوضات ، اضطروا الى الانسحاب من اواسط بلاد العرب ، لانهم وجدوا انفسهم بين نارين : نار ابن سعود ، ونار الامام يحيى

٧

اما القبائل التي كانت موالية لآل الرشيد، اوعلى الاقل التي كانت تجل هذا البيت، صاحب الحول في الماضي، فقد ابت الانقياد اليه، بعد ان حل به النحس، وضاع مجده مصممة ان لا تعرض نفسها لخطر معاداة القوات الوهابية الجديدة، بل على النقيض اخذت هذه القبائل تفكر بعد سقوط حائل في ايدي الوهابيين في الاسلاب الجديدة، والغنائم الجديدة، وللغنائم سحرها فيهم

ولا ريب ان ابن سعود كان يرغب رغبة حارة في ضم القصيم فوراً بعد ضم حائل، ولكن أنى له ذلك وهو يفتقر الى القوة الحربية التي تمكنه من تحقيق امنيته هذه؟ اجل، لم يكن في وسع ابن سعود ان يقوم بحملة قوية بل كان مضطراً للاكتفاء بالحملات الصغيرة المحلية

اما الحكومة العثمانية، فبعد ان فشلت في كفاحها الحربي مع الوهابيين، اكتفت مرغمة باقليم القصيم وارادت ان تحتفظ به، بعد ان افلتت الرياض وحائل من يديها

ولكن هذا الحل الذي عرضته طمعاً في المهادنة كان سائغاً في حلق الرشيديين المقهورين، ولكنه لم يكن سائغاً في افواه الوهابيين الظافرين

واظهر ابن سعود عندما عرض عليه هذا الاقتراح، من الثبات

مما جعله موضع تقدير الباب العالي ، فتم التفاهم بين السلطان عبدالحميد وابن سعود ، ونبذ الاتراك كل فكرة ترمي الى تثبيت اقدامهم في نجد ، او بمعنى آخر زهدوا في نجد ، وسواء كانوا صادقين في زهدهم ، او غير صادقين ، فانهم لم يبقوا في غير اقليم الحسا ، هذا الاقليم الواقع في شرق نجد

سقط آل الرشيد الى احط دركات الحضيض ، في السنوات القليلة التي تلت سنة ١٩٠٦ وضاع سلطانهم ، القائم على الخناجر والسموم والرشوة ، ولم يترك آل الرشيد وسيلة من الوسائل لتعزيز سلطانهم ، الا لجأوا اليها احتفاظاً بالعرش ، الذي توصل اليه محمد ابن الرشيد في القرن التاسع عشر ، ولم يكن يؤيد هذا العرش غير الاتراك الذين كانوا يتوهمون ان الرشيديين موالون لهم حقيقة ، وانهم متفانون في سبيل القضية التركية

وبعد ان تحرر ابن سعود من النير العثماني ، وتخلص من آل الرشيد ، اخذ يفكر في شؤون البلاد الخارجية ، وطمع في الاستيلاء على القصيم الذي كانت قبائله لا تزال موالية لبيت الرشيد . . . وفضلت قبيلة « مطير » في بادىء الامر الانضمام الى الخارجين عن الحياة الحرة المستقلة في الرياض ، ولكن في سنة ١٩٠٧ صمم ابن سعود ان يضع حداً لهذه الذبذبة

ونشبت في نيسان سنة ١٩٠٨ معركة بين ابن سعود وقبيلة

مطير ، في مكان مشهور يقال له تُرَبة وفي هذه المعركة عثر بابن سعود جواده ، فكسرت عظمة من عظام رقبة ابن سعود ، ولكن قبل مرور سنة اخضع مدينة بريدة العاصية ، وطبع اقليم القصيم بالطابع الوهابي، وعين عليه عبد الله بن الجلوى حاكماً عاماً،وعبدالله هذا هو الرجل الذي اظهر بطولة وتضحية في حادثة الاستيلاء على الرياض ، وكان هذا التعيين مكافأة لتضحيته الغالية .

وكان سقوط القصيم حدثاً خطيراً،اذ كان لا مفر من اخضاع هذا الاقليم المشهور بالعناد ، والذي اظهر سكانه صلابة عجيبة وابوا الاذعان بسهولة

وفي سنة ١٩١٠ قامت ثورة في وجه ابن سعود ، كانت وليدة دسائس بعض افراد من اسرته الملكية ، وكانت نتيجة نكبة نجد بالقحط والجفاف في تلك السنة المشؤومة

فان الناقمين قد بذلوا اوقاتهم في اثارة سكان الحارق والعجمان على مليكهم وولي نعمتهم ؛ فسار بنفسه لتأديبهم ، وأسر زعماء الثورة ولكنه صفح عنهم

وظلت الاراضي المقدسة تحت الحكم التركي « اسمياً » لان الحكومة التركية فشلت في حماية مصالح الحجاج

وكانت القبائل الحجازية لا ترضخ لقانون بل تعيش معيشة فوضوية بحتة

الخط الحديدي بين دمشق ومكة

واضطر السلطان عبد الحميد ان يجمع التبرعات من المسلمين المؤمنين في كل انحاء العالم، وامر في سنة ١٩٠١ بمد الخط الحديدي بين دمشق ومكة، وتم المشروع سنة ١٩٠٤ ووكل العمل الى المهندس الالماني مسنر باشا وفي سنة ١٩٠٨ ربطت المدينة بدمشق

وأبى الحجازيون ان يسمحوا بمد هذا الخط الى ابعد من المدينة، وهي التي لا تزال الى يومنا الحاضر نهاية هذا الخط الحديدي المهم

الشريف حسين والباب العالي

وادرك الباب العالي ضرورة تبديل ممثليه في مكة، فانتخب الشريف الحسين في سنة ١٩٠٨ ليكون اميراً عليها

والشريف حسين لم يخف اخلاصه للباب العالي بل كشف له عن ولائه فوراً، وتمكن من فرض سلطانه على البدو واخضعهم، فقدرت له الحكومة التركية هذا الصنيع، واظهرت امتنانها الكلي له في سنة ١٩١١

وكانت جهود الاتراك في تلك السنة منصرفة الى حرب طرابلس الغرب، وحاول الادريسي من العسير، ان ينتهز فرصة ارتباك الاتراك ليطعنهم طعنة قوية تحريراً للعرب، فوقف الحسين في وجهه وصده بقوة، ونجح في ذلك حتى ان الاتراك تصوروا

— وربما كان الحسين هو الذي جعلهم يتصورون هذا التصور — ان بوسعهم عن طريق الشريف حسين استرداد مجدهم ونفوذهم ، اللذين اضاعوهما في اواسط بلاد العرب ! . .

ولكن سواء كان الباعث عَلَى صد الادريسي والوقوف في وجهه هو تأييد الاتراك عَلَى العرب ام لا ، فليس من شك في ان الحسين قد آزر الاتراك عام ١٩١٢ موءازرة عظيمة .

سار الشريف حسين الى نجد واسر سعداً شقيق ابن سعود ، الذي كان قد خرج ليجمع بعض رجال قبيلة « عتيبة » لاخماد القلاقل التي حدثت في الاقاليم الجنوبية

ولم يكن الشريف حسين ينوي في ذلك الحين القضاء عَلَى المملكة السعودية الوهابية ، ولكن من الجلي انه اراد التأثير على سكان اواسط بلاد العرب ، حتى يروه اقوى عربي في شبه جزيرة العرب كلها وهذا الشعور هو الذي دفعه لان يوعز الى ابن الرشيد باحداث القلاقل ضد ابن سعود في جهة الشمال

ولما كان سعد شقيق ابن سعود الذي يحبه حباً نادراً ، قد وقع اسيراً في يدي الحسين ، ولما كانت هذه الرهينة غالية عند ابن سعود لمحبته لشقيقه ، ولما كان ابن سعود — كما ذكرنا — يفتقر للرجال وللموءونة ، فقد كانت هذه العوامل مجمعة سبباً في قسر الحاكم

الوهابي على عدم ابداء شيء من المقاومة ، وقبول الشروط التي املاها الحسين

اجل ، ان ابن سعود لا يتردد مطلقاً في طي كبريائه كلما وجد مصالح بلاده الحيوية تستدعي التخفيض من عزته

وقليل من الزعماء الذين عرضوا انفسهم للمخاطر الشخصية التي تعرض لها ابن سعود ، ولكنه لم يكن يعرض نفسه الى هذه المخاطر الا عند ما يوقن ان لا مفر منها ، وانها السبيل الوحيد لتحقيق غاياته

ولكن ابن سعود ليس من الزعماء الذين يعرضون الجوهر في سبيل القشور ، او يضحون بمصالح البلاد الحقيقية ، في سبيل المجد الشخصي ، بل كان في كل شؤونه الصغيرة منها والكبيرة ، من انصار الواقع « ريالست » لا تغره العظمة الكاذبة ، ولا تخدعه المظاهر الجوفاء . وجد ابن سعود ان الشريف حسيناً يكلمه «واوراق اللعب كلها في يده » فاضطر الى قبول الشروط التي املاها الاتراك على لسان الشريف حسين ، وان كان قد قبلها وهو يضمر الضغينة ا ه.

تلك الشروط فكانت :

— الاعتراف بالسيادة القومية على القصيم

— دفع جزية سنوية قدرها ستة آلاف مجيدي ، او ما يقرب من الف جنيه انكليزي

— اطلاق سراح سعد شقيق ابن سعود

وبعد ان نجح الشريف حسين في اخضاع ابن سعود، واجباره على قبول هذه الشروط، عاد الى مكة راضياً كل الرضا

اما ابن سعود فلم يستسلم للأسف، بل نهض فوراً لمباغتة سكان الحارق، فلم يمكنهم من المقاومة، فهرب منهم من هرب، ووقع في يديه من وقع

اما العصاة الذين تمكنوا من الهرب فقد فضلوا الالتجاء الى مكة، حيث استقبلهم الشريف حسين ورحب بهم، على امل ان ينتفع بهم يوماً من الايام

واما زعماء الثورة الذين كان قد صفح عنهم قبل شهور قليلة، فلم يكن في وسع ابن سعود ان يرحمهم بل عدهم من الخونة المارقين، وقطع رقابهم دون تمهل ولا ابطاء

ان البدو قد يسيئون فهم «الرحمة» في بعض الاحيان، ولكنهم لا يسئون مطلقاً فهم «الشدة»

ولهذا كان تأثير قتل هؤلاء الزعماء عظيماً، فقد خمدت الفتن وانتشر الهدوء الى حين، وايقن النجديون ان ابن سعود هو سيدهم الحقيقي، وان الثائر الذي يجرؤ على القيام في وجهه، لا يجد غير حتفه ولهذا استسلموا واستكانوا، وهنا اظهر ابن سعود الشهامة

العربية ، والنبل العربي ، فقابل الثقة بالثقة ، ولم يحاول مطلقاً الاستبداد بهم ، او التحكم فيهم

واخذ الحماس الديني يغلي في عروق ابن سعود واخذت احلامه الاستعمارية تتضخم، طرد الاتراك من الحسا في سنة ١٩١٣ واخضع بيت الرشيد في سنة ١٩٢١ خضوعاً تاماً ، واستولى على الحائل ، وضم الحجاز الى املاكه الواسعة ، بين سنة ١٩٢٤، ١٩٢٥ مستعيناً بالسلاحين : الديني والسياسي ، فكان اماماً وكان ملكاً

وكانت سنة ١٩١٢ فاتحة عصر جديد في تاريخ حياته، تنامى فيها مجده الشخصي الذي كثيراً ما قاد امراء العرب للخراب ، المجد الشخصي الذي يدفع العرب لنسيان ملوكهم ، وبدأ لا يفكر في غير «الاصلاح» نعم فكر في الاصلاح الذي يميزه عن كل الامراء الذين حكموا شبه جزيرة العرب

٨

وبالرغم من انهماك ابن سعود في العمل المتواصل فانه كان يجد وقتاً للتأمل والتفكير

كان يفكر ابن سعود في النجاح الذي استطاع ان يحرزه ، والذي لم يكن بوسعه احرازه لولا شخصيته الفذة القوية ، الجبارة ، ولهذا السبب عينه كان على يقين من ان البناء الذي بناه بجهوداته الشخصية ، قد ينهار من بعده اذا لم يسنده بدعائم قوية غير شخصيته . ادرك ابن سعود ضرورة التفكير في نظام يتمشى مع الحضارة عَلَى قدر ما تسمح به الصحراء ...

كان يعلم انه قد ايقظ البدو وحركهم ، وبعث فيهم الحياة ، فاذا لم تنصرف هذه الحيوية الى البناء ، فانها ولا شك ستنصرف الى الهدم وان لم ينتفع بها في تعمير البلاد واصلاحها ، فلا بد ان تتحول الى الغزو وحده ، فصمم عَلَى احداث تبديل محسوس في طبيعة البدوي يقلب حياته من نواحيه كلها : الدينية ، والسياسية ، والاقتصادية . وبمعنى آخر فكر في وضع نظام عام ديني ، سياسي ، اقتصادي

اما الناحية «الاقتصادية» من الاصلاح الذي كان ينشده ، والذي كانت تتطلبه البلاد ، فكانت اهم هذه النواحي واكثرها تعقيداً بسبب

العوامل الجغرافية او الطبيعية ، فليس ابن سعود اول من فكر في الاصلاح الديني في بلاد العرب ، بل كثيراً ما اكتسحت امواج الاصلاح الديني بلاد العرب وطغت عليها منذ عهد النبي محمد (ص) ، الذي يعد بحق اول من طهر شبه الجزيرة من الشرك وعبادة الاصنام ... ولا ينبغي ان ننسى الحركة الدينية الاصلاحية التي استمرت من القرن التاسع الى القرن الثاني عشر ، تلك الحركة التي ظهرت في العراق ، وكان القصد منها «تطهير» الاسلام

ولم يقم بعدها سوى الحركة الوهابية في القرن الثامن عشر والحركة الوهابية تخالف شعائر السواد الاكبر من المسلمين في مسائل جوهرية

اولاً — يتشدد الوهابيون في وجوب الاقتصار على عبادة الله وحده ، بينما المسلمون يرون في النبي محمد شفيعاً لهم عند الله

ثانياً — ان المسلمين يذكرون اسم النبي في صلواتهم ، بينما الوهابي لا يذكر الا اسم الله وحده

ثالثاً — ينكر الوهابيون سلطة الخليفة الروحية

رابعاً — يحرم الوهابيون التقرب من الاولياء ، وهذا ما دفعهم لهدم القبور في الاماكن المقدسة ، وعدم السماح بزيارة المزارات او السجود امام مقامات الاولياء

خامساً — يعيد المسلمون سبعة اعياد ، بينما لا يعيد الوهابيون

غير عيدين : عيد الفطر وعيد الاضحى ، ولا يعترفون بشرعية الاعياد الاخرى

ومع هذا فالوهابيون يعكفون على قراءة القرآن ، ويهتمون بالاحاديث النبوية . ويحرمون لبس الحرير والذهب ... وحلق اللحية وشرب الخمور ، والتبغ ، والقمار ، والسحر ، تحريماً باتاً[1]

***

وفي الواقع ان البدو لم يعتنقوا الوهابية الا ظاهراً ، وكانوا يعتنقون هذه المبادئ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، طمعاً بالغنائم ، فاذا يئسوا منها ، او اذا اغراهم الفاتحون بالذهب ، انفضوا عن المبشرين بالوهابية

هذا كان شأن كثير من البدو في القرن التاسع عشر ، يوم كانت القبائل تقاتل تارة مع الوهابيين ، وتارة مع الاتراك ، وحيناً مع المصريين ، وآخر مع الرشيديين ، فسكان حائل كانت تجري وراء الاسلاب اينما كانت ، والذهب يسحرها ويفتنها فينسيها الوهابية ودعاتها ، اما الاخلاص الحقيقي فلم يعرفوه الا بعد ان «علمهم» اياه

---

(١) نشرنا في آخر هذا الكتاب كلمة طيبة لحضرة الكاتب الفاضل الاستاذ منح افندي هرون اديب اللاذقية المعروف ، فند بها ما زعمه مؤلف هذا الكتاب من ان الوهابيين يخالفون سائر المسلمين بمسائل جوهرية كثيرة فلفت انظار القراء الى مطالعتها (ناشر الكتاب)

ابن سعود ، بل بالاحرى قد غرسه فيهم غرساً

كان ابن سعود يسائل نفسه في سنة ١٩١٢ كيف يمكن غرس الاخلاص للمبادىء الوهابية ، وهؤلاء البدو لا يؤمنون بغير الاسلاب ؟ ولا يفكرون الا في الغنائم ؟ ... اخذ يفكر ويفكر حتى توصل اخيراً الى تدابير « اقتصادية — دينية » كانت اساس حركة «الاخوان» ... فهم جماعة اقسموا عَلَى الولاء لابن سعود ، والتفاني في خدمته ، ففرض عليهم اعتناق الوهابية ، وامرهم بزراعة الاراضي التي تقدمها لهم حكومة الرياض . هؤلاء الاخوان هم الدعامة التي يستند عليها الملك عبد العزيز بن سعود ، وهم اشبه بالانكشارية في ايام السلاطين العثمانيين ، او الحرس الروماني في روما ، سلاح ذو حدين ، جمعهم ابن سعود من القبائل النجدية ، بعد ان وثق من اخلاصهم وولائهم ، واقطعهم الاراضي ، ثم طلب منهم الاستيطان والاستقرار ، واوفد اليهم بعض المبشرين بالوهابية لتبشيرهم وهدايتهم

وكانت هذه الجهود التي قام بها ابن سعود ، تختلف عن الجهود التي بذلها قادة الوهابية الاولون ، فان رسل الوهابية قبل مجيء ابن سعود كانوا يحصرون كل جهودهم في سكان المدن ، ولا يبالون ادنى مبالاة بالبدو الرحل ، ولكن ابن سعود جاء يقول :

اما وان القبائل البدوية هي سلسلة الدولة الفقرية ، وعمادها

وسندها، فلا مناص من ربطها بالارض، ربطاً محكماً وتحكيم صلاتها بها ، ولا مناص من ارغام هوءلاء البدو عَلَى قبول العقائد الوهابية الصحيحة ، وهذا يحتم احداث تبديل جوهري في عادات البدو الرحل ، بحيث لا يعودون يفكرون في الغزو بل في حرث الاراضي

وجعل ابن سعود كل نبع مركزاً لمنطقة زراعية ، وارسل الى كل قرية شيخاً يعلم الاخوان اصول الدين ، ومبادىء الكتابة والقراءة ، وكان يريد ان تكون القرية مركزاً حربياً ، ومستعمرة زراعية ، وموطناً للمذهب الوهابي الصرف

اما نجد فقد ظلت طوال الاجيال الماضية مملكة قاحلة ، وما ذلك الا لافتقارها للماء ، فاضطرت قبائلها ان تنتقل من مكان الى مكان انتجاعاً للمراعي، وهذه الحاجة الاقتصادية هي التي ولدت فيهم الميل الغريزي الى الغزو ، الذي اصبح سلوى البدوي، واللعبة الوطنية التي يطرب لها ويلهو بها ، ولكن هذا الغزو كان ولا ريب في مقدمة الموانع التي عاقت البدو عن التقدم

ثم اخذ يفكر في حاجة البلاد الى جيش دائم للاحتفاظ بمملكته، وفكرة تكوين الجيش هذه لم تخطر على بال اي حاكم عربي آخر ، قبل ابن سعود

ولم تكن (ارطوية) سنة ١٩١٢ غير قطعة من الصحراء . . . يؤمها افراد قبيلة مطير الذين يميلون بفطرتهم الى القتال ، ولكنها

اليوم اصبحت مستعمرة وهابية، يزيد عدد نفوسها على عشرة آلاف نسمة ، يهتمون بالزراعة وفلاحة الارض . وفي الصحراء اليوم مائة مستعمرة كهذه المستعمرة

* * *

وزع ابن سعود على الاخوان الاسلحة الحديثة ، وقدم لهم مواد البناء ، ومعدات حفر الآبار ، والبذور ، وامرهم ان يشتغلوا في حرث الارض ، وبناء الدور ، وتحويل الصحراء ، الى مراعي خضراء .



٩

لا يعلم على وجه اليقين متى صمم ابن سعود نهائياً على نفض يديه من الامبراطورية العثمانية ، فهناك من يقول بانه انفصل عن الاتراك في بداية الحرب العالمية ، بينما يقول الآخر بان الانفصال لم يتم الا بعد الحرب — هذه الحرب العالمية التي قدم فيها العرب للحلفاء مساعدة ضئيلة ، على امل ان يتحرروا من النير التركي

وانه كان في خلالها على صلاة ودية مع الدولة الحاكمة اسمياً ، بينما كان في الوقت عينه معادياً لبيت الرشيد حليف الاتراك . . . وصنيعة الاتراك

وفي الواقع يقوم هناك من البينات والدلائل ما يجعلنا نرجح بان ابن سعود كان شديد التخوف من ظفر تركيا ، وعودة الاتراك الى العراق ، وهذا ما حدا به الى تأجيل قطع علاقاته مع الحكومة العثمانية الى ان ينجلي الموقف

والاتراك مع ذلك ، لم يكونوا يظهرون لابن سعود قبل الحرب العالمية بسنة واحدة شعوراً ودياً ، بل عمدوا الى الدس والايقاع به ، واتفقوا سراً مع الاحزاب الموالية لهم : الشريف حسين في الحجاز ، وقبيلة العجمان في شرقي نجد ، وبيت الرشيد في الحائل ، وكل هؤلاء خصوم ابن سعود

اجل ، كانوا يحمسون هؤلاء الحلفاء والانصار ، ويثيرونهم على عدوهم اللدود ابن سعود

ويظهر ان غرض العثمانيين الرئيسي لم يكن ايجاد الانقسام في شبه جزيرة العرب « فرّق تسد»—لانهم كانوا قد نبذوا كل فكرة في السيادة عَلَى اواسط بلاد العرب — ولكنهم ارادوا من وراء هذه الدسائس التحكم في المناطق البحرية ، او الاجزاء الساحلية من شبه جزيرة العرب للحيلولة دون قيام اي زعيم من الزعماء الاقوياء الذين يمكن ان يهددوا الحكم العثماني

ولما وجد هؤلاء العثمانيون ان ليس في وسعهم مهاجمة ابن سعود ووجوههم سافرة ، حاولوا مهاجمته من طريق غير مباشر فضربوا عليه نطاقاً .

وقد اخذ ابن سعود يبحث عن اضعف مكان في هذا النطاق ليفلت منه ، وأخذ يسائل نفسه : أيسير الى مكة ؟ أيهاجم الحائل ؟ أيحتل الحسا ؟

وحل ربيع سنة ١٩١٣ وابن سعود في خيامه على مقربة من تويك «يداعب» قبيلة بني مرة ، تلك القبيلة الجنوبية العاصية، التي لم تكن حتى ذلك الحين قد قبلت الانضواء تحت لوائه

صمم ابن سعود فجأة عَلَى الرحيل الى الجهة الشرقية . . . الى الحسا التي كان يحكمها الاتراك منذ عام ١٨٧١ ، حكماً مستمراً ،

منذ انتزعها مدحت باشا من اسلاف ابن سعود

سافر ابن سعود مع رجاله يحثون الجمال حثاً متواصلاً ، فوصلوا الى بلدة « الهفوف » بعد يوم ونصف يوم ، وكانت هذه السفرة تتطلب على الاقل خمسة ايام

كانت الحملة مؤلفة من ستمائة رجل ، وكان من جراء اجهادهم انفسهم ان خسر ابن سعود بعض رجاله الذين هلكوا في الطريق لشدة الجهد الذي بذلوه

اما الذين بقوا على قيد الحياة فكانوا لا يملون التحدث عن الاسلاب التي يحلمون بها بعد تلك السفرة الشاقة

وكان ابن سعود قد وقف من « الاصدقاء » على كيفية تنظيم الاتراك لقواتهم الحربية ، فعلم ان هناك فرقتين تركيتين داخل اسوار المدينة لا يمكن مهاجمتهما

وقال الضابط الانكليزي « الكابتن ليشمان » انه رأى بعينيه الجنود الاتراك في اواخر سنة ١٩١٢ يحتلون — قلعة الحسا — وذكر انهم مستسلمون لحياة الترف ، فكان من الطبيعي ان يطمئن ابن سعود لهذه الاخبار ، واخذ ينتظر حتى غابت الشمس ، وانسدل الظلام كما فعل تماماً عند استيلائه على الرياض ، فقطع هو ورجاله بعض اشجار النخل وحولوها الى سلالم — من النوع العادي طبعاً —

وتسلقوها بخفة ورشاقة، يساعدهم الظلام الدامس ونوم الجنود العميق، فوصلوا الى قلعة (كوت)

وقسم ابن سعود رجاله الى ثلاثة اقسام متساوية، وتسلل المغامرون وانقضوا على الحراس الاتراك واعملوا في صدورهم المدى، فلم يبقوا علَى واحد منهم، وبعد ان انتهوا من هذه الجزرة الصغيرة تجمعوا فوق الاسوار يطلون على المدينة بعد نجاحهم في الاستيلاء عليها . وقبل ان يستفيق الجنود كان الوهابيون قد احتلوا القلعة، واصبح ابن سعود حاكما علَى الحسا !

ولما وجد ابن سعود ان الشطر الاكبر من الجنود، وكل الموظفين مع اسرهم، قد لجأوا الى الجامع الكبير في الحسا، ارسل الى المتصرف رسولاً يبلغه هذه الرسالة التهديدية :

«استسلم انت ومن معك والا دمرت المسجد تدميراً واهلكت من فيه»

وامام هذا التهديد لم يسع الحاكم الا ان يأمر باخلاء المسجد، فخرج من فيه فوراً وأذعنوا للزعيم الوهابي الظافر

ثم استسلمت العقير، فالقطيف، بعد سقوط الهفوف، فبات اقليم الحسا كله تحت امرة ابن سعود

اما الجنود الاتراك فتراجعوا الى الساحل دون ان يطلقوا رصاصة واحدة، وقد اذهلتهم جرأة هذا الزعيم العربي النادرة.

وما لبثوا ان ابحروا في سفنهم عائدين الى اوطانهم ، مغتبطين بنجاتهم ... ولم يبق في الحسا جندي واحد غير عربي

لقد استرد ابن سعود الاراضي التي اغتصبها العثمانيون من بيته الكريم ايام ضعفه قبل نصف قرن ، ولاول مرة اخذ يتحدث عن حدود مملكته «الساحلية» وهذا الحادث الخطير جعله يتصل اتصالا مباشراً بالانكليز حيث كانت له فوائده ، ولولا المساعدات التي يتلقاها ابن سعود من الانكليز لما كانت البلاد الوهابية العربية قد وصلت الى ما وصلت اليه اليوم

اجل كانت طريقة الاستيلاء على الحسا بسيطة في القول، ولكن نتائجها عَلَى نفسية البدو كانت عظيمة

وجد البدو امامهم زعيماً استطاع ان يذل الحامية التركية ، ويعيدها مقهورة الى وطنها

وهذا ما دفع البدو لان يروا في ابن سعود قائداً حقيقياً يستعين بالله وحده ..

وهنا لا يسعنا الا ان نتساءل : ماذا كان يحدث يا ترى ، في بلاد العرب ، اذا لم تنشب الحرب العالمية في السنة التالية ؟ اكبر الظن ان ابن سعود كان يصل الى ما وصل اليه اليوم من النجاح في زمن اقصر بكثير من الذي استغرقه فانه في الواقع قد قضى سنوات الحرب الاربع مقيداً ، لا يستطيع ان يفعل شيئاً غير المحافظة على

الاملاك الواسعة التي استردها ، او افتتحها قبل الحرب

ولكن من الحقائق العظيمة الخطورة انه عرف كيف يتصل بالانكليز الذين كانوا يحتلون الخليج الفارسي ، فان حكومة الهند على الرغم من عظم خطيئاتها كانت لا تفتأ تراقب مجرى الحوادث في شرق بلاد العرب ، وقد اوفدت مندوبها في الكويت الكابتن شكسبير لزيارة الرياض في الشتاء الذي جاء بعد احتلال الوهابيين للحسا

وكم كان ابن سعود كريماً في استقباله ، وكم اظهر اعجابه بهذا المندوب السياسي ، وقابل شكسبير الاعجاب بالاعجب ، والود بالود فاخذ يفيض بتقاريره عن ابن سعود في التحدث عن ميزاته الخارقة وليس ثمة ريب ان تقارير الكابتن شكسبير نائب حكومة الهند عن الحكم الوهابي ، جعلت الانكليز يهتمون بهذا النجم الجديد الذي اشرق نوره ساطعاً في سماء جزيرة العرب

وكان للصلات الطيبة بين الانكليز وابن سعود ثمرتها، ففي شتاء سنة ١٩١٣—١٩١٤ تمت المعاهدة بين الامبراطورية البريطانية وابن سعود، هذه المعاهدة التي عرف كيف ينتفع بها في صد الخصوم عنه، وقد استعان عند وضعها بحذقه السياسي، واختباراته الشخصية حينما كان منفياً في الكويت، ومن مراقبته لسلوك الشيخ مبارك مع الانكليز في القرن التاسع عشر، وكان يقول انه في وسعه تجديد هذه المعاهدة تجديداً مستمراً، الى ان تتمشى مع كل مطامعه واحلامه، والى ان تنطبق على

كل رغائبه ومراميه ، وانه قد اتصل بالانكليز واصبحت له سلطة على البحار والمدن الساحلية ، فلا مناص من ان يكون سياسياً ادمى من الانكليز ! ..

واقبل خريف سنة ١٩١٣ واوائل صيف سنة ١٩١٤ وابن سعود لا يزال والياً على نجد والحسا من قبل حكومة استمبول ، وكان لا يزال يلقب بصاحب الدولة ولم يكن حتى ذلك الحين قد اعلن انفصاله عن الحكومة العثمانية ، بل كان يقول انه ما دام يتمتع بالسلطة التامة على نجد والحسا ، فما يمنعه من الاستمتاع بهذه السلطة التامة باسم الحكومة العثمانية ! وعلى الاخص لانه كان على يقين من منافسة الشريف حسين له في الحجاز ، وآل الرشيد في حائل ، ولكنه في الواقع لم يكن يبالي بعد ان صادق اهم دولة لها اكبر النفوذ في الخليج الفارسي ، بخصميه الشريف حسين وآل الرشيد

١٠

تطلعت بريطانيا العظمى الى شبه جزيرة العرب لترى اذا كان بميسورها ان تجد فيها من يشترك معها في الحرب العالمية، فعثرت على حلفاء في كل مكان ما عدا «اليمن» لان الامام يحيى ظل امينا لميثاق السنوات العشر، الذي قطعه على نفسه سنة ١٩١١ للاتراك بان يظل مواليا لهم ولامارة حائل، كما بقي آل الرشيد محافظين على ولائهم للدولة العثمانية

وفي تشرين الثاني سنة ١٩١٤ عاون الشيخ مبارك، من الكويت، الانكليز في الاستيلاء على البصرة، بعد ان وافقوا على الاعتراف باستقلاله عن الاتراك، وان يكون تحت الحماية الانكليزية

وفي نيسان سنة ١٩١٥ امضيت معاهدة بين الانكليز والادريسي من العسير ... وقد صارح الادريسي العثمانيين بالعداء حتى قبل الحرب العالمية

وفي تموز سنة ١٩١٥ دارت المفاوضات بين الشريف حسين وابن سعود، وابرمت معاهدة بينهما في الخامس والعشرين من كانون الاول من تلك السنة ، وتم تصديقها في الثامن عشر من تموز سنة ١٩١٦

و يضيق بنا المجال عن سرد تاريخ الجهود التي بذلها العرب في اثناء

الحرب العالمية ، مما تجده مفصلاً في كتاب « الثورة العربية » للرحالة لورانس عن بلاد العرب [١]

***

ارسل الميجر السير برسي كوكس كبير الضباط السياسيين في الحملة العراقية، والذي اشتهر بآرائه السديدة الدالة على حذر شديد، احد الضباط الى الرياض وكان الضابط من اصدقاء ابن سعود ، وهو الكابتن شكسبير، وقد عهد اليه مهمة اغراء الوهابيين للحملة على ابن الرشيد، اشد حملة ممكنة ليعصروه عصراً ، حتى لا يلحق الاذى بجناح الميسرة للقوات الانكليزية في العراق

اما ابن سعود فكان يستطيب هذا التحريض ليشبع شهوة الانتقام من خصمه اللدود

وعلى هذا لم يكن القتال بين الحاكين جديداً ، بل كان لا يختلف عن القتال الذي دار بينهما قبل سنة ١٩١٤ وان كان قد اشتد عما كان لدخول عناصر جديدة ... تركيا ... وانكلترا ... اصابع تحرك من وراء الستار وتوقد الخصومة بين البيتين العربيين البيت السعودي ، والبيت الرشيدي

---

(١) تولت — المكتبة الاهلية — ترجمة هذا الكتاب الى العربية وسيظهر الى عالم المطبوعات قريباً ان شاء الله

وقدحدث ان قبيلة العجمان التي كانت موالية لابن سعود خانته وغدرت به، فانقلبت عليه ونهبت كل ما امكنها

ولكن الاهم من هذا من وجهة النظر الانكليزية حادث قتل الكابتن شكسبير، صديق ابن سعود الحميم في اثناء المعركة

خرج هذا الكابتن في ثيابه العسكرية الرسمية لمراقبة القتال، فاصابته رصاصة طائشة جرحته جرحاً مميتاً، واقبل بعض المقاتلين من بيت الرشيد بسيوفهم فاجهزوا عليه

وقد ترك هذا الحادث اثره العميق في نفس ابن سعود الوفي لاصدقائه، حتى انه قدم للحكومة الانكليزية تعازيه بالضابط القتيل

وفي شباط سنة ١٩١٦ تألفت «الدائرة العربية» المشهورة، في القاهرة، لمساعدة الشريف حسين وارشاده

وكان السير كوكس قد قصد في كانون الاول سنة ١٩١٥ «العقير» ليبدأ المفاوضات مع ابن سعود لعقد معاهدة معه، وهاك اهم نصوصها:

اولاً — اعتراف الحكومة الانكليزية بان نجداً والحسا، والقطيف، وجبيل، وموانيها على الخليج الفارسي من املاك ابن سعود واسلافه، وان الزعيم الوهابي هو الحاكم المطلق على تلك الانحاء كلها

وابن سعود هو الذي يعين خليفته من نسله ، بشرط موافقة الحكومة الانكليزية

ثانياً — تقدم الحكومة الانكليزية كل مساعدة ممكنة لابن سعود عند مهاجمة اية دولة اجنبية للاملاك الوهابية

ثالثاً — يتعهد ابن سعود ان لا يرتبط بعلاقات مع اية دولة اجنبية

رابعاً — يتعهد ابن سعود ان لا يمنح اي دولة اجنبية املاكاً او امتيازات دون موافقة الحكومة الانكليزية، وان يتبع مشورات الانكليز التي لا تضر بمصالحه الذاتية

خامساً — يتعهد ابن سعود بفتح كل الطرق الموصلة الى الاماكن المقدسة في بلاد العرب ، وحماية الحجاج الذين يمرون فيها

سادساً — يتعهد بالامتناع عن اي توغل جديد في املاك حليفات انكلترا : الكويت، والبحرين، وعمان، وغيرها من المناطق التي ارتبطت بمعاهدات مع الانكليز

سابعاً واخيراً — يصير ابرام معاهدة جديدة في المستقبل، تكون اوفى من هذه ..

ومع ان هذه الوثيقة في مصلحة الوهابيين ؛ فانهم ابوا ان يحركوا ساكناً ضد الاتراك .. فما علة ذلك ؟

قد تكون لبعد الحامية التركية عن ابن سعود ، وانصراف الانكليز

الى مقاتلتها وتخفيف العبء عنه ، ولكن الاهم من هذا تقرب الانكليز من الشريف حسين

اجل ، انتخب الانكليز الشريف حسيناً ليكون وكيلهم ونائبهم في بلاد العرب ، وقدموا له راتباً شهرياً قدره خمسة آلاف من الجنيهات ؟ .

وقد ظل الشريف حسين يتقاضى هذا الراتب الشهري حتى نهاية آذار سنة ١٩٢٤

وتناقل الناس الخبر وتضخم الراتب ، وتضخم كثيراً حتى بلغ ابن سعود ان خصمه الشريف حسيناً يتقاضى من الانكليز ، شهرياً مائتي الف جنيه ! فكان يقول مع سكان الرياض انه افيد للانكليز الف مرة ان يكون الوهابيون على الحياد ، من ان يتلقوا المعونة من الشريف حسين

واستسلم الحسين للغرور واغرق في الزهو ، فكان لا يتحدث الا باسم كل العرب ، وهذا من العوامل التي زادت الخصومة تأصلاً وقوة .

وتوفي الشيخ مبارك صديق ابن سعود القديم في تشرين الثاني سنة ١٩١٥ وخلفه ابنه جابر الذي حارب مع ابن سعود ضد ابن الرشيد ولكنه توفي في سنة ١٩١٦ وخلفه شقيقه الشيخ سالم الذي كان موالياً للانكليز ، كما كان الشيخ مبارك والشيخ جابر

اما الشيخ سالم فقد بذل كل جهده لاضعاف مركز الوهابيين ، بحض قبيلة العجمان عَلَى الثورة ، فاضطر ابن سعود في سنة ١٩١٦ لغزو هذه القبيلة التي لم يكن يأمن جانبها

وفي هذه الحملة الحربية قتل شقيقه المحبوب الذي ساعده اكبر مساعدة ، والذي كان ابن سعود يحبه حبا نادراً ، ومع ان ابن سعود يحزن كثيراً عند وفاة المقربين اليه من اسرته ، الا ان حزنه على شقيقه قد فاق الحد

وحل هملتون مكان شكسبير ، وكان اعجاب هذا الضابط الجديد بابن سعود لا يقل عن اعجاب سلفه

وفي الواقع انه لم يظهر اي انكليزي ، بل بالاحرى اي اوربي او اميركي لم يفتتن بمواهب ابن سعود الخارقة ، وعلى الاخص باخلاصه ومرونته ومهابته

١١

نشط الامير عبدالله بن الحسين لمقاومة ابن سعود، واثارة القبائل عليه، والامير عبدالله يحكم الان على شرق الاردن، وهو اشد امراء العرب نفوراً من الوهابيين وقد ورث هذا الكره الشديد عن ابيه، وان كان شقيقه الامير فيصل قد نصحه في سنة ١٩٢٣ بعقد معاهدة صداقة مع ابن سعود

وسار فيصل نحو الشمال وسار عبدالله مع شقيقه الامير علي لتطويق المدينة المنورة، ولكن فشلت كل جهود العرب في اجلاء الاتراك عنها فلم يسلموها الا بعد اعلان الهدنة، في كانون الثاني سنة ١٩١٩ عند ما امرتهم استمبول بالتخلي عنها

وهنا يجمل بنا ان نذكر الدفاع الذي قام به فخري باشا فهو يعد من اعظم الاعمال العسكرية الموفقة التي قام بها العثمانيون مدة نضالهم مع العرب

ومع ان الامير عبدالله هو الذي كان يقاتل ابن سعود، وفاء للوعود التي قطعها علَى نفسه، ولا يؤيدون من يناوئه، ولهذا قضى ابن سعود سني الحرب فى تحسين حالة «الاخوان» وحض رعاياه على الاستيطان والاستقرار، والاهتمام بزراعة الاراضي، وتعمير البلاد،

وكان حكيما اذ فكر على هذا النحو ، وكان ذكياً اذ عرف كيف يستغل الزمن احسن استغلال

اما اهم حادث فهو الدور الذي لعبته قرية (خرما) الواقعة على طريق «الرياض — مكة» وتبعد عن الطائف مسيرة ثلاثة ايام

كانت تعد هذه القرية قرية امير مكة ، وكان الكولونل لورانس يغدق على سكانها الذهب الى حد كبير ، وهذا ما حدا بهم الى الانضمام لجيوش الاشراف ومحاربة الاتراك

وكان ينوب عن الحسين في (خرما) خالد بن لوي (الذي فتح الطائف ومكة فيما بعد) وكان موالياً للحسين ، ولكن لعلة ما انقلب خالد هذا على مولاه الذي كان يدعو نفسه «ملك العرب» وسحب رجاله من القوات الحجازية

وفي ١٩١٧ كان النزاع قد اتسع مداه بين الحسين وخالد ، حتى ان معظم سكان خرما اعتنقوا الوهابية ، وطرد خالد كل من اراد ان يظل موالياً لمكة وللشريف حسين ، واعلن ان خرما اصبحت سعودية وانها قد انفصلت عن العائلة الهاشمية

ووجد الهاشميون الذين اشتهروا بجرأتهم كما اشتهروا بكبريائهم انه سواء اكانت الحرب قائمة او غير قائمة فلا بد من القتال ، وان عمل خالد هذا هو فوق ما يمكن ان يحتملوا

وعلى هذا حمل الهاشميون في حزيران سنة ١٩١٨ على خرما حملة

عجلت بالقضاء على نفوذ البيت الهاشمي ، وزادت النزاع بين الوهابيين والاشراف احتداماً ، وكان من نتيجته ان استطاع ابن سعود ان يبسط سيطرته على شبه جزيرة العرب ، من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر

وقبل ان نبين حالة خرما في سنة ١٩١٨ ينبغي ان نعود الى الحديث عن الرياض

كان ابن سعود يراقب في ارتياح ورضى ، ما يجري في الشرق فقد كانت القوات الانكليزية دحرت الجيش التركي المرابط في العراق كما انه كان يراقب ما يجري في الغرب مراقبة دقيقة ، وكان لا يطمئن مطلقاً لتوغل الحسين في بلاد العرب ، وطمعه المتزايد في بسط سلطانه عليها ، وطموحه لان يكون ملك العرب قاطبة

ووصلت لجنة انكليزية الى الرياض في نهاية تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وكان المندوب الانكليزي السياسي في الكويت الكولونل هملتون هو اول من وصل ، كما انه كان اول من ترك الرياض ، وقد جاء معه جون فيلبي والكولونل كنليف اون

ومنعت اللجنة ابن سعود من مهاجمة الحسين ، بالرغم من ان عداوة ابن سعود للحسين كانت تزداد تقريباً كل يوم ، ونصحت اللجنة ابن سعود بمقاتلة ابن الرشيد

وكان ابن الرشيد قابعاً في امان لا يتعرض احد له بسوء منذ موقعة جراب في سنة ١٩١٦

وفي الواقع ان مهمة اللجنة لم تكن هينة فانها لم تكن تحمل الذهب المغري كما كان يحمله الكولونيل لورنس

وعَلَى هذا رأى ابن سعود ان خير طريقة يسلكها هي ان يحتفظ بنجد والحسا ، وان ينتظر ما يخبئه له الغيب

ونجح الانكليز بصبرهم على ابن سعود ، واغرائهم المتواصل له . اجل ، وعد ابن سعود الانكليز اخيراً وعداً نهائياً قاطعاً بانه سيبدأ حملته عَلَى ابن الرشيد ، وسار الى القصيم في ايلول سنة ١٩١٨

ولما وقف ابن الرشيد عَلَى نيات ابن سعود عاد فوراً من الحجاز — وكان يقيم في « مدائن صالح » منذ ١٩١٧ يساعد الاتراك — للدفاع عن حائل

وتطاحنت القوتان عند «يعتب» من املاك شمر ، وكان الظفر في هذه المرة لقوات ابن سعود

وانصرف الظافرون الى تقسيم هذه الاسلاب الوفيرة ، وكانوا قد انقطعوا زمناً طويلاً عن خوض المعارك ، واشتاقت نفوسهم للغنائم فاتاحوا بذلك لابن الرشيد فرصة الهرب

***

اما الحسين فكان غضبه من ارتداد خالد بن لوءي عظيماً ، حتى

انه ارسل في حزيران سنة ١٩١٨ قوة من مكة لاخضاعه واعادة خرما الى الحجاز، ولكن هذه الحملة فشلت فشلاً شائناً، وقد هزمها القرويون وحدهم، فاستولوا عَلَى كل اسلحتها دون ان يحتاجوا الى اي مساعدة من الرياض، ولما جاءت هذه الاخبار للرياض فرح الوهابيون فرحاً شديداً

وحمل الاشراف في الشهر التالي على خرما، ولكنهم صدوا هذه المرة كما صدوا في المرة السابقة، ولما رأى الحسين استخفاف سكان الرياض بالقوات الهاشمية، بلغ سخطه الحد الاقصى، فصمم على الانتقام المريع، فارسل قوة ثالثة اكبر من القوتين السابقتين، ولكن سكان قرية خرما هزموا القوة الثالثة الهاشمية، بعد ان استعانوا بعدد من البدو، ولم يمكنوا الحسين من الانتقام منهم

واجتمع المندوب السامي في العاصمة بابن سعود، واقنعه بضرورة ارسال «رسالة ودية» للحسين، فاطاع، ولكن الشريف حسيناً اعاد الرسالة دون ان يقرأها، ولما عادت الرسالة من مكة دون ان تفتح، ثار ابن سعود وهاج، وكان هذا الحادث فاتحة عصر جديد في تاريخ الخصومة بين الحسين وابن سعود

اجل، كان غضب ابن سعود عظيماً فصمم عَلَى خلع الحسين ليعلمه بانه هو الذي يمثل بلاد العرب حقيقة وان العرب الحقيقيين هم الذين يعترفون بولائهم للرياض، ويعلنون طاعتهم لها

ولكي ابين الى اي درجة بلغ الغضب بابن سعود اذكر الحديث الذي دار بينه وبين الكولونيل هملتون، وذلك في اواخر سنة ١٩١٧ فان هذا الانكليزي لامه على عجزه عن مقاومة الشريف الحسين، واستفزه قائلاً : ان الشريف حسيناً قد استطاع بجهوده ان يصبح ملكاً ، وان قوته في نمو مطرد ، فاجاب :

ان الحسين قد استطاع التوغل في شبه جزيرة العرب مستعيناً بالاجانب ، والامير العربي الذي يستند على المساعدات الاجنبية ، يبني زعامته على الرمال ، فسرعان ما تكتسحها اي حركة قومية عظيمة ، كالنهر يجرف في فيضانه كل ما يقف في سبيله ، حتى المساكن التي شيدت على ضفتيه

١٢

ضاق صدر ابن سعود عندما تسلم في تشرين الاول — اي بعد فشله في القضاء عَلَى ابن الرشيد في ايلول — عدة رسائل تحمل اليه انباء مكدرة ، منها :

• سفر اللجنة الانكليزية التي جاءت للمفاوضة، وان الملك حسين يعطف سراً على ابن الرشيد ويؤازره في الخفاء ... وان الانكليز سيرغمونه على الانقطاع عن حملاته عَلَى حائل، تمشياً على رغبة الملك حسين، وانهم سيستردون منه الالف بندقية، وكل الذخيرة الحربية التي قدموها لمندوبه في الكويت الشيخ عبدالله النفيسي ... وان الحكومة الانكليزية هي التي كانت ترغب في التفاهم معه ، على الرغم من معارضة المندوب الانكليزي في مصر السير ريجنلد وينجيت ، الذي كان معارضاً في ارسال لجنة لتسوية حدود نجد والحجاز

وكان المستر فيلبي يعتقد ان الشرر الذي كان يتطاير من عيني الحكومة الانكليزية ، واللهجة التهديدية التي كانت تخاطب بها ابن سعود في تشرين الاول سنة ١٩١٨ لم تكن الا نتيجة تدابير رجل واحد ، هو الشريف حسين ...

وكانت الحكومة البريطانية لا تعتبر رجلاً آخر سواه ولا تقدر كلام احد غيره

طفح كيل ابن سعود عند ما سمع هذا الحديث من فيلبي ، فعرته رجفة غضب شديدة ، وقال في حدة :

— ومن الذي يستطيع الوثوق بالانكليز بعد كل هذه المناورات اذا كانت حكومتك تأبى العدول عن سياستها ، فسترى ماذا استطيع ان افعل ؟ . . . والله ، ان الشريف حسيناً هو وحده المسؤول عن هذه الطعنات التي تطعنني بها الحكومة الانكليزية ! . . واني لاعجب كيف استطاع الحسين ان يخدع الانكليز في مصر كل هذا الخداع ، ويموه عليهم كل هذا التمويه ؟ واني مصر على مهاجمته مهاجمة عنيفة ، اذا كانت حكومتك ستصر على معاملتي بمثل هذه المعاملة ، التي تشف عن تحيز تام للحسين

هذا ما كان يقوله ابن سعود في ساعة غضبه على الانكليز

وفي الواقع ان العالم بعد الهدنة كان في حالة اضطراب ؛ ولم تكن الامور قد استقرت . كان العالم يتخبط في حيرته وارتباكه ، في تردده وذبذبته ، في حمقه وجهله في كل الشؤون ، التي لها علاقة ببلاد العرب ، فالحكومة الانكليزية بالرغم من وجود اللورد كيرزون على رأس وزارة الخارجية ، كانت تحت سحر الدائرة العربية في القاهرة ، تلك الدائرة التي كانت ترضخ للشريف حسين ، وتجيبه الى كل ما يريد ، اعتقاداً منها ان رضا الحسين من الامور التي لا مفر منها ، تهدئة لاعصاب العرب الذين ابلوا بلاء حسناً في الحرب العالمية

كانت هذه الدائرة العربية في القاهرة تريد اقناع «الهويت هول» بالموافقة على نصب الحسين ملكاً على كل بلاد العرب ، وكانت ترى هذه المكافأة ديناً للعرب على الانكليز ، ولكن كان تجاهلهم ابن سعود لا يدع بلاد العرب تعيش في امان وطمأنينة

وعبثاً حاول المندوب السامي في العراق تنبيه اذهان الانكليز في القاهرة ، الى الخطر في هذا التحيز الذي لا مبرر له ، وكانت له وقفات محمودة في اثناء جلسات مؤتمر الصلح ، دافع فيها عن ضرورة اعتراف الانكليز باستقلال نجد

ومرت الاسابيع سراعاً والزعيم الوهابي حائر لا يدري الخطة التي سينهجها المتفاوضون في باريس ، ولم يكن وقف على نياتهم نحوه ، كان يخشى ان يتجاهلوه ، ولكنه اعد العدة لمكافأتهم على كل تجاهل يقع منهم ، ان التغاضي مؤلم ، ولكنه يستفز صاحبه

وفي الوقت عينه لم يكن الملك حسين — ملك الحجاز راضياً ..
فقد كان يتوقع — بناء على المراسلات التي دارت بينه وبين الحكومة الانكليزية في سنة ١٩١٥ — بان لا تنتهي الحرب حتى تكون الاقطار العربية الفسيحة — من جبال الاناضول الى المحيط الهندي ، ومن حدود ايران وفارس ، الى البحر الابيض المتوسط .. تحت سلطانه

ولما استفاق من حلمه ، رأى ان الانكليز قد ثبتوا اقدامهم في

سورية ، والصهيونيين في فلسطين ، ورأى الانكليز قد ثبتوا اقدامهم ايضاً في العراق ، فكانت صدمة للملك حسين واي صدمة ! ..

ولكن الحسين لم يستسلم للحزن ، واكتفى بان قال :

انها مؤامرة من الحلفاء عَلَى العرب ، وبدأ صفحة جديدة في تاريخ كفاحه ، مستعيناً بولديه عبدالله ، وفيصل ، عَلَى التحرر من الانكليز ، وابعادهم عن شبه الجزيرة ، كما نجحوا هم في تخليص الاتراك وطردهم منها

وقد اراد ان يبدأ نضاله بالثأر من سكان خرما ، بعد ان فشل ثلاث مرات في التغلب عليها ، فعادت قواته مدحورة

وكان ابن سعود قد وعد سكان هذه القرية وعداً اميناً قاطعاً ، بانه لا بد ان يحميهم من اي اعتداء جديد عليهم قد يقع من الشريف حسين . وقد كان يقول ان خرما كانت وهابية وستظل وهابية

ولكن الشريف حسيناً من الناحية الاخرى كان لا يقل عن ابن سعود اصراراً بضرورة ضم خرما الى الحجاز ، وكان يعتبرها جزءاً لا يتجزأ منه ، ولهذا لم يكن من الممكن ايجاد حل وسط حسماً للنزاع بين الاميرين العربيين .

وتأهبت الجيوش في اواخر شباط سنة ١٩١٩ وكان من المتوقع ان تصطدم القوات السعودية بقوات الشريف حسين، وليس من الممكن تجنب الحروب

وعندما تحرجت الامور الى هذا الحد ، عقدت الحكومة الانكليزية موءتمراً في العاشر من آذار لاعادة النظر في الشوءون العربية المضطربة

وقرر الموءتمرون بالاجماع ضرورة قيام الحكومة الانكليزية بتعهداتها ، وكانت الآراء مجمعة عَلَى انه اذا نشب القتال بين الحسين وابن سعود ، فالفوز مضمون للحسين ... الذي كان يتفوق على خصمه بعداته الحربية ، وبخبرته الحربية الواسعة

وكان اللورد كرزون هو الذي يترأس هذا الموءتمر ، فوقف في ختام جلساته وصرح قائلاً :

« سياستنا هي سياسة الملك حسين »

وكان المستر جون فيلبي هو وحده بين اعضاء الموءتمر يعتقد اعتقاداً لا يداخله ريب ، ان الحسين لا يمكن ان ينتصر اذا قامت الحرب بينه وبين خصمه اللدود ابن سعود

وقع القتال فعاد الانكليز الى عقد موءتمر جديد في « هويت هول » ووافق الموءتمرون على تخفيض الاعانة المالية الشهرية التي يتلقاها ابن سعود من الانكليز ، من خمسة آلاف جنيه ، الى الفين وخمسمائة جنيه ، ولكن السير ارلوند ولسون ، المندوب السامي في العراق ، اظهر شجاعة نادرة ، وحكمة عظيمة ، فحال دون تنفيذ هذا القرار وفي الواقع ان الزعيم الوهابي لم يتبلغ من السلطات هذا القرار رسمياً

وبينما كان الانكليز يتفاوضون ، كان هو يضع الخطط للقتال ، ولم يكن يهتم كثيراً بالاعتبارات المالية، بل لم يكن افتقاره للمال وحده كافياً لصده عن القتال

وشعر ابن سعود بان لا مفر من القتال ، وان كيان مملكته كله قد تعرض فعلاً للخطر ، وان عليه ان يبطش قبل ان يُبطش به

وقام الامير عبد الله ابن الشريف الحسين على رأس جيش قوي جداً لصد حملات الوهابيين

اما الامير عبدالله فهو ذلك المقاتل العربي الذي استطاع بحذقه في اواخر نيسان سنة ١٩١٩ ان يجمع تحت لوائه خمسة آلاف جندي فضلاً عن البدو الذين كانوا يحتشدون حوله طمعاً في الاسلاب المنتظرة ، بينهم اربعة آلاف جندي، من السوريين والعراقيين، الذين تمرنوا تمريناً كافياً في الجيوش التركية ، والذين كانوا قد اختبروا فنون القتال في اثناء الحرب العالمية ، وعرفوا كيف يستخدمون الآلات الحربية الحديثة

تركت قوات الشريف عبدالله «الطائف» تحت قيادته ووجهتها خرمة ، فمرت في طريقها على (تربه) ، قرية مسورة واقعة على مسافة ٤٠ ميلاً من جنوبي غربي واحة خرما ، وهي واثقة كل الثقة من الانتصار ، ومعتزة كل الاعتزاز بعداتها الحربية الحديثة

واكتشف الامير عبد الله عند وصوله الى تربه ، ان بعض سكانها

قد اتفقوا سراً مع الوهابيين ، وانهم سيناصرونهم ، كما فعل مكان خرما على السواء ، منذ سنة او سنتين ، فلم يكن منه الا ان جمع من اشتبه بامرهم ، واباده عن آخرهم

وقد تظاهر اقارب المقتولين بالطاعة لابن الحسين ولكن خوفهم من الامير عبدالله لم يكن ليمنعهم من الاحتفاظ في قلوبهم بالولاء للقضية الوهابية ، والامامة لابن سعود ؛ فاخذوا يمدونه بالاخبار التي استطاعوا «تهريبها» ليأخذ عدته وليتأهب للطوارىء

اما الجيوش الغازية فقد كانت راضية كل الرضا ، وما ذا يمنعها عن ان تكون راضية ، وقد خيل اليها انها طهرت المكان من الخونة ، وانها حصينة طبقاً لاحدث الفنون الحربية ، وفضلاً عن هذا فان الامير عبد الله بذاته وهو من الرجال الذين يثقون بانفسهم ثقة لاحد لها ، هو الذي يقود هذه الجنود ، ازاء هذه العوامل رأى رجال الامير عبدالله ان يناموا ليلة اليوم الرابع والعشرين من ايار سنة ١٩١٩ وان يستغرقوا في النوم ...

***

سمع خالد بن لؤي ذلك الرجل الذي ائتمنه الحسين ، واقامه حاكماً من قبله على خرما بحملة الامير عبدالله ، فاستشاط غضباً وصمم على القتال ... وكان من المقاتلين النادرين الذين لا يستطيعون كبح عواطفهم ، فدفعته هذه الحدة وكان يقيم مع رجاله في مكان يبعد عن

شرق خرما عدة اميال بالقرب من آبار سفا ، الى مباغتة الامير عبدالله ورجاله وافناء هذه القوة عن آخرها ، فقام للقتال دون تمهل ، بل دون ان يستشير ابن سعود ذاته ، وكان قد تضايق من كبرياء رجال الامير عبدالله وغرورهم المعيب

ووصل خالد بن لؤي ورجاله ليلاً الى تربه وقد بلغ بهم الغضب كل مبلغ .. وكان الظلام دامساً ، والهدوء يشمل الواحة ، فهجم خالد ورجاله عَلَى الجنود النيام واخذوا يذبحونهم

وكانت هذه المجزرة التي وقعت من النوع الذي لم تشاهده بلاد العرب منذ اكثر من مئة سنة ، وفي الواقع انها هزت العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه ، ولم يبق من رجال الامير عبدالله الذين كانوا يزيدون عن خمسة آلاف ، غير مائة رجل ، هربوا ليرووا الفظائع التي وقعت في تلك الليلة المشؤومة ، واننا نحمد الله ان حفظ حياة الامير عبدالله وابقى عليها ، فقد تمكن الشريف عبدالله من الهرب بقميص نومه ، فقصد والده حالاً واخذ يسرد له ما وقع . ثم اجتمع الامير عبدالله فوراً بممثل الحكومة الانكليزية في جده ، وقص عليه امر هذه القوة الوهابية التي ابادت رجاله عن آخرهم

وفي اليوم التالي وصل ابن سعود الى المكان الذي وقعت فيه المجزرة — وقد اصبح الآن من الاملاك الوهابية — فعرته رجفة

شديدة عند ما رأى خمسة آلاف جثة ، ولم يكن قد شاهد في حياته مثل هذا العدد من القتلى

ولما كان بطبيعته جندياً رحيماً فقد دفعته الشفقة الدفينة في صدره ، ان يسير بين هذه الضحايا العربية الغالية والدموع تنهمر بشدة على وجنتيه ، بكى ابن سعود لهول الفاجعة وقال :

• ان عبثاً كهذا قد اثقلني وملأ قلبي غماً

وكل الذين رأوا ابن سعود في حالة حزنه ، و كل الذين سمعوا اقواله في تلك النكبة ، سواء كانوا من انصاره ، او من انصار الاشراف قد لمسوا فيه الاخلاص

وان قصصاً كهذه يحفظها العرب في صدورهم و يتوارثها الابناء عن الآباء

اما العالم الذي يهتم ببلاد العرب فلم يجزع لخبر هذه المذبحة الشنيعة التي وقعت في تربة ، قدر جزعه عند ماعلم بان قائداً وهابياً كخالد لا يعد شيئاً بجانب ابن سعود قد تمكن من افناء خمسة الاف من زهرة الجيش العربي . واخذ الناس يتساءلون : اذا كان هذا فعل قائد صغير من قواد ابن سعود ، فما بالك بما يفعله مجموع الاخوان ومن يقف في وجه القوات الوهابية ؟ اليس بامكانها ان تسود بسهولة على الاماكن المقدسة في بلاد العرب كلها ؟ اليس في وسعها ان تعرض حياة الالوف من المسلمين للخطر ! . اليس هؤلاء المسلمون

تحت حماية الدول الاوربية ؟ وهل يستطيع ابن سعود ذاته ان يكبح جماح رجاله ؟ . هذه الافكار التي كانت تجول في عقول الانكليز وغير الانكليز

وفكرت الحكومة الانكليزية في ارسال قوات كبيرة لمقاومة هذا العدو المخيف ، ولكن مرونتها السياسية ابت عليها ذلك

وظل الطريق الى مكة وساحل البحر الاحمر مفتوحاً امام هؤلاء النجديين ، ولم يكن هناك ادنى ريب في قدرة الوهابيين الظافرين على التوغل في الحجاز اذا شاؤا

وكان في جدة آلاف من اللاجئين المسلمين ، معظمهم من الهنود ، وهم من رعايا الانكليز جاؤا للاراضي المقدسة في بلاد العرب قصد الحج ، فقصدوا القنصل الانكليزي وغيره من القناصل ليدبروا لهم البواخر التي تعيدهم الى وطنهم في اقرب وقت ممكن ، بعد ان بلغت مخاوفهم من الوهابيين الحد الاقصى

ولكن ابن سعود اراد ان يطمئن العرب والهنود ، بانه قد توقف عن القتال ، وانه قد اقتصر بهذه المظاهرة التي تجلت فيها سيادته على الشريف حسين . وكان يشعر بان انتصاراً كهذا لا بد ان يقنع الحكومة الانكليزية بخطأها في تقدير منزلة الشريف حسين ، وحقيقة الموقف الدقيق الذي تمر فيه البلاد العربية ، وكان هذا الشعور وحده هو الذي حمله على الاقامة في الجهات الشرقية

وقد برهن ابن سعود بتوقفه عن القتال على سياسة ودهاء وحذق اذ لا خطر عليه وهذا موقفه من تعرض بريطانيا العظمى له ، بل في وسعه ان يجتذب رضاها ، وهو لم ينقطع في يوم من الايام عن التودد اليها ، وان كانت لم تبال مبالاة كبيرة بما يجري في اواسط بلاد العرب

كما ان بريطانيا العظمى قد وجدت في الشريف حسين ملك الحجاز رجلاً عنيداً لا ينقاد بسهولة ، وهي وان كانت لم تتصل معه باي معاهدة رسمية ، الا انها كانت تجد نفسها مضطرة احتفاظاً بالشرف البريطاني ، والعهود التي قطعتها على نفسها ان تقدم له كل مساعدة ممكنة ، في الوقت الذي كان الوهابيون يهددون عاصمة ملكه تهديداً حقيقياً

وليس هناك ادنى ريب في ان انتصار الوهابيين في موقعة تربة كان له اثره في اجبار الانكليز على تعديل رأيهم في ابن سعود

١٣

انتعشت آمال الوهابيين عقيب هذا النصر الذي احرزوه ، وفرحوا بما كان له من تأثير في مجرى السياسة الانكليزية في بلاد العرب ، فان ابن سعود كان لا يريد ان يقطع الامل من انكلترا لانه كان يرى انه اذا وفق في اجتذاب الانكليز اليه يكون قد نجح نجاحاً عظيماً

وبلغ من اهتمام ابن سعود بالانكليز ان ارسل ابنه الثاني الامير فيصل الى لندن في مهمة «تهنئة»

وكان هذا الرسول الملكي لايتجاوز الرابعة عشرة في ذلك الحين ولكن زيارته نبهت الانكليز الى وجوب مراعاة مصالح اخرى بجانب مصالح العائلة الهاشمية ، والى ان في شبه جزيرة العرب قوة ينبغي ان يحسبوا لها حساباً

سافر الامير فيصل بن سعود من الرياض ، مع عمه احمد بن ثنيان ، وسافر معهما المستر فيلبي الذي كان يعد المستشار الانكليزي المتخصص لشؤون نجد ، ولم تكن هذه الزيارة لغرض دبلوماتيكي معين ، ولكن نتائجها على وجه العموم كانت مرضيه مفيدة

وفي الوقت عينه وجد الشريف حسين ، ملك الحجاز ، بان آماله الكبيرة في الزعامة المطلقة على شبه الجزيرة لم تتحقق ؛ بعد ان افشيت

اسرار اتفاق « سايكس بيكو » في سنة ١٩١٦ على تقسيم سوريا والعراق ، بين الفرنسيين والانكليز ، وعندما اعلن وعد بلفور ، وتعهدت بريطانيا العظمى لليهود بان تسهل لهم العودة الى فلسطين وان تجعلها وطناً قومياً لليهود

ولكن هذه الخيبة التي لاقاها الشريف حسين لم تكن شيئاً ، بجانب النزاع الذي قام بينه وبين ابنه فيصل في الحرب العالمية ، فان فيصلاً قائد القوات العربية التي كانت تحارب في الصحراء ، لو لم يخالف التعليمات التي كان يتلقاها من ابيه ، لما استطاع ان يحقق غير جزء ضئيل من الاشياء التي استطاع تحقيقها

وابى الشريف حسين ان يقدر موقف الحلفاء الدقيق ، والصعوبات التي جابهتهم عند ماحاولوا التوفيق بين الوعود المتضاربة ، التي كانوا يقطعونها بسخاء لامراء العرب ، واصر على عناده ، فلم يبال بالامر الواقع ، ولم يكترث بحقيقة الموقف ، فكان يتوقع ابرام معاهدة انكليزية حجازية لا تصون مركزه في داخل بلاد العرب فحسب بل تجعل العالم كله ، خارج بلاد العرب ، يرى فيه سيد شبه الجزيرة اجل كان يريد المجد الشخصي ... ولكن المعاهدة لم توقع ، فتحطمت آمال الحسين

جاء لورنس الى جده في سنة ١٩٢٠ وحاول اغراء الحسين بقبول شروط ، غير الشروط التي وضعها هو ، ففشل وعاد خائباً يقول

بانه لا يمكن عقد اية معاهدة ترضي هذا الملك الطاعن في السن ، والمعجب بنفسه اعجاباً يفوق الحد

ولما وجد الحسين بان الامور تجري على غير ما تشتهي نفسه ، في خارج بلاد العرب ، صمم عَلَى توحيد كل جهوده لتوطيد مركزه في داخل شبه الجزيرة ، فاخذ يشير عَلَى امراء الحائل والكويت والعسير بمكافحة الوهابية ، وكتب عدة رسائل الى ابن الرشيد طافحة بالتحريض على الوهابيين ، كما انه ارسل عدة رسائل لحاكم امارة العسير .

اما خطابات التحريض هذه فقد جاء بها الجواسيس الى ابن سعود فلم تصل لاصحابها !

وكان انتصار الوهابيين في موقعة خرمه قد جعل القبائل الواقعة على الحدود تستسلم للخيال ، وتفكر في المكان الذي ستحل به الضربة الوهابية الثانية ، فانه وان كان الوهابيون قد احجموا عن الاحتشاد حول الحجاز ، الا انه كان من الجلي ان الاخوان في الوقت الذي يشعرون فيه بالحاجة الى « التوسيع » عَلَى انفسهم لا بد ان « يتمددوا » ... عَلَى الاقل لقابليتهم للانتشار ! .... وان قواهم المدخرة لا بد ان ينتفع بها عند الحاجة ، ولا يمكن ان تهدأ ثائرة الوهابيين بغير الفتوحات الجديدة ، والاسلاب الجديدة

وصمم ابن سعود على تصفية الحساب مع العسير ، الواقعة بين

الحجاز واليمن ، وكان جزء منها خاضعاً للحجاز ، وجزء لليمن وجزء للاتراك ، وجزء مستقل ، يتحكم فيه الادريسي

وتعد العسير اول ولاية عربية اشتركت اشتراكاً فعلياً في الحرب العالمية بجانب الحلفاء وبعد ان انتهت الحرب بين ١٩١٩ و١٩٢١ اخذت تلعب لعبتها القديمة ، وتتسع على حسب جاراتها

وفي صيف ١٩٢٠ جهز ابن سعود حملة كبيرة مؤلفة من خمسة الاف رجل ، تحت قيادة ابنه الامير فيصل، الذي قصد انكلترا قبل ذلك بسنة واحدة

اما (ابها) عاصمة نجاد العسير فتقع على مسافة سبعمائة ميل من الرياض او مسيرة ثلاثين يوماً وكانت سفرة كهذه تعد شاقة دون ريب ، على قائد لا يزال صبياً ولكن هذا القائد ، الصبي المقتحم ، قد قام بمهمته بنجاح عجيب

ومع ان «الاخوان» قد هزموا في المناطق المنخفضة من العسير فانهم لم يحتملوا جو هذه الانحاء الفاسد ، وكان على النجديين ان يتقهقروا من ميناء «القنفذة» الا انهم تمكنوا من الانتصار في المناطق المرتفعة من العسير ، واستطاعوا الاستيلاء عَلَى عاصمتها (ابها) التي اصبحت اليوم من الاملاك الوهابية

وعادت حملة الامير فيصل سنة ١٩٢١ الى الرياض ظافرة مغتبطة ، ومنذ ذلك الحين والامير فيصل يسمي بطل (ابها)

وبينما كان ساسة الحلفاء يهدمون آمال الشريف حسين في شمال بلاد العرب، ويحبطون مساعيه بحيلهم ومكائدهم، كانوا يطلقون قوات خصمه تمرح حتى وصلت الى حدوده الجنوبية الغربية

ولم يكتف ابن سعود بضم جزء من العسير الى املاكه، بل ذهب الى ابعد من هذا، فاطلق جماعة من الاخوان ليأسروا قافلة جاءت من اليمن للحج الى مكة، فوجد الشريف حسين ان الحالة لم تعد تحتمل، وان مهابته اذا صبر ستضيع حتماً، ولا ينبغي ان ننسى كبرياء الحسين واعتداده بنفسه، ولكن ماذا عساه ان يفعل؟... انه وان كان قد ساعد الحلفاء على الانتصار في الحرب العالمية، قد وجد بعناده انه اصبح في عزلة، وان الحلفاء لا يبالون بوجوده، بل ان انجاله انفسهم لم يوافقوه عَلَى سياسته، بل وضعوا ايديهم في ايدي الحلفاء تارة، وناضلوهم تارة اخرى، فاعتلى الملك فيصل بعد الحرب العالمية عرش سورية بفضل الانكليز، ولكن الفرنسيين في سنة ١٩٢٠ اخرجوه من سورية، وفي السنة عينها انتخب الامير عبدالله ليكون ملكاً على العراق ولكنه لم يذهب اليها، اتدري السبب؟ لم يجد من المناسب ان يذهب ليحكم الشعب العراقي، الذي كان لا يعرفه الا بمجرد الاسم!

ورأى الحسين ان انجاله يفكرون فى تحقيق امانيهم بوسائل اخرى، غير تحدي الحلفاء، وانهم لا ينوون النضال مع الوهابيين،

فلا بد اذن من الاستعانة بغير هؤلاء الانجال على اكتساح خصومه، فوقع اختياره على ابن الرشيد، وكان يناصره، بل لم تكن صلات المودة قد انقطعت بينهما مطلقاً، بالرغم من ميول آل الرشيد التركية، وانتصارهم للاتراك في الحرب العالمية

وادرك الشريف حسين ان اسياد الحائل هم وحدهم يستطيعون قهر ابن سعود

واخذ الملك حسين يغري ابن الرشيد بالذهب، ويمده بالاسلحة، على امل ان تنتقم قبيلة شمر، والقبائل المجاورة لها من الوهابيين

اما ابن الرشيد فشعر بعزلته بعد الحرب العالمية، ولهذا اغتبط بمساعدة الشريف حسين له للتشفي من ابن سعود، الذي كانت العداوة بينه وبين آل الرشيد تكاد تكون موروثة

وحدثت حادثة غير منتظرة كانت السبب المباشر للاصطدام، بين القوتين الرشيدية والسعودية، هذه الحادثة هي اغتيال سعود بن الرشيد في اواخر سنة ١٩٢٠

وكان هذا الزعيم على جانب عظيم من الذكاء والشجاعة، بل وعلى قسط كبير من السياسة والحنكة، وهو الذي استرد اقليم (الجوف) المسلوب، الذي اغتصبه نوري الشعلان زعيم قبيلة الرولا اثناء الحرب العالمية

وخلف سعود عبدالله بن متعب والذي لم يتمتع بالحكم غير سنة واحدة لضعفه

وشعر ابن سعود اخيراً بان الفرصة قد اصبحت سانحة للاتجاه شمالاً الى (القصيم) ولم يكن احد اكثر من الاخوان تشوقاً واستعداداً للهجوم والقتال ، فانهم كانوا قد قضوا سنوات الحرب العالمية لا ينالون شيئاً من غنائم العراق والكويت

وفي ربيع سنة ١٩٢١ وضع ابن سعود خطة الهجوم على ولاية (الحايل) فقسم جيوشه الى ثلاثة اقسام :

قسم مع شقيقه محمد ، وآخر مع فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير المشهورة بقوة رجالها المتناهية، وثالث تحت قيادة نوري الشعلان

على عرش نجد

ولكن قبل ان يقوض اركان بيت الرشيد ويقضي عليه، انتخب سلطاناً عَلَى نجد وملحقاتها اذ اجتمع علماء نجد وقادتها ، واصحاب الامر والنهي فيها ، واتفقوا فيما بينهم عَلَى دعوة ابن سعود للرياض لتنصيبه ملكاً على عرش نجد ، ولما عرضوا عليه هذه الفكرة لم يمانع ومن هو اجدر منه بعرش نجد ؟

وقد طلب ان تعترف انكلترا رسمياً بهذا العرش ، فاجابته الى طلبه في شهر آب ، فاطمأن بغض الاطمئنان للشعور الذي بدا من

الانكليز ، ولكنه قلق عندما وجد ان فيصلاً بن الحسين وصل في شهر تموز الى العراق لاعتلاء عرشه

صمم ابن سعود على مهاجمة الحائل، وجعل القصيم مركزاً للقيادة العليا ، وارسل فرقة تحت قيادة شقيقه محمود ، واخرى تحت قيادة ابنه سعود

. وسعود هذا هو ولي العهد اليوم ، ونائب الملك في نجد ، اما شقيقه الاكبر الامير تركي ، الذي كان محبوباً من الوهابيين حباً نادراً ، فقد اصيب بالانفلونزا وتوفي بها سنة ١٩١٩

اما حملات الوهابيين فكانت اشد من ان يحتملها الامير عبدالله ابن متاب ، فاخذت الضربات تتوالى عليه حتى ادهشته ، فلم يدر ايحارب نوري الشعلان من الشمال او فيصل الدويش من الشرق ، او القوى الوهابية الكبرى التي كانت تهاجمه من الجنوب؟ وقد اراد ان يكون فيلسوفاً اكثر منه جندياً ، فطرح نفسه تحت اقدام ابن سعود الذي امر بأخذه اسيراً ، ثم عفا عنه وهو الى اليوم يقيم في العاصمة طليقاً

وأبت الحائل الاستسلام دون نضال ، وقام محمد بن طلال مكان عبدالله . وكان هذا الامير الجديد يمتاز عن سلفه بشيء من الارادة ، فاصر على المقاومة وحرض سكان الحائل على الثبات

ولكن قوات الوهابيين كانت عظيمة ، فاحتل نوري الشعلان

الجوف الواقعة في الشمال ، وكان رجال فيصل الدويش لا يقلون عن الالفي رجل ، من اشداء قبيلة مطير ، ولكنهم تريثوا فلم يبدأوا القتال حتى نفد صبر محمد، وامر بالهجوم على الاخوان ، ودافع فيصل الدويش دفاعاً قوياً واسرع ابن سعود لنجدته، فهرب محمد الى الحايل

ولم تستطع العاصمة ان تقاوم اكثر مما قاومت ، بعد حصار استمر ثمانية اسابيع .

ولا يزال محمد يعيش اسيراً في الرياض

وفي كتاب الاستاذ امين الريحاني عن ابن سعود فصل شائق ممتع عن عائلة الرشيد التي اضطرت الى الاستسلام اخيراً للحكم السعودي ، وما زالت تعيش في امان وهدوء منذ ١٩٢٢

وكان القحط في سنتي ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ قد قضى على مئات الجمال والخيول النجدية ، بل في الواقع قد قضى على كل حيوانات بلاد العرب الداخلية ، حتى اصبح ابن سعود في حاجة الى وسائل النقل ، وكان افتقاره هذا من العوامل التي تضطره لتأجيل الحملة على الحايل ، لكنه ابى ان يكف عن القتال ، ما لم يخلص عرش الحايل من آل الرشيد

وعرض محمد ان يبقى اميراً على الحايل تحت حماية ابن سعود

فرفض الملك الوهابي ذلك ، وكان كرمه يتجلى بعد استسلام عدوه ، فقد اعتاد ان يعامل الاقطار التي يفتحها معاملة الفاتح الحليم

وهذا ما ساعده عَلَى الاحتفاظ بهيبته ، فهو على الدوام يعامل المدينة المستسلمة بكل رأفة ورحابة صدر ، فلم يأذن للاخوان بنهب الحايل ، بل عمد الى تقديم الارز مجاناً لسكان الحايل الجياع ، وان كانوا غير وهابيين

وتمكيناً لاواصر المودة بين الحايل والرياض ، اتخذ ابن سعود ، وابنه عدة زوجات مَن نساء العائلة الرشيدية الفاتنات ، وبهذه الوسيلة استطاع ابن سعود اكتساب قلوب اهل الحايل

ليس غريباً ان يكون الاستاذ امين الريحاني قد سمع كبير آل الرشيد يقول لسلطان نجد في الرياض :

« اطال الله ايامك ، وقوى دعائم ملكك »

ولكن احتلال الحائل جلب معه مشاكل جديدة ، فان ابن سعود وان كان قد تمكن من ضم ولاية الحائل اليه ، الا انه لم ينجح في اكتساب كل قلوب سكانها ، فان قسماً من افراد قبيلة شمر ، التي كانت تعد سند هذه الولاية ، وركنها الاقوى ، قد فضلوا الرحيل الى العراق على الخضوع للوهابيين ، اذ لم يستطيعوا ان ينسوا ما وقع بينهم وبين الوهابيين من معارك دامية وحشية.

وظل ابن سعود عشر سنوات اخرى يحل المعضلات التي قامت في طريقه بسبب الحدود ، حتى كاد يتولاه الخور ، ويصبح حكمه في خطر

١٤

استطاع ابن سعود اخيراً ان يفاوض الدول الاجنبية مفاوضة الند للند

وكانت حدود بلاده قبل احتلاله للحايل لا تعدى الكويت وجبل شمر ، والحجاز .

ووقع ابن سعود قبل ان يتم له اخضاع ابن الرشيد ، في مشاكل مع الكويت بسبب الحدود ، ادت به للاصطدام بالعراق وفي الواقع ان « الاخوان » لم يقصروا في سلب الكويتيين والعراقيين

وكان ابن سعود قد تعهد في المعاهدة التي ابرمت بينه وبين الانكليز سنة ١٩١٥ في جملة ما تعهد به ، ان يمتنع عن التدخل في شؤون الامارات العربية الموالية للانكليز ، وفي مقدمتها الكويت والبحرين

وما دام الكويت والرياض في وئام ، فقضية الحدود ليست بذات بال ، كما ان الشيخ مبارك كان على وجه العموم من المؤيدين الحقيقيين لابن سعود ، وكذلك ابنه جابر

ولكن لما اصبح الشيخ سالم الصباح حاكماً على الكويت ، اخذ ينتفع من وراء السماح بمرور البضائع المهربة

وهناك شواهد كثيرة على انه سمح بوصول «المدد» .. من مواد غذائية ، واسلحة حربية ، الى الجيوش الالمانية ، والتركية ، في سورية ، وفلسطين ، وللعرب ، الذين كانوا يوالون الاتراك ، ومرور ذلك في مينائه ، كما انه كان يضايق نجد تجارياً ، ويعصرها عصراً فصمم ابن سعود على ان يسير حملة لاجلاء الحدود الغامضة . وكان سالم هذا في الواقع لا يحب الوهابيين ، فلما قام النزاع سنة ١٩١٩ على الحدود اظهر العداء لابن سعود واضحاً جلياً

وفي ايلول سنة ١٩١٩ ارسل ابن سعود اقسى قواده فيصل الدويش لغزو الكويت ، ولكن سكان الكويت كانوا قد تأهبوا لمقاتلته فهزموه عند « جهرة » على بعد ٣٠ ميلاً من غرب عاصمتهم ، وكانت نتيجة هذه المعركة ان اصبحت الكويت مدينة حصينة ، فان الكويتيين وان كانوا قد صدوا الاخوان ، الا انهم كانوا يخشون عودتهم ، فتطوعوا لبناء سور عظيم لصيانة مدينتهم ، وما زال سور الكويت العظيم الى يومنا الحاضر ، ويبلغ ارتفاعه عشرة اقدام ، واتساعه ثلاثة او اربعة اقدام ، وله عدة ابراج للمدافع ، ولكن الكويت اليوم تعتمد في الدفاع عن نفسها على قوة الطيران الملكية

ورأى الشيخ سالم انه من المناسب ان يكون على وفاق مع ابن سعود ، فقد كانت الكويت تخشى الخطر الوهابي ، وعلى هذا اوفد

ابن اخيه احمد الجابر الرياض للمفاوضة ، ووضع اتفاق شامل بين الرياض والكويت

وبينما كان احمد في الرياض توفي الشيخ سالم في السابع والعشرين من شباط سنة ١٩٢١ واستطاع الشيخ احمد ان يكتسب صداقة ابن سعود ، فلما عاد الى الكويت في الرابع والعشرين من اذار عينه اشراف الكويت خلفاً لسالم ، ومنذ ذلك الحين والعلاقات بين الكويت ونجد طيبة

اما الحملة على جهرة فانها وان لم تكن اول حملة قام بها الاخوان في الصحراء بعد الحرب ، فانها تعد فاتحة لعدة معارك سببت ازدياد الضغائن والاحقاد ، بين الرياض ، و بغداد ، والكويت ، وعمان

ومن العبث ان نوقع اللوم كله على الوهابيين فقد كان خصومهم احياناً هم السبب المباشر للمعارك التي قامت ، ومع هذا لا نستطيع ان ننكر ان الوهابيين كانوا اقسى من اعدائهم ، كما ان معاملتهم للنساء والاطفال ، وافناءهم القبائل الآمنة التي تعيش من وراء رعي الاغنام وقتلهم العزل من السلاح ، قد تركت اثرها في نفوس العرب غير الوهابيين ، هذا الاثر الذي سيظل منقوشاً في قلوبهم ، لا يمكن ان يزول الا بعد عشرات السنين

ولما كان ابن سعود يريد على الدوام ان تكون صلاته طيبة بالانكليز ، فقد اوفد بعثة نجدية في شباط سنة ١٩٢٠ الى بغداد

قوامها: احمد بن ثنيان الذي كان مستشاراً سياسياً للامير فيصل اثناء زيارته لانكلترا في السنة التي قبلها ، والدكتور عبدالله الدملوجي من اهل الموصل . وقد صرف الدكتور دملوجي عدة سنوات في خدمة ابن سعود قبل عودته في ١٩٢٨ الى العراق

اما المباحثات التي دارت بين هذه البعثة الوهابية ، والسلطتين الانكليزية والعراقية ، في بغداد فقد ساعدت على تخفيف الازمة . وفي ايلول سنة ١٩٢٠ قابل السير برسي كوكس ، اول مندوب سام على العراق ، ابن سعود في (العقير) على الخليج الفارسي ، وكانت مقابلة « ودية » للغاية

وعرض السير كوكس الاقتراحات التي وصلت اليه من انكلترا عن حدود العراق ، فاعلن ابن سعود موافقته عليها

وهاجر الكثيرون من افراد قبيلة شمر الى العراق ، ومروا في اراضي « العمارات — عنيزة » وزعيم القبيلة التي تقيم في تلك الانحاء هو فهد بن هذال ، فبقي بعض المهاجرين مع قبيلة عنيزة ، وعبر البعض الآخر نهر الفرات ، عند « الرمادي » وانضموا الى عرب شمر الشماليين ، او الذين يقيمون في الشمال الغربي من العراق ، وكان المفروض في عرب شمر سواء من اقام منهم في مراعي قبيلة عنيزة ، او الذين عبروا الفرات ، ان يدفعوا الجزية لحكومة بغداد

وكان فهد زعيم قبيلة عنيزة او العمارات ، على وفاق مع ابن سعود

فاكد له الملك الوهابي ان قبيلته والقبائل المجاورة له ستكون بعيدة حتماً عن حملات الاخوان ، وارسل ابن سعود في نيسان الى الزعيم العراقي الكبير ، يذكره بانه هو نفسه ينتمي في الاصل الى قبيلة عنيزة العظمى وان عرب شمر لا يقبلون باي حاكم سواه

وكان ابن سعود حتى ذلك الحين ابعد الناس عن اظهار العداء للانكليز ، واستطاع ان يقنع رعاياه في سنوات ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ بالعدول عن الحج الى مكة ، خشية ان يحتكوا بالحاكم الهاشمي الشريف حسين ، وكان عمله هذا اكبر دليل عَلَى رغبته في صداقة بريطانيا العظمى ، وفضلاً عن هذا فقد وافق كتابة عَلَى الاقتراحات التي عرضتها عليه الحكومة الانكليزية بشأن العراق ، حتى الاقتراح الذي يقول بتعيين فيصل ابن الشريف حسين ملكاً عَلَى العراق

ولهذا كان ينبغي ان يقوم الانكليز من جانبهم لمنع الاذى عن صديق اخلص لهم كل هذا الاخلاص ، بسبب تصلب العراق في مطالبها

وعليه امر السير برسي كوكس كل اللاجئين من قبيلة شمر الى مراعي عنزة ، ان يتركوا العمارات وان يعبروا الفرات لتنظيم امورهم

واوعز كوكس للمندوب السامي في الكويت بتهنئة سلطان نجد ، بانتصاره على جبل شمر ، وكرمه الذي اظهره للمستسلمين ،

كما انه طلب اليه ان يقول لعظمته بان الحكومة الانكليزية تقدر سلوكه المرضي

وبعد هذه التمهيدات اقترح المندوب السامي ان يجتمع ابن سعود في اقرب فرصة بملك العراق ، ليبتا نهائياً في قضية الحدود العراقية النجدية ، والمعاملة التي ينبغي ان تلقاها القبائل المقيمة على الحدود

وكان ابن سعود يحب السير كوكس ، ولم يستطع ان يخفي اعجابه الشديد بقدرته السياسية ، كما ان مرور الايام لم تكن لتزيد هذه الصداقة الا تأصلاً وقوة ، ولكن ابن سعود من الناحية الاخرى كان شديد التخوف من دهاء الانكليز ، ولهذا اراد ان يكون على حذر منهم كما كان الشيخ مبارك من قبل ، وقال في نفسه أليس الافضل ان يوعز للسير كوكس قبل وضع المعاهدة بان يتباحثا في الاسس التي ينبغي ان يبنى عليها هذا الاتفاق

وكانت معاهدة المحمرة هذه ، اول مجهود حقيقي لحل معضلة اليهود ولكن لم يمض زمن حتى انكر ابن سعود هذه المعاهدة ، بحجة ان نجداً قد ضحت في سبيل العراق دون ان تنال شيئاً في مقابل تضحيتها ، وان المعاهدة لا تضمن الحقوق التي للقبائل النجدية في المراعي ، هذه الحقوق التي تتمتع بها هذه القبائل منذ قرون عديدة

وهذه بعض مواد المعاهدة المادة الاولى — تنتمي المنتفك ودفير والعنيزة للعراق ، وشمر لنجد ، وتعين لجنة مشتركة من العراقيين

والنجديين يرأسها احد الموظفين الانكليز تبت في قضية الآبار، التي تنتفع بها القبائل المتعددة وتحديد التخوم تبعاً لهذه الآبار

المادة الثانية — يوافق العراق ونجد على صيانة طرق الحج، وحماية الحجاج

المادة الثالثة — تمهد السبل لتبادل المنافع التجارية بين العراق ونجد .

المادة الرابعة — ضمان السفر للتجار والحجاج الذين يحملون جوازات .

المادة الخامسة — ينبغي على كل قبيلة تقيم في املاك قبيلة اخرى ان تدفع لها ثمن الكلأ

المادة السادسة — عند انقطاع العلاقات بين احد الطرفين المتعاقدين، والحكومة البريطانية تعد هذه المعاهدة باطلة وملغاة

ومما تقدم يرى ان هذه المعاهدة كانت ظفراً سياسياً للانكليز

وقصد السير كوكس العقير، في الحسا، وقابل ابن سعود في شهر كانون الاول، وتم الاتفاق نهائياً على ان تكون بداية الحدود من الطرف الغربي من «باطن» على بعد ١٢٥ ميلاً من «جنوب — جنوب غربي» البصرة وانها تمتد الى الشمال الغربي لجبل عنيزة، على ان يظل الطرف الجنوبي الشرقي من الحدود محايداً، ومن الاراضي المشاعة كما ان القبائل النجدية التي تتاخم الحدود يسمح لها بالاستسقاء من الآبار

العراقية المجاورة، بشرط ان تكون هذه الآبار اقرب اليهم من الآبار الواقعة ضمن الحدود النجدية .

واتفقت العراق ونجد على عدم تحصين اماكن المياه والعيون القريبة من الحدود ، وان لا تحشد الجيوش في الاماكن المجاورة لها

هذا هو « بروتوكول » العقير المشهور الذي ضم الى معاهدة المحمرة الخاصة بالحدود العراقية النجدية

ولكن اقصاء السلطان ابن سعود للمعاهدات شيء وعمل البدو بها شيء آخر ، فالبدو ما كانوا يفهمون ما ذا يقصد بوضع هذه المعاهدات ، ولا يبالون بمحتوياتها ، فالاسلاب والغنائم هي كل شيء في نظرهم

وبينما كانت المفاوضات دائرة بين العراق ونجد ، كانت تسوى مشاكل الحدود بين نجد والكويت

وكان يخيل للانسان ان مشاكل الحدود بين العراق ونجد والكويت قد سويت تسوية تامة ، ولكن في الواقع انه من الصعب الاحتفاظ بحدود ثابتة في الصحراء ، كما يعتقد الكثيرون من المطلعين الذين زادت مخاوفهم في سنة ١٩٢٨ عند ما راجت اشاعة قوية بان نجد قد اعلنت الحرب المقدسة على العراق ؟

وايقن الناس عندئذ ان العراق قد حفظ من هجوم الاخوان ؛ ولكن كان ذلك حبراً على الورق !

ومنذ سنة ١٩٢٢ والرأي العام في العراق ثائر على الوهابيين ، ولم يكن السر في هذه الخصومة وجود الملك فيصل على رأس الدولة — ولا ننس انه من افراد العائلة الهاشمية ، وابن الحسين خصم ابن سعود اللدود — وان كان وجود فيصل على عرش العراق كان من العوامل على زيادة البغضاء — بل بالاحرى لان السواد الاكبر من الشعب العراقي من الشيعة ، ولهذا كرهوا الوهابية ومقتوها ، وكرهوا الوهابيين ومقتوهم ، وكيف لا يكرهونهم وهم سلالة الذين اعتدوا على المدن الاسلامية المقدسة ، في اوائل القرن الماضي ؟ ...

ولكن الانكليز في العراق كانوا عَلَى وفاق مع الوهابيين ، وكانت صلاتهم بابن سعود جد طيبة ، حتى ان هذا السلطان في سبيل تقربه من الانكليز رأى ان يرسل في آب سنة ١٩٢٢ رسالة الى المندوب السامي في العراق ينكر فيها انكاراً تاماً الاشاعة التي راجت بان الوهابيين يفكرون بعقد معاهدة مع الفرنسيين في سورية ، وطلب من السير برسي كوكس ان يؤكد للملك جورج اخلاصه لجلالته ، وصداقته لبريطانيا العظمى !

١٥

قد يظن القارىء ان القدر الذي بسم في وجه ابن سعود ، حتى سنة ١٩٢١ واقبل عليه سيظل في ازدهاره واقباله ، حتى تنقاد كل شبه الجزيرة اليه ، وتتم الزعامة للحايل، ولكن ما ابعد هذا الظن عن الحقيقة ، فان البدوي متقلب في ولائه ، وليس اخلاصه بالشيء الثابت ، عَلَى نقيض العربي الذي يسكن المدن ، ويميل الى حياة الاستقرار ، وتفضيلها على معيشة التجوال ، فهو اكثر ثباتاً ، ولا يحيد عن ولائه الا في احدى حالتين :

اذا اقنع بضرورة التحول ، او اذا اجبر عليه اجباراً

وكان ابن سعود يهتم حينذاك بموقفه ازاء امارة شرق الاردن، التي اسسها الانكليز ليتلهى بها الامير عبد الله عن شؤون اخرى ذات بال .

ولا بد ان يذكر القارىء ان هذا الامير العربي الطروب كان قد انتخب سنة ١٩٢٠ ملكاً على العراق ، ولكنه لم يسعد بهذا العرش بل كان من حظ شقيقه فيصل ، الذي اعتلاه في السنة التالية

ولكن بعد ان اخرج الفرنسيون الملك فيصلاً من سورية ، بعد معركة ميسلون في تموز سنة ١٩٢٠ تلاشت المملكة السورية .

واخيراً قرر الحلفاء ان يسمحوا للفرنسيين بان يحكموا سورية،

سورية التي حكمها الملك فيصل زمناً قصيراً ، على ان يتركوا شقة الارض الواقعة في شرق الاردن

وكانت هذه الحركة التي قام بها الحلفاء على اكبر جانب من الاهمية في نظر ابن سعود ، الذي كان لا ينقطع عن التفكير في ايجاد المواصلات بين مملكته والمملكة السورية ، وكان مفتاح المواصلات في ايدي نوري الشعلان ، زعيم قبيلة الرولا ، المسيطر على منطقة الجوف ، والقرى الواقعة في وادي السرحان ، المشهورة باملاحها .

ومع هذا فان الدعاية الوهابية كانت تعمل عملها في هذه الاراضي ، التي كانت النفوس طامعة بها ، وليس ثمة ريب في ان ابن سعود قد ادعى بها جزء حيوي من املاك الحايل

وكان نوري الشعلان ابعد الناس عن الطموح نظراً لكبر سنه ، وانغماسه في لذائذ الحياة ، فاسرع الى الفرنسيين وعرض الصلح عليهم وطلب الوفاق ، ثم عاد الى الانكليز في شرق الاردن واعلن رضاه عن الشروط التي يطلبونها .

وعلى هذا حدث في ربيع سنة ١٩٢٢ ان ارسلت حكومة شرق الاردن نائباً عنها مع ممثل الحكومة الانكليزية في تلك البلاد — المستر جون فيلبي الذي كان في ١٩١٧ ، ١٩١٨ في بلاط ابن سعود في الرياض وفي سنة ١٩١٩ اصطحب الامير الوهابي فيصلاً الى لندن —

لمقابلة نوري الشعلان الذي لم يعارض رغبة الانكليز في ضم امارة الرولا ومن بينها الجوف وسكاكا الى شرق الاردن.

وكان لهذه الموافقة من نوري الشعلان اثرها في نفس ابن سعود، فارسل في الحال جماعة من الاخوان «لمداعبة» اهالي الجوف او بالاحرى لنهب ما يمكن نهبه منهم، كما انه طلب بشدة من نوري الشعلان ان يعلن خضوعه لعظمته، وعرض عليه بعض الشروط المستحيلة.

ولعب التحريض الوهابي دوره، ونجح الاخوان في احداث الهياج في «سكاكا» اكبر قرية في واحة الجوف، وسرعان ما ارسل ابن سعود حملة وهابية لمساعدة الثائرين، ولما لم يجد الوهابيون مقاومة تذكر، ضموا هذه الواحة في تموز سنة ١٩٢٢ الى الاملاك الوهابية

وكان هذا التوغل من الوهابيين لقصد حربي وتجاري معاً، كما انه ساعد القبائل النجدية على الاتصال بالحضارة والعمران

واخذ الناس يتسائلون: هل يستطيع الوهابيون مقاومة سحر الغنائم؟ كانت التجربة اكبر من ان يحتملوها، واقوى من ان يتغلبوا عليها، وكانت مغناطيسية الاسلاب تجذبهم بقوة اعظم مما عندهم من قوة الارادة، ففي الشهر التالي سار الف من الاخوان الاشداء الى قصر الازرق، ذلك المركز العسكري الروماني الذي كثيراً ما تحدث عنه لورنس في مؤلفه «لورنس في بلاد العرب»

ومن هناك انحدروا الى الجهة الغربية ، ونهبوا كل ما وجدوه ، بعد ان اظهروا في قتالهم وحشية فظيعة · اما ضحاياهم فكانوا ينتمون الى قبيلة بني صخر القوية

هجم الاخوان، ولا موضع للشفقة في قلوبهم على الخط الحجازي، وانصبوا عَلَى اعدائهم كالشلالات الجارفة ، حتى استقرت اقدامهم بالقرب من قرية صغيرة تبعد عن شرق عمان عاصمة امارة شرق الاردن خمسة عشر ميلاً ، تسمى الطنيب ولم يكن فيها غير ٣٥ شخصاً، بين رجال ونساء واطفال، فلم يبقوا عَلَى احد منهم، وبعد تلك المذبحة الصغيرة ارادوا الانتقال الى قرية جديدة ، فرأتهم طيارة وسرعان ما حذر قائدها قوة الطيران الملكية في عمان ، ولم يكن بالامكان منع الوهابيين من تقتيل سكان القرية المجاورة ، ولكنهم لما ارادوا الاجهاز على سكان الثالثة كانت الطيارات الانكليزية، والسيارات المسلحة ، وعدد كبير من عرب بني صخر ، قد وصلوا لمقاتلة الوهابيين فافنوهم عن آخرهم ، ولم يبق نجدي واحد يصف ما وقع في تلك المعركة الحامية ، ليحدث الاخوان عما وقع ، بل ليحدث العرب عما فعلوه بالعرب !...

وكانت هذه اول مرة تقاتل فيها الطيارات الانكليزية الوهابيين ·

وفي الواقع أن البدوي الذي يتجول في الصحراء على جمله، لا

يستطيع ان ينجو من شر الطيارات التي اصبحت اقوى سلاح يمكن ان ينتفع به في مقاتلة البدو فان كل الذين اشتركوا في القتال ، قد ارتكبوا الفظائع ، و كانوا يجدون لذة في ارتكابها ، بل كانوا يجدون سلوتهم في الغزو والنهب .

وحدث في اوائل سنة ١٩٢٣ ان اشتد المرض على ابن سعود ، و كان هذا المرض من العوامل التي اضعفت من نفوذه الشخصي على القبائل النجدية ، فزادت الاضطرابات في اواسط بلاد العرب ، وعلى الاخص بعد ان راجت اشاعة موته — اطال الله حياته ، وابقاه ذخراً للعرب

واخذ « ميزان حرارة » الغضب يرتفع ارتفاعاً متواصلاً ، ووصل الهياج بابن سعود مبلغه بعد حملة عرب شمر الشديدة في حزيران سنة ١٩٢٣ فطلب ابن سعود من العراق طرد من لجأ اليها من عرب شمر ، لانه كان يعدهم من رعاياه ؛ فرفضت العراق اجابته الى ما طلب .

و كان الملك حسين لا يزال يحلم بالمعاهدة مع الانكليز ، و كان لا يزال يفكر في اللقب الفخم ، الجليل ، ملك العرب ، ولهذا اخذ يتمادى ويتطرف ، وابى الاتفاق والمصالحة ، ثم اقترح على الانكليز اقتراحاً اعتقد انه يحل مشاكل اواسط بلاد العرب ، و كان هذا

الحل الغريب ان يتنحى الوهابيون عن الاملاك التي وصلت الى ايديهم بعد الحرب العالمية

ولم يكن هذا الاقتراح يدل على « حنكة » سياسية بل كان من الاقتراحات المثيرة

اجل ، هيج الحسين ابن سعود واثاره الى الحد الاقصى

وكانت الدلائل كلها تدل عَلَى ان الانفجار قريب ، وان بلاد العرب ستلتهب كلها حتماً ، فعم الهياج في كل جزء منها ، وكان ابن سعود يزمجر زمجرة مخيفة

وفي هذه الظروف التي لا تدعو «للاطمئنان» – ولك ان تصفها بما شئت – حاول السير برسي كوكس ان يجمع بين سلطان نجد وملك العراق !

ولم يظهر احد الملكين اي رغبة في قبول الاقتراح ، ولكن الصبر الانكليزي قد تغلب اخيراً

انتظر كوكس عدة اشهر ، ثم اقترح في الخريف عقد مؤتمر لا يقتصر عَلَى معالجة شؤون العراق ونجد فحسب بل الحجاز وشرق الاردن ، فخف غضب الامراء الى حد ، وخمدت اعصابهم الثائرة .

وانعقد المؤتمر في السابع عشر من كانون الاول في الكويت تحت رئاسة الكولونيل كوكس ، وبحضور السير برسي كوكس .

ولم يحضر ابن سعود ، بل اناب عنه من يمثله ، وكذلك فعل

فيصل ، اما الحسين فقاوم مقاومة علنية ، وصرح بانه لن يحضر هذا المؤتمر الا اذا تخلى الوهابيون عن حائل وخرمة ، ثم عاد فاعلن رغبته في ارسال نجله الرابع الامير زيد

اما الامير عبدالله فارسل وفداً من عمان الى الكويت ليحضر هذا المؤتمر

وبالرغم من الجهود التي بذلها الانكليز في حمل الامراء على التفاهم ، فقد فشل المؤتمر فشلاً تاماً ، اذ كان كل امير عربي يغالي في الاعتزاز بقوته ، ويتمادى كأن الدنيا لا تسع غيره !

وانفض المؤتمر في السابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٣ بعد ان ظل منعقداً عشرة ايام ، ثم تأجلت اجتماعاته الى السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٢٤ على امل ان حرارة الخصومة بين الوهابيين والهاشميين تضعف ، ولكن فض المؤتمر لم يكن ليقلل من حدتها ، وانقطاع المفاوضات لم يكن ليخفف من شدتها .

وقامت قبيلة مطير ، تحت قيادة فيصل الدويش في الرابع عشر من اذار سنة ١٩٢٤ بحملة عنيفة ، وكان عدد هؤلاء الاخوان لا يقل عن الفي مقاتل من الاشداء ، فغزوا مكاناً يقال له «امغر» ليس هو بالعراقي وليس هو بالنجدي ، بل هو منطقة محايدة بين المملكتين ، كما كانت تنص معاهدة المحمرة

وكانت خسائر العراق من وراء هذه الحملة ١٨٦ قتيلاً ، و٢٦

الفاً من الخراف و٣٧٠٠ من الجمال ، وبلغ سخط العراقيين اقصى خده ، و كانوا يعتقدون ان ابن سعود هو المسؤول عن هذه الحملة ، وانه هو الذي دبرها وسيرها

وان المخاطبات اللاسلكية والطيارات ، والسيارات الحربية ستحول غداً الصحراء القاحلة الى شيء آخر

ونكاد نجزم بان الوهابيين لا يشعرون من جانبهم بأي محبة للعراقيين او للاردنيين ، لا لشيء سوى انهم لا يقبلون ان يحكموا من افراد ينتمون للعائلة الهاشمية !...

ومن الجلي ان الوهابيين لا يثقون باحد من البيت الهاشمي ، كما ان عدم الثقة « متبادلة » ؟ ...

وتحرجت الامور بالرغم من معاهدة المحمرة ، وبروتوكول العقير ، واخذ الوهابيون ينهبون القبائل الواقعة على حدود العراق ، بينما عرب شمر لم ينقطعوا عن سلب الاخوان

وليس ثمة حاجة للدفاع عن احد من الطرفين المتقاتلين ، دفع فيصل الدويش للقيام بها على ان هذه الحملة كانت السبب المباشر لارفضاض المؤتمر ، فان الوفود العراقية ابت المفاوضة عَلَى الاطلاق مع النجديين ، وانحل المؤتمر في الثاني عشر من نيسان سنة ١٩٢٤

اما فيصل الدويش فهو بدوي قح لا يفهم معنى للمفاوضات ،

ولا يمكن لانسان ان يتمتع بفائدتها، كما انه لا يراضي ولا يؤانس ،
فقام في الحادي والثلاثين من ايار بغزوة جديدة

ووجد الانكليز ان البدو لا يهدأون ؛ وان قضايا العرب تزداد تعقيداً ، وان بلاد العرب على وشك الاشتعال بنار الحروب .

وكان الانكليز قد انقطعوا عن دفع الراتب الشهري للملك حسين ، ففرغت يداه من الذهب ، وتحطمت آماله ، وايقن انه لم يعد بامكانه ان يستغل الانكليز اكثر مما استغلهم ، فصمم على المقاومة المباشرة ، واخذ يمني نفسه بعرش بلاد العرب كلها بفضل جهوده وحدها ؟ . . .

واخذ يطمع في ان يكون خليفة على كل المسلمين .

١٦

كان الملك حسين ، قبل انعقاد مؤتمر الكويت ، قد تعب من السياسة الانكليزية فان الراتب الذي كان يتقاضاه من الحكومة الانكليزية —وهو ليس بالراتب القليل — منذ دخوله الحرب واشتراكه في القتال بجانب الحلفاء سنة ١٩١٦ قد بدأ ينخفض شيئاً فشيئاً ، بعد شباط سنة ١٩١٩ ثم انقطع عنه في شباط سنة ١٩٢٠ بعد ان كان قد تسلم في خلال هذه المدة مليوناً ومائتي الف جنيه ؟

وكان ابن سعود لا يتقاضى غير خمسة آلاف جنيه شهرياً ، ولم يكن الانكليز يدفعون له هذا المبلغ لقاء عمل من الاعمال ، بل ليمتنع عن اشياء لا يريدونها

بدأ الانكليز يقدمون لابن سعود هذه الاعانات الشهرية منذ سنة ١٩١٧ وظلوا يقدمونها اليه حتى نهاية اذار سنة ١٩٢٤ وما ان توقفت هذه الاعانات حتى بدأت حركة غزو الحجاز

ولو ان الانكليز لم يقطعوا عن الملك حسين المساعدات المعينة ، لكان تقاضى ستة ملايين جنيه ، فحرمانه من هذا المبلغ العظيم كان له اثره على اعصابه ...

وفي الواقع ان الحسين ما كان ليفوز بالمقام الذي بلغه بين القبائل

الحجازية في ابان الحرب، لولا بذله الذهب الوهاج ، على زعماء القبائل وقد كان بارعاً في توزيع الهبات والعطايا السنية

ان توزيع الذهب في بلاد العرب قضية طبيعية مألوفة لا تعد من نوع الرشوة ، ومتى انقطع التوزيع انقطع معه ولاء القبائل فوراً

أجل — ان توقف توزيع الذهب قد سهل كثيراً على الوهابيين غزو الحجاز في سنة ١٩٢٤ فان رجال قبيلة عتيبة ، التي تعد مفتاح اواسط بلاد العرب ، عند ما رأوا ان محاسب مكة يمتنع عن دفع الهبات المعتادة ، لم يحركوا ساكناً عندما تقدم الوهابيون لاحتلال الحجاز وكذلك فعلت قبيلة حرب

والجدير بالذكر ان ابن سعود لم يصمم على اخراج الشريف من الحجاز سنة ١٩٢٤ الا لاسباب مهمة سيرد ذكرها

وفي الواقع فان الملك حسين لم يعترف البتة بمعاهدة فرساي ، بل اصر على رفض المادة الثانية والعشرين القائلة بالانتداب على البلاد المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية

وكان الكولونل لورنس قد حاول مفاوضته في جده في نهاية سنة ١٩٢١ ولكن الحسين ابى ان يذعن لارادة الانكليز والفرنسيين بحذف سورية وفلسطين من المنطقة التي كان يقول ان بريطانيا العظمى قد وعدته وعداً قاطعاً بمنحها الاستقلال التام

وكذلك ضاعت جهود الدكتور ناجي الاصيل ممثل العائلة الهاشمية في لندن .

وكانت « التجربة الصهيونية » في فلسطين اشد ما يثير الحسين ويؤلمه

ولما قلق الحسين من فشل ممثله في لندن، مع انه كان من اقدر الرجال الذين وقع الاختيار عليهم لخدمة القضية العربية ، لميزاته الطيبة ، اراد الاتصال مباشرة بالموظفين الانكليز في فلسطين فترك الحجاز، وانتقل الى عمان ، عاصمة امارة شرق الاردن ، والتي يحكمها الامير عبدالله فوصل اليها في كانون الثاني سنة ١٩٢٤

وكان الامير عبدالله يراقب السياسة الخارجية مراقبة تدل على حذق وذكاء ، وكان على مثل اليقين من ان اتراك انقره لا بد ان يلغوا الخلافة العثمانية، هذا الحدث التاريخي المشهور الذي قام به مصطفى كمال في الثالث من اذار

واخذ الامير عبدالله يطمع بالخلافة لوالده ، ويحاول اغتنام هذه الفرصة النادرة لاعادة مجد البيت الهاشمي ، وتعزيز نفوذه في العالم الاسلامي .

كان يقول عبدالله :

اذا كان الشريف حسين قد فشل في حمل السلطات الانكليزية على قبول طلباته ، فهذا لا يمنعه من السعي لان يكون خليفة المسلمين »

ولم لا وفيه كل مزايا الخلافة ؟ أليس الشريف حسين ينحدر من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أليس هو من قبيلة قريش ؟ أليس الحسين حامي الاماكن المقدسة ؟

أليس الحسين ملك العرب ؟ هذا ما كان يقوله الامير عبدالله وكان قديراً في الدعاية لابيه الى حد الاعجاز

وكان الشريف حسين يعد في نظر الهنود المسلمين خائناً للاسلام لانه حارب الاتراك فاراد ان يكفر عن فعلته ، ويسترد مكانته في قلوب المسلمين ، فوافق على ان يكون «خليفة» وهو لا يخفي اغتباطه الشديد .

وفي الخامس من ايار سنة ١٩٢٤ في قرية الشونه ، احدى قرى شرق الاردن نودي بالحسين اميراً للمؤمنين

وساد الصمت في شرق الاردن ، وفلسطين ، وسورية ، والعراق والحجاز ، هذه الاقطار العربية التي لاحظت ما جرى ولكنها لم تأبه له كثيراً .

وفي نهاية ايار ترك الحسين عمان عائداً الى مكة ولم يكن يعلم انها آخر مرة يحج فيها الى هذه المدينة المقدسة

وفي ربيع سنة ١٩٢٤ كان قد ازاح ابن سعود كل العوائق القائمة في سبيله ، وكان لا يزال يتقاضى راتبه الشهري بانتظام ذلك الراتب الذي يوجب عليه ان لا يتوغل في املاك امراء العرب ، الذين

كانوا على صلات ودية بالامبراطورية البريطانية

وظل ابن سعود يتقاضى هذا الراتب حتى شهر اذار سنة١٩٢٤ ثم نضب المورد فجأة ، وانقطع الراتب ، وفشل مؤتمر الكويت ، والتهبت بلاد العرب كلها !

وكانت القبائل النجدية اكثر القبائل استعداداً للقتال واخذ « الاخوان » يتحدثون عن قرب الحرب

ولم تكن العوامل المادية او الاقتصادية هي وحدها التي حملت الاخوان على غزو الحجاز سنة١٩٢٤ بل كانت هناك العوامل الروحية ايضاً ، فان الوهابيين كانوا قد منعوا ثلاث سنوات متتالية من الحج خشية ان يقع الاصطدام بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، في المدينة المقدسة

وقد حدث فعلاً ان قصد بعض الوهابيين مكة سنة ١٩٢٣ فوقع شغب دموي بين النجديين والحجازيين في قلب مكة المكرمة ذاتها .

ووقوع الحوادث الدموية قضية لايمكن ان يحتملها العالم الاسلامي ولا يمكن ان يصبر عليها باي حال

ولم يمض اكثر من شهرين على تلقيب الحسين باميرالمؤمنين حتى اصدر سلطان نجد بياناً تهكم فيه تهكماً مراً على الحسين ، ناعياً عليه

غروره الشديد ، الذي زين له المطالبة بالزعامة المطلقة ، على العالم الاسلامي

ثم دعا الى عقد مؤتمر عظيم في الرياض يجمع القادة الحربيين والسياسيين ليبتوا فيما ينبغي ان يتخذوه من التدابير لصد الشريف حسين

وترأس المؤتمر الامير عبد الرحمن والد ابن سعود

وأخذ المؤتمرون يبحثون في عريضتين :

الاولى من الاخوان الذين كانوا يطلبون السماح لهم بالغزو

العريضة الثانية ، ايجاد حل لمشكلة الحج ، وضرورة السماح به للنجديين .

ولم تكن اعصاب الاخوان هادئة ، ولا صدهم عن مطالبهم بمستطاع ، وكان الشرر يتطاير من عيونهم حتى انهم هددوا سلطانهم قائلين :

« سواء سمحت لنا او لم تسمح ، فاننا لابد ان نحج في هذه السنة فاذا اظهر الشريف حسين اي مقاومة دخلنا مكة عنوة »

وجد ابن سعود انه وقع في ازمة ولكنه اظهر منتهى الحذق ، وسعة الحيلة ، بل ان هذه الازمة هي التي كشفت بجلاء ووضوح عن مقدرة هذا الرجل العظيم

أجل ، كان يعرف ابن سعود من هم « اخوانه » وشهرة هؤلاء

«الاخوان» في العالم الاسلامي وماذا يحدث لو دخل الوهابيون الحجاز عنوة ، وعليه فقد امر بمنع الحج ، تلك السنة ، ولكنه لم يمنعهم من فتح الحجاز .

وقد حرم عليهم تحريماً قاطعاً ان يتعرضوا للمدن المقدسة في موسم الحج .

وكان هذا الرأي ، يدل على حكمة وذكاء ، وكان له اثره في العالم الاسلامي ، وعلى الاخص في الهند ، التي لم تكن راضية عن البيت الهاشمي ، لانه ناصر الانكليز على الاتراك

وكان المسلمون يشكون من فقدان الامن في طرق الحج ، ومن تفاهة العقوبات التي تنزل بالسالبين ، فرأى ابن سعود ان يتجنب ما وقع الحسين فيه ، فجعل المسلم الذي يريد الحج يأتي وهو اشد ما يكون اطمئناناً ، كما صمم على ان يوقع اقسى العقوبات بالذين يتجرأون على السلب في مكة المكرمة

وعلى هذا فقد كان الباعث على الحملة على الحجاز مزدوجاً :

ابعاد العائلة الهاشمية عن الحجاز ، وتطهير الاماكن المقدسة مما دخل عليها من البدع .

وفي اوائل الخريف ، كان كل رجل في نجد قد اتخذ الاهبة لفتح الحجاز ، ووضع ابن سعود خطة تدل على مهارة ، فكان يرى ان يتجمع الاخوان على حدود واحتي خرمة وتربة ، ومن هناك يهجمون على قلب

الحجاز هجوماً مباشراً وفي الوقت نفسه تهجم ثلاث فرق على اجزاء اخرى من املاك الاشراف ، فتقتلع الاولى خط الحجاز الحديدي شمال المدينة ، وتغزو الثانية شرق الاردن ، والثالثة تهاجم العراق ، عَلَى ان ترسل بعض الفرق الاخرى الى الكاف في وادي السرحان، والى الجوف .

اما الحملات الوهابية التي قصدت العراق وشرق الاردن فقد دحرت ولم تغنم كما كانت تنتظر ، ففي آب غزا الوهابيون قبائل الدفير وابي غار ، ثم عادوا يحملون من جديد في كانون الاول وكانون الثاني

اما في شرق الاردن فقد نكبوا فوراً ، لان بعض الرعاة شعروا بانسلالهم ومحاولتهم اقتلاع خط الحجاز عند محطة زيزا ، فانذروا عمان فوراً فاقبلت القوات الانكليزية ، والعربية فوجدت النجديين ، وكانوا قد قضوا اربعين يوماً في الصحراء ، وبطونهم خاوية ، وقد برح بهم الظمأ

وكان هؤلاء الاخوان قد وصلوا في ساعة مبكرة جداً من الصباح ، وانقضوا على عدد كبير من الاردنيين النيام ، فلم يدعوهم يستفيقون الا في العالم الثاني

واستمر هؤلاء الاخوان يذبحون كل من وجدوه كما حدث

في غزواتهم الماضية لا يراعون حرمة الجنس ، ولا يبقون حتى عَلَى الاطفال .

وفجأة التفتوا واذا الجثث تتساقط فاخذوا يصرخون ... باسم الله ... باسم الله ! ... كان رصاص الانكليز يحصدهم حصداً ، وكانت قنابل الانكليز تتساقط عليهم كالمطر ، فاخذوا يفرون من وجه الموت ، ولكن انى لهم ان يفروا فان الجنود كانوا يطاردونهم. ووجدت جثث على مسافة ٤٠ ميلاً من مكان تلك المعركة ... كانت هذه الجثث متناثرة بين الكاف والجوف .

وجاء مع القوات الانكليزية بعض عرب بني صخر ، وكانوا يتخوفون في بادىء الامر من مقاومة الاخوان ، فلما وجدوا فوز الانكليز ، عادت شجاعتهم اليهم ، فاخذوا يسلبون الغزاة ، بل انهم لم يبقوا على احد منهم

ولكن بالرغم من اندحار الوهابيين في العراق ، والمعركة الدموية التي وقعت في شرق الاردن ، فان الجيوش الوهابية انتصرت انتصاراً باهراً في الحجاز.

استسلمت قبيلة عتيبة القوية ، وفتح زعيمها الاكبر سلطان ابن بجاد ابواب الارض المقدسة باستيلائه على الطائف في اوائل ايلول وقد تم ذلك بطريقة تدعو للدهشة

عبر الوهابيون الحدود في التاسع والعشرين من آب ، واختاروا

فوراً الطائف لتكون موضع هجومهم ، والطائف اجمل مكان في كل الحجاز ، والمصيف الخاص بالاغنياء .

وسار الامير علي بن الحسين الى الطائف ، فترك حامية فيها ثم انسحب هو ذاته مع بقية الجيش الى (حدة) على بعد ٢٠ ميلاً من شمال غربي مدينة الطائف ، ولكن سكان المدينة لم يرضوا عن بقاء هذه الحامية ، ولا اعجبهم سفره بمعظم الحامية التي جاء بها ، فرفعوا الراية البيضاء مستسلمين !

وفي الخامس من ايلول فتحوا ابواب المدينة في وجوه الوهابيين ولم يكن الوهابيون يحلمون بمثل هذه السعادة ، وكان يقودهم في هذه الحملة خالد بن لؤي ، بطل خرمة المشهور

وحدث خطأ ان اطلق بدوي عياراً نارياً على الوهابيين فهاجوا واخذوا يذبحون النساء والاطفال كما يذبحون الرجال ، وظلوا طول الليل حتى الفجر يرتكبون من الفظائع ما تسود له الوجوه !

وفي الواقع انه انقضى على الوهابيين مائة سنة ، ولكن غرائزهم الفطرية لم تتبدل ، وميولهم للقتل لم تتغير ، وبقي سكان المدينة ينتظرون الموت حتى وصل زعيم القبيلة سلطان بن بجاد، فامر رجاله بالكف عن التقتيل الفظيع

ويقول المستر فيلبي ان عدد الذين ذبحوا في الطائف ثلثمائة فقط ؛ ولكن سواء اكانوا ثلثمائة او اضعاف هذا العدد كما يدعي رسل

البيت الهاشمي فان قتل ثلثمائة من اجل رصاصة طائشة واحدة ، ومن بينهم عدد كبير من النساء والاطفال الابرياء ، يعد عملاً وحشياً دون ريب .

ولما سمع ابن سعود بما ارتكبه اتباعه في الطائف ارسل اوامره المشددة بالتوقف عن القتال ، وان يتجنبوا باي حال التعرض للمدن المقدسة المجاورة للطائف .

وفي الواقع فان الاخوان اطاعوا اوامر ابن سعود لا لان الشفقة بدأت تتسرب الى قلوبهم ، بل لانهم ايقنوا بان الحجازيين لا يبدون معارضة تذكر

وكان الامير علي ورجاله يتظاهرون بالمعارضة ، ولكنهم في الواقع كانوا غير متحمسين في القتال ، وليس ادل على فتورهم من هرب الامير علي الى مكة

وكان الحسين ، في عاصمة ملكه ، في هياج وسخط ، وقد طلب من الانكليز حلفائه ان يساعدوه في ساعة محنته ولكنه حاول عبثاً فقد وجد خليفة المسلمين نفسه وحيداً تركه حتى رعاياه انفسهم ، واقرب اصدقائه الذين كانوا يظهرون له الود ايام كان يغدق عليهم الذهب ، ولكنه بالرغم من ذلك كله لم يتسرب الخوف الى قلبه الجريء ، كان ذلك الكهل في منتهى الشجاعة ، فلما بلغه اندحار ابنه امره بالانتقال مع رجاله فوراً الى جدة .

وكان يقول انه لن يستسلم ولو تركه العالم باسره .

وكان ما حدث للحسين في ايامه القليلة الاخيرة مما يرثى له ،

نظراً لكثرة النكبات التي حلت به ، وقد تحملها بصبر دل على عظمته .

واخيراً طلب رعايا الحسين من مليكهم ان يترك البلاد حرصاً على حياته ، بعد ان ايقنوا ان الوهابيين اوشكوا ان يصلوا ، وان قوتهم لا تقهر . وبقي الحسين في الحجاز عدة ايام يصر عَلَى رفض الرحيل عن بلاده ولكنه انصاع اخيراً .

وفي الثالث من تشرين الاول تنازل الحسين لابنه علي ، بعد ان بقي عَلَى عرش الحجاز ثمانية اعوام

واذا كان فريق من الحجازيين قد ذرفوا دمعة او دمعتين، فان العالم الاسلامي كله لم يتأثر اي تأثر لفرار الحسين ، كما ان الانكليز في « لهويت هول» لم يتأثروا طبعاً ، وبالرغم من توسلات مكة وجدة فان الحكومة الانكليزية اعلنت « حيادها » المشهور في هذا النزاع وقد حذت الحكومات الاجنبية حذوها ، وأبت تقديم اي مساعدة للحسين

ووجد الامير علي ، وقد اصبح ملكاً بعد ابيه انه من العبث الدفاع عن مكة ، فامر باخلائها في الخامس عشر من تشرين الاول

ولم يكد يخرج منها هو وانصاره ، حتى كانت القوات الوهابية تحت قيادة خالد بن لوءي قد وصلت ·

واصدر ابن سعود اوامره الى الاخوان ، ان يراعوا حرمة المكان المقدس ، فاطاعوه هذه المرة ، ولم يعمدوا الى القتل،او النهب

وما كاد يصل الاخوان الى مكة ، حتى اخذ خالد يطمئن الاهالي، وعين سلطان بن بجاد ليدبر شوءون البلاد بصفة موقتة ·

ولكن قبل ان يصل ابن سعود ، عمد هوءلاء الوهابيون الى تدمير القبور والاماكن التي اعتاد الحجاج زيارتها في مكة ، وكان لهذا العمل اثره الوخيم في نفوس الشيعيين في ايران ، والهند ، بل ان المسلمين في العالم الاسلامي كله كانوا على اتم استعداد لتصديق كل ما يقال عن الوهابيين ، ولكن هوءلاء كانوا لا يبالون بغضب المسلمين ، ما داموا يعتقدون انهم لا يخالفون القرآن والسنة·

وفي الخامس من كانون الاول ، وصل ابن سعود الى مكة ، وقد دخلها محرماً في هيئة حاج ورع فوجد ان الاعمال التي قاموا بها لا تدعو لغضبه

اما الملك علي فبقي في جده التي اصبحت مع المدينة ، وجزء من ينبع ، كل ما تبقى للعائلة الهاشمية·

وكان الانكليز في سنة ١٩١٦ قد اطلقوا مدافعهم عَلَى جدة لتحريرها من النير التركي

وكان يخيل الى الذين هم خارج المدينة ان الملك علياً يتأهب للقتال ، اما الذين كانوا في داخلها فكانوا يرون انه «يماطل» وذلك نظراً لافتقاره الى الذخيرة ، وحالة السخط المتفشية بين جنوده المحرومين من الرواتب ، والجوع الذي كان يهدد سكان البلاد

وارسل الملك علي في تشرين الثاني وفداً من جدة الى مكة فعاد الوفد يقول للملك علي بان الوهابيين لا يرضون الا بخروج الهاشميين .

وفي السادس من كانون الثاني سنة ١٩٢٥ حوصرت جدة حصاراً منظماً

ولكن السلطان ابن سعود ، في ذلك الحين ، كان يرى ان هناك ما هو اهم من حصار جدة ، وهو تنظيم الحجاز تنظيماً يكفل قيام المسلمين بالحج ، في اطمئنان كلي ، فقد تجلى له الذعر الذي استولى عَلَى المسلمين بسبب الفظائع التي ارتكبها الاخوان ، ولهذا كان يسعى لمحو هذا الاثر السيء ، الذي انطبع في قلوبهم ، ومن ناحية اخرى كان يريد ابن سعود ان يقبل الحجاج ليروا بعيونهم الاصلاحات التي ادخلها ، وليقدروا الجهود العظيمة التي يبذلها ، والتي كانت تدل عَلَى مقدرة باهرة وكفاءة نادرة

وفي السادس عشر من تشرين الاول عقد مؤتمر لبحث مسائل الحجاز

وفي الخامس والعشرين من شباط سنة ١٩٢٥ بالرغم من ان علياً بن الحسين كان محاصراً في جده ، رحب ابن سعود بالحجاج و كفل لهم السلامة من الاذى ما اقاموا في مكة

و كانت قبيلة حرب القوية قد اعتادت نهب الحجاج في ايام الاتراك ، وفي ايام الحسين ، فتصوروا طبعاً ان الحال لن يتبدل في ايام ابن سعود ، ولكن ابن سعود ارسل عليهم جماعة من الاخوان ادبوهم تأديباً رادعاً

ووصل الحجاج سنة ١٩٢٥ فوجدوا ان كل ما قاله ابن سعود صحيح ، وان قطاع الطرق من البدو لا ينقضون عليهم ليسلبوهم كما كانوا يفعلون في السنين الماضية

ولما وجد ابن سعود انه استطاع تطمين نفوس الحجاج ، ادرك ان الفرصة اصبحت سانحة لاستئناف فتح الحجاز ، وان امامه اقدس المدن بعد مكة وهي المدينة المنورة

وفي آب صدرت الاوامر بالمسير الى المدينة، وفي الخامس والعشرين منه اذاعت الحكومة الحجازية ان الوهابيين أطلقوا مدافعهم على قبر النبي محمد ، وانكر الوهابيون ولكن الانكار لم يفدهم شيئاً واضطرب العالم الاسلامي اضطراباً عنيفاً ، وأرسلت الدول الاسلامية وفوداً عديدة للوقوف على الحالة ، واخيراً اذاع الوفد الايراني بياناً في نهاية

سنة ١٩٢٥ بان الوهابيين اطلقوا خمس رصاصات على قبة قبر الرسول

وفي الخامس من كانون الاول استسلمت المدينة ، وكانت ميناء ينبع قد سقطت في ايدي الوهابيين منذ بدء كانون الاول

وكانت جدة ذاتها على وشك ان تستسلم فاشار الانكليز على الملك علي بان يرسل الى ابن سعود فيطلب منه المدنة ، ويوافق على ترك البلاد شرط ان يخرج الاخوان من المدينة ، ففعل واجابه ابن سعود الى طلبه

وفي الثامن عشر من كانون الاول ابلغ الملك علي قناصل الدول انه تنازل عن الملك

وفي التاسع عشر من كانون الاول كان الوهابيون يحتلون الميناء وبعد ثلاثة ايام كان الملك علي في طريقه الى العراق عن طريق عدن ، حيث اقام عند شقيقه الملك فيصل

وفي عيد المولد النبوي سنة ١٩٢٥ خطب ابن سعود فقال :

جلبنا السلام للبلاد ، ونشرنا العدل في ربوعها ، وللعالم الاسلامي ان يحكم على اعمالنا في الماضي ، وما سنقوم به في المستقبل باذن الله »

١٧

ترك الشريف حسين مكة بعد ان تخلى عن الملك في التاسع من تشرين الاول سنة ١٩٢٤ قاصداً الى جده في سيارة مسلحة، خشية ان يتعرض له احد من رعاياه الجحودين

وبعد اسبوع ابحر من جدة ، مع اسرته الكبيرة العدد ، ومعه صناديق الذهب ، في يخته البخاري الخاص قاصداً العقبة الواقعة على البحر الاحمر

ولم يقم الملك حسين في المدينة ذاتها بل في احدى ضواحيها . وكان بقاء الحسين في العقبة في نظر السلطات الانكليزية من اكبر العوامل على استفزاز الوهابيين للحملة عَلَى منطقة « معان — العقبة » التابعة لامارة شرق الاردن الواقعة تحت الانتداب الانكليزي فاوعزت الى الحسين ان يغادر تلك المنطقة

اما هذا الملك العنيد الطاعن في السن ، فقد استشاط غضباً من الايعاز الانكليزي

ولم يكتف الانكليز بضم هذه المنطقة الى الاملاك الواقعة تحت انتدابهم ، بل عمدوا الى اخراج الحسين بعد ان رفض رفضاً باتاً قبل ايعازهم له بالرحيل

سافر الحسين في حزيران سنة ١٩٢٥ مرغماً الى (نيقوسيه) من

اعمال قبرص ، واقام في هذه الجزيرة مع اسرته . ولم ينس ان يأخذ معه خيوله العربية الاصيلة التي كان يتلهى بها ، وبقي في هذا المنفى الى بداية سنة ١٩٣١ ثم تركه لزيارة ابنه الامير عبد الله في عمان وهناك انتقل الى رحمة ربه في الرابع من حزيران ، ودفن خارج السور الغربي من الحرم الشريف ، بعد ان مشى في جنازته عشرات الآلاف من اعيان عرب فلسطين ، وشرق الاردن ، والاقطار العربية المجاورة

وكانت سنوات الحسين الاخيرة ذات اهمية خاصة في نظر الوهابيين الذين ابوا الا فتح باب المفاوضات في قضية الحدود ، على مصراعيه ، لايجاد حل نهائي يحدد التخوم بين شرق الاردن ونجد .

وكان كل من الحسين وابن سعود ينظر الى منطقة « العقبة — معان » على انها جزء لا يتجزأ من الحجاز . اما الانكليز فكانوا لا يشاطرون هذين العاهلين رأيهما هذا

ولما صمم ابن سعود على فتح الحجاز ، كان يعلم انه سيكون لحملته صدى بعيد في العالم الاسلامي ، لهذا بذل اقصى جهده لتجنب انتقاد المسلمين على الحملة التي ينوي القيام بها ، فخاطب العالم الاسلامي قائلاً :

« انا مسلمون مثلكم ، نؤمن بالله كما تؤمنون ونعتنق دين

محمد كما تعتقدون، ولكننا نخشى ان يخدعكم الحسين فيسلبكم رجالكم، او اموالكم ...

ما نحن الا اخوة لكم نعمل لمسجد الاسلام ، ونرى من واجبنا المقدس نحو الله ان نطهر الحجاز تطهيراً تاماً.

وفي السادس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٤ بعد احتلال الوهابيين لمكة ، صرح ابن سعود بان النجديين لا ينوون امتلاك الحجاز ، بل يتركون للعالم الاسلامي ان يقرر مستقبل الاراضي الاسلامية المقدسة ، وانه لا بد من عقد مؤتمر للبت في هذه القضية

وبعد اسابيع قليلة اذاع ابن سعود ، وهو في الرياض بياناً على العالم الاسلامي قال فيه :

« لقد دخلت جيوشنا مكة ، في الرابع عشر من تشرين الاول سنة ١٩٢٤ واننا مغتبطون اشد الاغتباط للاحترام الذي بدا نحو الاماكن المقدسة . وكان بمقدور الفاتحين ، لو ارادوا ، ان يشقوا لهم طريقاً بالقوة، ويدخلوا البلاد عنوة،ولكنهم ابوا الا احترام الاماكن المقدسة فلم يسفكوا دماء احد احتراماً منا لتراثنا المقدس ، ولقد قضينا على الظلم ، ونشرنا العدل في ربوع البلاد ، وليس اشهى الى قلوبنا من اقبال المسلمين على الحج من انحاء العالم الاسلامي . الطرق مفتوحة في وجوهكم ايها المسلمون ، ولن يتعرض احد لكم بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان ، ونحن انفسنا سنذهب الى مكة لنجتمع

بالوفود الاسلامية التي نرحب بها . وقد آلينا على انفسنا ان نعيد الى الحج ازدهاره ، ومجده القديم

وسيعقد مؤتمر اسلامي لتقرير النظام الذي يجري تطبيقه في الاماكن المقدسة

ولكن العالم الاسلامي لم يلب الدعوة في بادىء الامر فلم ينعقد المؤتمر الاسلامي في مكة سنة ١٩٢٤ كما كان ينتظر ابن سعود

وفي الواقع فان الهنود ارسلوا وفداً في كانون الاول سنة ١٩٢٤ الى جدة ولكن الوفد الهندي لم ينفع ابن سعود كما انه لم يضره في شيء

وظل المسلمون الى سنة ١٩٢٥ يتخوفون من الوهابيين ، ويرتابون في نيات فاتحي الحجاز

ولكن سكان الحجاز ذاتها كانوا يعجبون اعجاباً متزايداً بشخصية ابن سعود ، وكان لدخوله مكة في ثوب حاج عادي ، مسلم ورع ، اكبر تأثير في نفوسهم

وكما ان احتلال ابن سعود للحايل في سنة ١٩٢١ قد احدث انقلاباً في اواسط بلاد العرب هكذا فتح ابن سعود للحجاز في (١٩٢٤ — ١٩٢٥) قد اثار من جديد قضية الحدود بين اراضي الوهابيين ، والاراضي العراقية والاردنية ، الواقعة تحت الانتداب الانكليزي

وتاقت نفوس الاخوان للسلب واخذوا يحلمون بغزو الممالك

الشمالية الغنية ، ولم تكن نيات الاخوان هذه لتخفى عَلَى الحكومة الانكليزية فارسلت في ايلول سنة ١٩٢٥ السير جلبرت كلايتون الذي كان يشغل وظيفة السكرتير الاول في حكومة فلسطين ، الى جدة ، لمفاوضة ابن سعود في قضايا الحدود النجدية العراقية ، والنجدية الاردنية

وتوثقت العلاقات بين الرسول الانكليزي، والملك ابن سعود، فوراً . وظل كلايتون صديقاً حميماً للملك العربي الى ان توفي في بغداد سنة ١٩٢٩

وقد اظهر ابن سعود حنكة سياسية عظيمة ، في مفاوضاته مع كلايتون ، فكان يريد في بادىء الامر ان تكون سورية آخر حدود بلاده ، و كان يرمي بهذا الى غرض تجاري اكثر من اي غرض آخر ، ولكن كان هذا من الاغراض التي جاء السير جلبرت كلايتون لمنعها لا لتأييدها

وكان الانكليز يريدون ان يشقوا لهم طريقاً ممتداً من البحر الابيض المتوسط الى العراق مهما كلفهم الامر ، وبمعنى آخر كان لا بد من اتصال شرق الاردن بالعراق

واستطاع كلايتون التوفيق بين المطالب الانكليزية والمطالب السعودية .

وفي الثاني من تشرين الثاني امضيت معاهدة «الحدا» في خيام

ابن سعود في «بحرة» وتم الاتفاق عَلَى ترك شقة من الارض عرضها ٦٠ ميلاً ، تربط شرق الاردن بالعراق، وتفصل نجداً عن سورية، ولكن الحكومة الانكليزية اخذت على عاتقها — وهذا ما كان يريده ابن سعود اكثر من اي شيء آخر — ان تطلق الحرية التامة للتجار النجديين ليتنقلوا متى شاءوا بين نجد وسورية.

وكانت هناك فقرة في الاتفاق تضمن لنجد كل وادي السرحان ما عدا الاراضي الواقعة في اقصى الطرف الشمالي الغربي منه

وانتهى النزاع الذي كان قائماً بين ابن سعود ونوري الشعلان وقبيلة الرولا

وفي نفس الوقت والمكان أمضي اتفاق آخر هو « اتفاق البحرة » وفيه سويت حدود نجد والعراق

وكان الغرض من الاتفاقين واحداً هو منع غزوات الوهابيين ولهذا اخذت الحكومة السعودية على عاتقها معاقبة الذين تسول لهم انفسهم الغزو ، وتأسست محاكم خاصة للحكم عَلَى البدو الذين يأبون الخضوع للنظام الجديد

وحرمت الحكومة السعودية على القبائل اجتياز الحدود بغير موافقتها الا لطلب المراعي

ولم يستطع كلايتون حل قضية «العقبة—معان» التي ضمت الى

شرق الاردن، فان ابن سعود كان يصر على الاحتفاظ بهذه المنطقة كجزء حيوي من املاكه

ولكن لما كان ابن سعود قد استفاد من الانكليز من نواح اخرى فقد تغاضى عن قضية العقبة هذه، على ان تبحث في وقت آخر، وفي ظروف اكثر ملاءمة ·

وقد اظهر ابن سعود في هذين الاتفاقين دهاء سياسياً عجيباً، ورغبة حارة في ان يسود السلام بلاد العرب ·

وقبل ان تتم المفاوضات بين ابن سعود والسير جلبرت كلايتون صرح الملك العربي انه انما يعمل على خدمة المسلمين كافة، وانه قد وقف حياته على خدمة القضية العربية، واعلاء شأن العرب، اصحاب التاريخ المجيد ·

واذيع بيانه المتقد وطنية عربية خالصة، في مصر وتركيا والعراق وافغانستان وايران، وقد ختمه بالفقرات التالية :

« اني لا ارغم الحجاز عَلَى شيء ولن افكر في حكمه بالقوة · ان الحجاز اصبح امانة مقدسة في عنقي، الى ان ينتخب الحجازيون من بينهم رجلاً يخدم العالم الاسلامي خدمة امينة صادقة » ·

وامام هذا الاخلاص الذي ظهر من ابن سعود لم يسع اشراف الحجاز، ورجال الامر والنهي فيها وقد سمعوه يقول الحجاز للحجازيين — الا ان يعقدوا اجتماعاً ويقرروا تنصيب سلطان نجد

وملحقاتها ملكاً عَلَى الحجاز، على ان يحكم البلاد وفاقاً لاحكام القرآن الكريم ، والسنة المحمدية ، وان يتبع سيرة المسلمين الاولين الذين خدموا الاسلام خدمات خالدة

وفي الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ في اكبر مسجد بمكة توج ابن سعود ملكاً عَلَى الحجاز

واقسم الحجازيون يمين الطاعة لصاحب الجلالة الملك ابن سعود واقسم هذا المليك العربي الصميم ان يحافظ عَلَى الشريعة الاسلامية المقدسة ، واكد للحجازيين بانه لن يحكم الا بالعدل ، ولن يفضل شخصاً على آخر ، بل يساوي بين الجميع

وانه لا يحكم البلاد كملك مطلق، بل كنائب عن العالم الاسلامي يخضع للرأي العام الاسلامي ، ويسعى لتحقيق اماني المسلمين .

ثم الف حكومة موقتة اقام عليها ابنه الثاني الامير فيصلاً رئيساً

ولم يغال ابن سعود كما غالى الحسين من قبل ؛ فلم يلقب نفسه بصاحب الجلالة ملك جميع العرب ، بل اكتفى باللقب المتواضع «ملك الحجاز»

١٨

الوهابية ، في جوهرها ، عقيدة اسلامية صرف ، والوهابيون قوم يحاولون تطبيق المبادىء الاسلامية البحتة ، وعلى هذا فليست الوهابية ديناً جديداً ، بل مجرد عودة الى حياة البساطة في العبادة ، والحض عَلَى المعيشة الاسلامية التي كان يحياها السلف الصالح

ولما انتشرت العقائد الاسلامية ، وهي من العقائد السامية ، في القرن السابع ، خارج شبه جزيرة العرب ، تأثرت بمؤثرات اسيوية وافريقية فتعددت « المدارس » ... وتنوعت الشيع ... واختلفت المذاهب .

وظهر في القرن الرابع عشر ابو الحركة الوهابية ، العالم المسلم الضليع ، شيخ الاسلام احمد بن تيمية الحراني السوري الاصل ، وكان حنبلياً ، فعكف محمد ابن عبد الوهاب على دراسة مؤلفاته القيمة ، التي كان يعتقد انها تفسر العقائد الاسلامية تفسيراً صحيحاً

ويمكن مقارنة هذا المصلح « بلوثر » . كان يريد محمد بن عبد الوهاب ان يعيد عصر النبي الزاهر ، وان ينفذ احكام القرآن حرفياً فكان يقول بان المساجد لا ينبغي ان تبنى الا كما كانت تبنى في ايام محمد (ص) دون منارات ، .. دون فسيفساء ... ولا ترصيع بحجارة ملونة ... ولا تذهيب ولا تمويه ولا زخرفة

حرّم عبد الوهاب عبادة الآثار والبقايا المقدسة ، وقاوم التراخي الديني ، والانحلال الاخلاقي

والوهابيون قوم يقاومون الموسيقى ، ويحرمون التبغ ، وارتداء الثياب الحريرية ، ويحظرون تزيين الرجال بالحلي الذهبية

ومنع الوهابيون الصلاة بين القبور ، وكانوا اقسى بكثير مما هم اليوم ... والملك ابن سعود اكثر تساهلاً بما لا يقاس من اسلافه الذين كانوا في منتهى الصرامة والشدة

وقد ذكر السير توماس ارنولد ، في كتاب له عن العقيدة الاسلامية في صدد الوهابية ما يلي :

« يعاقب الوهابيون الذين يهملون الصلاة العامة في المساجد بالجلد العلني »

وهؤلاء لا يحرمون فقط شرب النبيذ — بل يحرمون التدخين وكثيراً ما يجلدون الرجل الذي يدخن سيكارة كانه اقدم على عمل منكر »

ووجد ابن سعود في الثالث والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦ ان من الضروري اذاعة بعض العقوبات التأديبية التي توقع على من يتخلف عن الصلاة في ايام الجمعة او الذين يتجرأون على التدخين واستهلاك وبيع وصنع المشروبات الكحولية ، وعن حرية الاجتماع وحرية الخطابة .

واستطاع ابن سعود ان يحصل على فتوى من خمسة عشر عالماً من علماء المدينة تؤيد الحملة النجدية على العادات التي يعتقد الوهابيون إنها لا تمت بنسب الى الاسلام .

وكانت دعاية عائلة الحسين اقوى كثيراً من دعاية ابن سعود وهذا ما جعل العالم الاسلامي يتصور الحركة السعودية على غير حقيقتها

وكانت الخلافة قد الغيت من تركيا في اذار سنة ١٩٢٤ .

وكانت آمال الحسين في الخلافة قد تلاشت ، بعد فتح الوهابيين للحجاز ، لهذا كان يتخوف العالم الاسلامي من اقدام حامي الاماكن الإسلامية عَلَى اعلان نفسه خليفة عَلَى المسلمين ، وكان هذا التخوف سبباً في عقد مؤتمر اسلامي في القاهرة في ايار سنة ١٩٢٦ لبحث قضية الخلافة

وفي الواقع فان قضية الخلافة هذه لم تكن موضع تفكير الملك ابن سعود ، وان كان في الوقت نفسه يريد ان يعيد الى العرب مجدهم القديم عهد الخلفاء الراشدين

ولكنه ايقن منذ اللحظة الاولى بانه مع التبديل المستمر في كيان العالم الحديث ، وانشقاق الاقطار الاسلامية بعضها على بعض ، وصعوبة ايجاد وحدة جغرافية اسلامية ، لا يمكن ان يعد الخليفة شيئاً اكثر من رئيس « اسمي » ... غير نافذ الكلمة ... وانه لا يريد ان يكون

رجلاً يتظاهر من القوة بما لا يملك . كما انه رأى ان الخلافة عبء ثقيل جداً ، ولما كان المسلمون منذ ان أعلن الشريف حسين نفسه خليفة لم يقم بينهم رجل آخر يرشح نفسه لهذا المركز السامي ، فاقوال ابن سعود لا بد صحيحة

وفي تموز سنة ١٩٢٤ صرح ابن سعود لوفد من علماء الهنود التصريحات الخطيرة التالية . قال :

اعترف امام الله ، وامام كل المسلمين ، باني لا اريد الا العودة الى دين الاسلام الصحيح ، القديم ، البعيد عن العقائد الوثنية ، التي ليست من الاسلام في شيء

وان عقائدي هي عقائد اجدادي ، الاطهار ، الانقياء . عاداتنا هي عاداتهم . وشعائرنا شعائرهم . واننا نعود في كل شيء لاحكام القرآن الكريم والسنة ، ونحاول ان نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون

وكل ما نطمع فيه ان يتحد العلماء المسلمون فيتحد العالم الاسلامي نريد ان يكون اتحادنا قويا متيناً ، وان يخضع العالم الاسلامي خضوعا تاماً لاحكام القرآن والسنة »

وكان هذا الاعتراف يتجلى فيه الاخلاص مما عطف المسلمين على ابن سعود ، وبدل رأيهم في الوهابية

ومع هذا فقد بقيت الحالة في الحجاز غير منتظمة ، وهذا ما اهاب

بابن سعود في الثامن والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦ الى ارسال دعوة جديدة لعقد موءتمر اسلامي عظيم في مكة في حزيران

وارسلت البرقيات الى الممالك الاسلامية المستقلة كتركيا وفارس ، والافغان ، واليمن ، ومصر ، والعراق ، وللامير عبد الكريم في الريف في مراكش والى « باي » تونس في مراكش وللمجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، وللمسلمين في روسيا السوفيتية ، ولثلاثة من الشخصيات الممتازة في دمشق ، والجزائر والهند البريطانية ، وجزر الهند الشرقية ، للنظر في مستقبل الحجاز والعمل عَلَى رفاهيته وأسعاده ، وسلامة الحج

واجتمعت الوفود في السابع من حزيران ، وكان عدد الذين لبوا الدعوة سبعين مندوباً ، ولكنهم لم يكونوا في الغالب من الاشخاص الرسميين ، وان كان من بينهم العدد الكبير من الشخصيات المحترمة

وقد حاول ابن سعود ، ونجح الى حد بعيد ، ان يبعد اعضاء الموءتمر عن بحث المواضيع الدولية ، خشية الاصطدام بالدول الاوربية وانصرف الاعضاء الى معالجة قضايا فرعية ، وكان كل عضو يتحمس لبلده دون ان يفكر في القضية العربية العامة

وصبر ابن سعود صبر الكرام على الاعضاء الذين كانوا يتوهمون ان الغرض من الموءتمر بحث قضاياهم الفرعية الخاصة ، ولكنه لم يحتمل

اقتراح احد الاعضاء بان يعلن الحكم الجمهوري في الحجاز ، وان تحكم الجمهورية الحجازية بهيئة دولية من المسلمين !

وانفض المؤتمر في تموز سنة ١٩٢٦ بعد ان وافق المجتمعون على عقد المؤتمر كل سنة ! ٠٠٠ كان المؤتمر سبباً في الشقاق بدلاً من الاتحاد الذي كان ينتظره ابن سعود

وقد يكون عقد المؤتمر احدى الخطيئات التي وقع فيها ابن سعود ، الذي لا يؤمن بالخيال : والذي لا يريد ان يضيع وقته في الجدال العقيم

ولكن ابن سعود اذا كان قد حزن على خيبة المؤتمر الذي لم يثمر شيئاً ، فقد سر من تلبية العالم الاسلامي لدعوته ، وموافقة الذين حضروا المؤتمر على حث ابناء وطنهم على الحج ، بعد ان اختبروه

وحضر في تلك السنة ربع مليون حاج ٠ ويقول فيلبي ، ان الذين جاؤوا الى جبل عرفات من وراء البحار لا يقلون عن مائة الف ، ومن اماكن اخرى ستين الفاً

وما دام السواد الاكبر من المؤمنين في جانب ابن سعود ، وما دام الحجاج يتوافدون بمثل هذه الكثرة ، وما دام هؤلاء الحجاج يعودون الى اوطانهم فلا يتحدثون الا عما رأوا من غيرة ابن سعود على الاماكن الاسلامية المقدسة ، فالملك العربي الوهابي لا يبالي

كثيراً بالذين يظهرون له العداء ، او يضمرونه ، بل لم يتأثر ابن سعود كثيراً مما وقع في حزيران سنة ١٩٢٦ بين الحكومتين المصرية والحجازية بسبب المحمل المصري

وان كل ما قاله ابن سعود في هذا الصدد :

لقد رأى الحجاج ، بعيونهم ، اننا لا نؤيد الا النظام ، ولا نسعى الا لنشر الطمأنينة في مكان كان يسوده الظلم والعسف ، ولا تنقطع فيه حوادث السلب والنهب



١٩

اعترفت دول بريطانيا العظمى ، وفرنسا ، وهولندا ، وروسيا رسمياً ، بابن سعود ملكاً على الحجاز ، في ربيع سنة ١٩٢٦ وهذه الدول الاربع يقيم في بلادها العدد الوفير من المسلمين — ولها صلات وثيقة بالعالم الاسلامي

وفي الواقع فان السواد الاكبر من الحجاج يأتي من الامبراطورية البريطانية ، ومن جزر الهند الشرقية ، وكان يغتبط ابن سعود بمشاهدة الطرادات الانكليزية والهولندية تزور ميناء جدة ، زيارات ودية — طبعاً ، وتطلق مدافعها للتحية

ولما رأت الدول الاخرى ان بريطانيا العظمى ، وهولندا ، وروسيا ، وفرنسا ، قد سبقتها الى الاعتراف بابن سعود ملكاً ، وكان اعترافها ولا شك يدل بوضوح انها توافق عَلَى التبديلات التي حدثت في بلاد العرب ، اقتدت بها ايضاً تركيا وبلجيكا وسويسرا فاعترفت بابن سعود ، ثم اعترفت المانيا في سنة ١٩٢٩

ولما رات الدول الاسلامية التي كانت تتخوف من الوهابيين ان الممالك الاوربية سبقتها الى الاعتراف بهذا الملك العربي المسلم ، ارادت ان تجاريها فاعترفت به بلاد فارس في ١٩٣٠ ثم اعترفت العراق واليمن في ١٩٣١

اما ايطاليا فلم تعترف الا في نيسان سنة ١٩٣٢ وذلك لانها كانت قد تعاقدت مع منافسه الامام يحيى في سنة ١٩٢٦

وتعد مصر المملكة الوحيدة بين الممالك التي لا ترى حاجة قصوى لايجاد علاقات سياسية ، رسمية ، بالامبراطورية الوهابية ، مع ان لمصر مصالح حيوية في بلاد العرب

واراد ابن سعود ان يظهر ولاءه للدول السابقة للاعتراف به ملكاً فارسل ابنه الامير فيصلاً في خريف سنة ١٩٢٦ لزيارة هذه الدول زيارة مجاملة .

اما هذا الامير الشاب فكان قد زاز اوربا في سنة ١٩١٩ ولكن شتان بين مكانة والده في الزيارة الاولى ، ومكانة والده في الزيارة الثانية .

اجل ، لم يكن حاكم نجد في ١٩١٩ غير صوت من الاصوات العديدة التي ترتفع في بلاد العرب ، وكانت مملكة الرشيد في الحائل لا تزال موجودة ، ولم يكن ابن سعود يحلم بسقوط الشريف حسين ، وتنازله مكرهاً عن عرش الحجاز

اما في الزيارة الثانية فقد سافر بالنيابة عن ابيه ، الرجل الذي استطاع بحذقه ودهائه ، وسعة صدره ، ورجاحة عقله ، ان يبسط سلطانه على كل شبه الجزيرة ما عدا اليمن ، في الجنوب الغربي ، وعمان في الجنوب الشرقي

وصل هذا الامير الى لندن في الثالث والعشرين من ايلول يصحبه وزير الخارجية الدكتور عبدالله الدملوجي ، وهو موصلي كريم خدم ابن سعود مدة ، وسافر معهما قنصل الانكليز في جده المستر غوردان .

استغرقت الزيارة ثلاثة اسابيع ، قضاها الامير الشاب بانكلترا يتمتع بما فيها من حضارة وجمال ... صناعي وطبيعي ... واجتمع في خلالها بملك الانكليز الذي انعم عليه بنشان القديس ميخائيل ، والقديس جورج ، واستقبله استقبالاً طيباً في قصر بكنجهام

وترك الامير لندن قاصداً هولنده ، فاستقبلته الملكة ولهلمينا ، واكرمت وفادته كل اكرام

ومن هناك انتقل الى فرنسا ، فقابل رئيس الجمهورية ، الذي استقبله استقبالا ودياً

واخيراً ترك مرسيليا عائداً الى جدة عن طريق القاهرة ، وهو جد مغتبط بتلك الزيارات

والامير فيصل ، هو وحده من افراد البيت السعودى الكريم ، الذي غادر القارتين الاسيوية والافريقية . اما شقيقه الاكبر الامير سعود ، فلم يزر غير مصر ، ولم يخرج ابن سعود من بلاد العرب

والامير فيصل شاب ، طويل القامة ، انيق ، تدل هيئته على مهابة وظرف ، وهو يختلف كل الاختلاف عن ابيه في مظهره الخارجي

الا في مهابة الملك . وقد استطاع التاثير على كل الاوربيين الذين اجتمع بهم ، وترك في نفوسهم اثراً جميلاً ، كما انه اعجب اعجاباً شديداً بالمدنية الغربية ، وعلى الاخص بمخترعاتها

وقد طار عدة مرات اثناء اقامته في انكلترا ، واخذ يتحدث عن ضرورة انتفاع بلاد العرب بالطيران

ومع ان الامير فيصلاً قد عاد وعقله يزخر بالآراء ، الا انه لم يكن لز يارته نتائج سياسية ملموسة

وكان من الجلي ان المعاهدات التي ابرمت بين ابن سعود والدول الاوربية قد مر الوقت عليها ، فاصبحت في حاجة الى التجديد واعادة النظر ، لتتمشى مع المكانة الجديدة التي اصبح يمثلها الملك الوهابي

ومع ان الامير فيصلاً قد وجد من الحكومات الاوربية ميلاً قوياً للاعتراف بالتغيير الذي حدث ، الا انه من الناحية الاخرى لم يلاحظ ان هناك حاجة ماسة لاجراء اي تبديل في العلاقات السياسية والدول الاجنبية ، وعلى كل فلم تكن الغاية من ز يارته المفاوضة مع الدول .

ولكن ما كاد الامير فيصل يعود الى بلاده ، حتى بدأ القنصل الانكليزي في جدة يفاوض ابن سعود في عقد معاهدة انكليزية وهابية .

اجل — وصل القنصل الانكليزي المستر غوردان، مع السيد

جورج انطونيوس — وهو كان في ذلك الحين ، من اكبر الموظفين في الحكومة الفلسطينية ، وهو الذي اصطحبه السير جلبرت كلايتون عند عقد معاهدتي البحرة — والحدة سنة ١٩٢٣ لمباشرة المفاوضات مع الملك ابن سعود ، في كل الشؤون التي كانت لا تزال معلقة

وجرت المفاوضات في مكان يقال له آبار ابن حسان » بين « رابغ » و « المدينة »

اما المواضيع التي دار النقاش فيها ، فكانت شتى بين سياسية ، وتجارية ، ودينية ، ولا ننسَ اهتمام بريطانيا العظمى بالاقطار الاسلامية .

ولكن هذه المفاوضات كانت مطاطة ، فكان كل موضوع يتشعب منه عدة مواضيع ، ولم يكن ينتظر المندوب الانكليزي ان يتطرق البحث الى مثل هذه المواضيع للعقدة الخطيرة

وقال ابن سعود باسماً : « الاولى ان نتوقف المفاوضة » وكان يحدث نفسه قائلاً :

كان الاجدر بهم ان يرسلوا الينا رجلاً اقدر من هذا القنصل في الشؤون السياسية

توقفت المفاوضات في منتصف كانون الاول على ان تستأنف بعد اسابيع قليلة ، وفي خلال هذه الفترة زار ابن سعود املاكه الفسيحة

الممتدة شرقاً ، والتي كان لا ينقطع عن زيارتها ، ونفقد احوالها منذ دخوله الى مكة في نهاية سنة ١٩٢٤

وبعد ان خضع الحجاز لارادة ابن سعود بفضل السلاح الماضي الذي شهره في وجوههم ... « الاخوان » ... اعاد هؤلاء الاخوان الى نجد

اما الدروس التي القاها على القبائل الحجازية ، فقد كانت مع شخصية ابن سعود القوية ضامنة الهدوء والطمأنينة للبلاد الاسلامية المقدسة ، وعَلَى هذا الاساس المتين بنى ابن سعود صرحه السياسي في الحجاز

ذكرنا ان ابن سعود قد اخذ عَلَى عاتقه تطهير الحجاز ، والمحافظة على حقوق الحجاج ولكنه وعد ايضاً الحجاز بين بان يجعلهم يتمتعون بالديمقراطية ، فكان يقول بان الحجاز بين ينبغي ان يختاروا لانفسهم حاكماً (وهذا ما حدا به في ربيع سنة ١٩٢٦ لتأليف خمسة مجالس استشارية محلية ، في مكة والمدينة ، وجدة ، وينبع ، والطائف ، ومجلس استشاري عام يمثل الحضر ، والبدو . وكانت الحكومة هي التى تعين روءساء هذه المجالس

وفي كانون الثاني من تلك السنة عين مجلساً نيابياً موءلفاً من ٥١ عضواً بينهم ثلاثة من النجديين ، وعين ابنه فيصلاً رئيساً للحكومة الموقتة .

وفي آب وضع ابن سعود دستوراً نشر في جريدة الحكومة الرسمية « ام القرى »

ويمكن تلخيص هذا الدستور بالمواد الاربع الآتية :

المادة الاولى — مملكة الحجاز وحدة لا تتجزأ ، على رأسها ملك دستوري يتمتع بالسيادة التامة الداخلية والخارجية ، عاصمته مكة ولغة البلاد الرسمية العربية

المادة الثانية : ادارة المملكة كلها في يدي صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الاول ابن عبد الرحمن الذي وكل اليه المحافظة على الشريعة الاسلامية ، وتنفيذ ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ، واتباع سيرة الصحابة الكرام

المادة الثالثة — دوائر الحكومة ستة : الدينية ، والداخلية ، والخارجية ، والمالية ، والتعليم ، والجيش

المادة الرابعة — لكل دائرة ، ولكل قبيلة مجلس خاص لادارة الشؤون المحلية فيها .

وقد جاء هذا الدستور اتوقراطياً من ناحية ، ديمقراطياً من ناحية اخرى ، فان ابن سعود هو السلطة الوحيدة ، ولكنه في الوقت نفسه يحكم الحجاز بين حكماً ديمقراطياً

ومن الجلي ان ابن سعود لا يمكن ان يعد مسؤولاً عن كل عمل يقوم به اتباعه في مملكته السعودية الواسعة ، التي تشمل الحجاز ونجد

معاً ، وهذا ما دفعه لان يخفف عن نفسه عبء الادارة الثقيل ، فعين ابنه الاكبر الامير سعوداً نائباً عنه في نجد ، وابنه الثاني فيصلاً نائباً عنه في الحجاز

وليس من شك في ان الحجاز يتطلب من الملك الذي يحكمه حنكة سياسية اكثر مما تتطلب نجد ، لاتصال الحجاز الوثيق بالدول الاجنبية ، ولذلك فان نائب الملك في الحجاز يستعين بمجلس تنفيذي ومجلس استشاري يتألف من اربعة عشر عضواً ، خمسة من مكة ، وثلاثة من كل من جدة والمدينة ، وواحد من ينبع وواحد من الطائف والملك هو الذي يعين رئيس هذا المجلس

اما المجلس التنفيذي فهو اشبه بالوزارة ويتألف من نائب الملك الذي يقوم بوظيفة رئيس الوزارة ، ووزير الداخلية ، ثم هناك وزير المالية ، ووزير الخارجية ، واما نائب الرئيس فهو رئيس المجلس الاستشاري المعين .

واهم ما ينبغي ان نذكره عن هذا المجلس التنفيذي هو : اولاً ان الملك — كما هو الحال في معظم الممالك الشرقية — يحتفظ بالسيادة المطلقة عَلَى الجيش

ثانياً — ان عدد اعضاء هذا المجلس صغير ، وقد يكون ذلك لقلة الرجال الذين تتوفر فيهم الصفات المطلوبة

اما بقاء الملك حاكماً مطلقاً على الجيش فقضية لا تحتاج الى شرح

ومن المرجح ان يظل هذا النظام متبعاً في بلاد العرب ، فالحكام في الشرق سواء كانوا يعدون انفسهم دستور يين او غير دستور يين ، يحتفظون بهذا النظام و يرفضون استبداله

وتعد قضية قلة عدد الموظفين في المجلس التنفيذي خطيرة حقاً ولكن ابن سعود يمكنه حلها بسهولة ، فان بلاده اذا كانت تفتقر للرجال ففي العالم العربي كتلة كبيرة من المقتدرين ، الذين يستطيعون القيام بما يطلب منهم على وجه مرضي ، وهذا ما فعله و يفعله الحاكم العربي فوز يرخارجيته الاول عبدالله الدملوجي — عراقي من خيرة العراقيين ومن اقدر الرجال العرب ، ولكنه قد عاد الى العراق سنة ١٩٢٨ وهو يخدم الان حكومة بلاده العربية كما خدم المملكة السعودية العربية

وقد حل مكان عبدالله الدملوجي احد السور يين الذين لايقلون عنه اقتداراً ، ومكانة في العالم العربي وهو فؤاد بك حمزه ، المشهور بحنكته السياسية ، واطلاعه الواسع

و بين الذين يقومون بالوظائف الرسمية العالية ، ذات المسؤولية الخطيرة ، والذين يتفانون في خدمة الملك ابن سعود ، الشيخ حافظ وهبه ، وهو مصري ، عين سنة ١٩٣٠ ليكون وز يراً مفوضاً للمملكة السعودية في لندن ، وقد اظهر دهاء خلال المدة التي قضاها في لندن قدره له الانكليز ، واعترفوا بمواهبه الفذة ، و كفاءته النادرة ، وقد رفع اسم بلاده عالياً في الخارج

وكان ابن سعود ولا شك موفقاً كل التوفيق في اختياره امثال هؤلاء الرجال الذين وان لم يكونوا سعوديين ، او حجازيين ، او نجديين فهم عرب مخلصون للملك العربي ، ولكنه مع هذا في حاجة قصوى الى تشجيع الشبان الحجازيين والنجديين ، على اتمام علومهم في الخارج ، ليعودوا الى بلادهم ليتولوا فيها الوظائف العالية التي تنتظرهم

وينبغي ان لا يغيب عن اذهاننا انه ما دام الملك ابن سعود على رأس الدولة السعودية ، يبعث الحياة والنشاط في نفوس رعاياه ، فملكته بخير ، والوطن يسير حثيثاً في مضمار التقدم ، من حسن الى احسن ، وذلك لثقة الشعب التي لاحد لها بمليكه ، ولكن اذا لم يوطد ابن سعود حكمه — وهذا يصدق على كل الدول التي تحكم اليوم حكما ديكتاتورياً — على اساس متين ، يتحمل اية صدمة عنيفة تلاقيها البلاد بعد موته ، فان الاعمال الباهرة التي قام ويقوم بها ستكتسحها الفوضى اذ انه غير منتظر ان يقوم بعد موته ابن سعود آخر في مواهبه واقتداره ، وهذا ما ينبغي ان يفكر فيه ابن سعود فلا يترك لابنه عبئاً لا يطيق له احتمالاً

ولم تكن الادارة الداخلية هي وحدها التي انصرف اليها ابن سعود سنة ١٩٢٦ فانه فضلاً عن انهماكه بتوثيق الصلات بينه وبين الدول الاجنبية ، قد تعرض لمشاكل الحدود وكان عليه ان يجد لها حلا ، فقد كانت قضية ولاية « معان — العقبة » معلقة ، وكان ابن سعود

لا يوافق عَلَى ضمها الى شرق الاردن وكانت ،شا كل الحدود الجنوبية الغربية دقيقة معقدة

وتقع العسير بين الحجاز واليمن ، والعسير امارة يحكمها الادريسي اول حاكم عربي دخل الحرب العالمية في صفوف الحلفاء ، وكان هذا وحده مصدر قوته ونفوذه ، وبعد الحرب بقليل اخذ الادريسي يتسع عَلَى حساب اليمن

ولكن الامام يحيى الذي يزدري معظم الام ء العرب ، — يحاول الاحتفاظ بحقوقه في هذه الاراضي المشاعة للجم ع ، ففي ربيع ١٩٢٦ احتل ميناء الحديدة ، واحتلت قواته سبا وجيزان ، وهما من قلاع الادريسي الحصينة

وكان بديهياً ان تهجم القوات اليمنية على املاك الادريسي ، فاستغاث الادريسي بالوهابيين فلم يصغوا اليه اصغاء تاماً ، ومع هذا تحرج الموقف فاستمد ابن سعود للقتال ، واخذ الـ س يتساءلون : هل تقع الحرب بين الامام يحيى والملك ابن سعود بسبب الادريسي

وكان من الجلي ان استقلال العسير اوشك ا ـ يزول ، وكيف يمكن ان يبقى وارضه واقعة بين مملكتين نهمتين اذا م تبتلعها جارتها الشمالية ، فجوف جارتها الجنوبية يسعها ويسع غيره

واخذ الناس يتساءلون : ترى هل تكون العسير من نصيب ابن سعود ، ام من حظ الامام يحيى ؟

واخيراً تمت التسوية ففي الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٦ عقدت معاهدة بين نجد والعسير على ان يكون بعض العسير تحت الحماية الوهابية والبعض الآخر الذي احتله الجيش اليمني في ايدي اليمنيين

ومن العوامل التي كان لها اثر في تبريد غليان ابن سعود المعاهدة التي ابرمت بين الامام يحيى وايطاليا ، فقد جعلته يفكر فوراً في حل قضية العسير قبل ان تزداد العلاقات توتراً ، ولكن سواء كانت ايطاليا هي التي ساعدت على الوفاق ام لم تساعد ، فان الوفاق قد تم ، وما زال الى اليوم بالرغم من التهديدات التي يسمعها كل ملك لصاحبه

و بين اليمن و بلاد العرب الوهابية معاهدة و كل حديث عن الحرب الآن سابق لاوانه

واجتمع في كانون الثاني سنة ١٩٢٧ عدد كبير من زعماء القبائل ورجال الدين ، وتوسلوا الى ابن سعود ان يقبل عرش نجد وملحقاتها بجانب عرش الحجاز ، وكان من الطبيعي ان يقبل ، ومن ذلك الحين اصبح ابن سعود ملكاً على الحجاز ونجد

وعادت الحكومة الانكليزية لمفاوضة ابن سعود ، ولحسن حظ هذا الملك ان ارسلت له صديقه القديم السير جلبرت كلايتون فجرت المفاوضات في جو مشبع بالمودة ، فامضيت معاهدة جدة في العشرين

من ايار سنة ١٩٢٦ وابرمت في السابع عشر من ايلول سنة ١٩٢٧

وكان يقول الانكليز بان الحالة قد تبدلت ، وان ابن سعود الذي امضى المعاهدة الاولى في سنة ١٩١٥ غير ابن سعود الذي يفاوضهم الآن مفاوضة الند للند .

وفي الواقع ان كلايتون كان يفاوض ابن سعود مفاوضة الصديق للصديق ، واعترفت بريطانيا العظمى بالتوسع الوهابي ، وبالاملاك الجديدة التي ضمها الوهابيون منذ ١٩١٥ كما ان ابن سعود قد وافق لقاء ذلك على عدم تعرض الاخوان للاملاك الواقعة تحت الانتداب الانكليزي ، وفي مقدمتها العراق ، وشرق الاردن

وضمنت المعاهدة للانكليز المسلمين الحج الى مكة ، وصيانة ارواحهم ، وحسن معاملتهم ، كما اعترف الانكليز برعايا ابن سعود الحجازيين والنجديين ، عندما يكونون في الاراضي التي تحت الانتداب الانكليزي

وتعهد ابن سعود بالمحافظة على الصلات الودية بينه وبين الكويت ، والبحرين ، ومع شيوخ خطار وساحل عمان .

وتعهد ابن سعود بمقاومة تجارة الرقيق الابيض في بلاده ، ومشاركة الدول في هذا العمل الانساني

وكان ابن سعود راضياً كل الرضا عن هذه المعاهدة التي ابرمت بينه وبين الامبراطورية البريطانية في النصف الاول من سنة ١٩٢٧

ولكن هذا النصر لا يعد شيئاً بجانب النصر الذي صادفه في النصف الثاني من السنة عينها ، فقد اقبل العالم الاسلامي على الحج اقبالاً لم تشاهده الاماكن المقدسة في ماضي ايامها ، بالرغم عن الاشاعات الكاذبة التي كان يروجها الخصوم ، بان الحرب مستعرة بين اليمن والحجاز ، وبالرغم من رفض الحكومة المصرية ارسال المحمل الشريف ، فما الذي فعله ابن سعود لترغيب الناس في الحج؟ .. انصرف الى ادخال التحسينات على طرق المواصلات ، ونشر النظام وتحسين الحالة الصحية ، وبمعنى آخر جعل الاعمال تتحدث عن نفسها

وشعر ابن سعود في حزيران سنة ١٩٢٧ عندما وجد الاراضي المقدسة تعج عجيجاً بالحجاج ، الذين كانوا يعدون بالآلاف بفرح لا مثيل له .

ووعد الحجاج ابن سعود بان يكونوا رسله الامناء في العالم الاسلامي ، وانهم لن يتحدثوا الا بما رأت عيونهم

ولكنه على الرغم من هذا اضطر في نهاية سنة ١٩٢٧ لان ينقطع عن المباهاة ، وكان هناك ما يبرر انقطاعه هذا ، فقد عادت الامور الى التعقد والتهبت جزيرة العرب ؟ ...

٣٠

لاقى الملك عبد العزيز في خريف سنة ١٩٢٧ احرج ازمة حدثت له في كل اطوار حياته ، فالصعوبات الماضية التي جابهها اذا قيست بالصعوبات التي صادفها تلك السنة لم تكن شيئاً مذكوراً

استطاع ابن سعود ان يتغلب على خصومه السياسيين ، وان يخضع الولايات المجاورة كالحائل والحجاز ، واظهر تفوقاً على امراء العرب الذين كانوا يعتزون بقوتهم وسلطانهم ، وكانت علاقته تزداد توثقاً على مرور الايام بالدول الاجنبية ، التي وجدت فيه من المواهب الخارقة ما قسرها عَلَى موالاته ، واظهار الاحترام الجدير به ، ولكنه الآن لا يقاوم رجالاً تأكل قلوبهم الغيرة ، ولا يناضل اشخاصاً دفعهم الطموح الى الوقوف في وجهه ، وصده عن فتوحاته ، وانما هو امام ثورة وهابية تفتح فاها لابتلاعه ، ووسط جماعة من الوهابيين الثائرين ، الذين يخشى ان يقضوا بقصر نظرهم على الاخضر واليابس

بقي ابن سعود حوالى السنتين يقاوم الثوار حتى اخضعهم ، ويعلم الله انه لو كانت هذه الثورة قد نجحت لكنا نتحدث اليوم عن البيت السعودي ، كما نتحدث عن البيوتات العريقة التي توهج نورها ثم انطفأ وتلاشى

ولنبسط الآن اسباب هذه الثورة فنقول :

كانت حكومة نجد قد ظلت مدة سنتين تمنع الغزو انفاذاً لمعاهدة البحرة سنة ١٩٢٣ ولكن السلطات الانكليزية في العراق كانت قد فشلت الى حد بعيد في صد القبائل التي تحت رعايتها من الغزو ، وعلى الاخص قبيلة شمر ، التي كانت لا تهدأ ابداً ، ولهذا خطر للانكليز في العراق ان يضاعفوا رقابتهم على القبائل البدوية ، ويشددوا الخناق عليها باقامة عدة مراكز للبوليس ، يجهزونها (بالراديو) وعن طريق هذه المراكز يمكن للقوة العراقية التي تطوف الصحراء على الجمال ، ولقوة الطيران الملكية ان تقمعا فوراً كل حركة اعتداء تقوم بها القبائل العراقية ضد نجد .

واختارت في بادىء الامر البصة التي تبعد ٧٥ ميلاً وابوغار التي تبعد ٩٠ ميلاً عن اقرب نقطة من حدود نجد ، لتكون بين هذه المراكز العسكرية ، وصممت هذه السلطات ان تنتهي من بناء هاذين المركزين قبل خريف سنة ١٩٢٧

ولكن الاخوان لا يستطيعون كبح شهواتهم للغزو ، فانتهزوا اقدام السلطات على بناء هذه المراكز ليبدأوا حملاتهم .

وكان العراق ونجد قد واقفا في معاهدة العقير سنة ١٩٢٢ عَلَى عدم تحصين الموارد المائية المجاورة للحدود فاخذ الاخوان يتساءلون :

ما هذا الذي تقوم به السلطات العراقية في البصة هل تريد ان تتحدانا ؟ ... سنرى !

وكانت حكومة الرياض تتخوف من ان تعمد العراق الى بسط سلطانها على الصحراء ، وتتحكم فيها بطرق عملية ، وشعر ابن سعود ان تخوفه القديم في محله

رفضت السلطات العراقية العدول عن فكرة تأسيس هذه النقط ، فثار الاخوان الذين كانوا قد تعبوا من ابن سعود لالحاحه المتواصل عليهم بضرورة الانقطاع الكلي عن الغزو ، والاستعاضة عنه بالاساليب السياسية

وفي الواقع انهم كانوا لا يجدون منذ شهور طويلة ، فرصة اسعد من هذه الفرصة ، ولا ننس انهم لا يفهمون للمفاوضات معنى ، ولا يقدرون لها وزناً ، ووجدوا ان العراقيين سيقضون على عادة تأصلت في دمهم ، وتوارثوها منذ ازمنة عريقة في القدم ، وهي حرية الانتفاع بالمناهل ، وحرية الغزو ، فازدادوا شوقاً للانتقام من العراقيين ولم ينتظر هؤلاء الاخوان كلمة الرياض .

ففي الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ دون تحذير ، وفي وسط الظلام ، انسلماية من الاخوان تحت قيادة فيصل الدويش ، زعيم قبيلة مطير ، وانقضوا بغتة على النقطة العسكرية ، ولم يكن البناء المصنوع من الطوب والطين قد تم ، ولم يكن يقيم فيه غير عدد محدود من البوليس المجانة ، وعدد صغير من العمال

وفي لحظة كان الاخوان قد قضوا عليهم جميعاً ، وهم ستة من

رجال البوليس ، مراقب الاعمال من قبل دائرة الاشغال العامة ، واثنا عشر من الفعلة العرب ، وامرأة

ووصل رجال الطيران ، فوجدوا اشلاء القتلى مبعثرة ، واجسامهم ممزقة ! تشهد بجلاء عَلَى قسوة الانسان ؟ .. اما البناء فلم يتركه الاخوان الا انقاضاً ...

واشتد سخط العراقيين على الوهابيين ، وزادهم سخطاً هدوء الانكليز وبرودتهم ، وعدم تحركهم لما حدث ، ولكن الاخوان كانوا لا يبالون مطلقاً بحرارة العراقيين ، او ببرودة الانكليز ، والدليل على ذلك انه لم ينقض شهر على هذه المجزرة الصغرى ، حتى هجم بعض افراد قبيلة مطير على الكويت بالقرب من جهرة ، وفي هذه المرة لم يكن الكويتيون قد خالفوا اي معاهدة ، او نقضوا اي اتفاق ، ولكنها شهوة الغزو القوية وكفى !

وفي التاسع من كانون الاول هجم المطيريون انفسهم على قبيلة « بني هاشم » الآمنة العزلاء من السلاح ، والتي يقيم افرادها في العراق ، لا هم لهم غير العناية بالاغنام ولا يفكرون في القتال .

ولم يكن هذا كل ما وقع من الوهابيين ، فانهم فعلوا ما هو شر من هذا ، ففي السابع عشر من كانون الاول ، هجم فيصل الدويش — ولا تنسَ قسوته — عَلَى بعض الرعاة العراقيين بالقرب من جميمة ،

وفي هذه المرة لم يبقوا حتى على الاطفال ، وابادوا الرجال على بكرة ابيهم .

وفي الواقع فان فيصل الدويش وجماعته المختلطة ، من عناصر شتى ، كانوا ابعد من ان تطولهم يدا ابن سعود ، فكانوا لا يبالون باحتجاجات الحكومة العراقية الصارخة ، وبمعنى آخر كانوا يحكمون انفسهم ، ويفعلون ما يحلو لهم ! ...

واعادت هذه الحوادث الذكريات المؤلمة الماضية ، فاخذ العراقيون يتذكرون ما أتاه الوهابيون في القرن التاسع عشر من فظائع منكرة ، في كربلاء ، وفي غيرها من المدن

ولسنا في مجال يسمح لنا بالتحدث عن اثر تلك الحوادث في نفوس العراقيين ، ولكن يكفي ان نذكر ان الرأي العام في العراق ، كان يطلب بشدة من الحكومة العراقية ، حماية القبائل العراقية ، والاقتصاص من الاخوان اقتصاصاً صارماً .

واخذ يتحدث البغداديون بضرورة تأليف جيش لمهاجمة الوهابيين في الصحراء ، وانتشرت في الجو رائحة الحرب ، وانطلقت الالسن فلم تعد تتحدث الا عن مقاتلة الوهابيين .

وتنظمت حملة تأديبية جعلت مركزها « اور الكلدانيين » كانت مؤلفة من القوات العراقية والانكليزية ، ولكن عدل العراقيون اخيراً عن رأيهم ، وتركوا الامور لقوة الطيران الملكية

وقررت السلطات في العراق ان نسمح للطيارات الانكليزية بطاردة القبائل النجدية حتى حدود نجد ذاتها اذ وجدت ان لامناص من ذلك ووكلت اليها استطلاع ما يجري على الحدود لتتأكد العراق من عدم استعداد « الاخوان » للقتال ، او من استعدادهم له

وهنا جاء دور حكومة ابن سعود للاعتراض ، بعد ان وجدت ان الطيارات الانكليزية تتجسس وتهاجم القبائل

ولم يستطع الملك عبد العزيز ان يعترف صراحة بعجزه عن التحكم في قبائله الثائرة لبعد المسافة بينه و بينها ، وانما استسلم للغضب وشاركه النجديون في غضبه ، وكيف لا يغضب النجديون والطيارات الانكليزية بتعديها على الحدود النجدية قد خرقت كل المعاهدات التي ابرمت بينها و بين ابن سعود ؟

وكان ابن سعود دائم التخوف من انضمام بقية الاخوان الى من ثار منهم .

وظلت حركة الغزو مستمرة دون انقطاع ، ولم تكن شبيهة بحركات الغزو العادية التي الفها بدو الصحراء ، والتي كانوا يقومون بها في اوقات السلم قصد التلهي ، فان الاخوان في غزواتهم الاخيرة كانوا يقتلون النساء ولا يبقون على الاطفال وكانت الاعمال التي يقومون بها في نظر الغزاة العاديين وحشية ، حتى انهم كانوا هم انفسهم يلقبونهم بالوحوش

وفي نهاية شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٨ غزت قبيلة مطير الكويت ولكن الطيارات الانكليزية قد اصطادتهم وهم يحملون الغنائم والاسلاب

وفي ٩ شباط غزت قوة نجدية مضارب قبائل مختلطة من العراقيين والكويتيين في «جر يشان» على بعد ٤٥ ميلاً من جنوبي غرب البصرة وكانت خسائر العراقيين ٢٨ قتيلاً و ٥٧٩٥ رأس من الغنم و ٦٩٩ من الحمير ، و ٢٩ بندقية و ٤٦ خيمة ، ولكن قوة الطيران كانت تعاقب السلايين عقاباً صارماً .

وفي ٢٤ منه قذفت الطيارات القنابل عَلَى نجد حتى الصفا التي تبعد ١٣٠ ميلاً عن المنطقة المحايدة ، وفي عبارة واحدة التهبت الحدود !

كان على الجانب الواحد القوات العراقية التي لا قدرة لها على وقف الغزو ، ولكنها من ناحية اخرى كانت تعاقب الغزاة فوراً وتوقع عليهم العقوبات الصارمة وعلى الجانب الآخر الاخوان الذين صمموا على ان ينقطعوا عن الغزو ، ما دامت العراق تستخدم في مقاومتهم السلاح الجوي المبيد

ولم تكن بلاد العرب قد صادفت حالة كهذه منذ الحرب ، ولم يكن قد مر على ابن سعود دور دقيق كالذي كان يمر فيه ، واستولى الذعر على كل الشرق الاوسط ، وراجت الاشاعات بان النجديين قد

اعلنوا الحرب وان ابن سعود بذاته هو الذي سيقود الاخوان لمقاتلة اهل العراق والاردن والكويت .... وكانت تظهر كبريات الصحف طافحة بالتكهنات عن هذه الحرب المنتظرة

ولكن لحسن الحظ كان كل ما قيل في هذا الصدد لا يتعدى حدود الاشاعات

وكان الصحافيون الذين جاؤا من البصرة ، والقدس اكثر من غيرهم ترويجاً لهذه الاشاعات المثيرة ، وان كنا لا ننكر ان الاخوان في الحقيقة كانوا يتعطشون للحرب ، وان الحدود العراقية ذاتها كانت مهددة

رأى ابن سعود ان يوقف القتال ، وذكر ان فصل الغزو قد انتهى ، وادرك الملك اخيراً جهل بعض رجاله ، لتعرضهم لبلاد كالعراق تحميها قوة الطيران . وكان الحاح الانكليز يلعب دوره في تهدئة الاعصاب ، فاضطر ابن سعود في النهاية الى قبول المفاوضة مع المندوب الانكليزي في اسباب النفور الجديد الذي قام بين العراق ونجد

وشعر ابن سعود ان لا غنى عن المدنة ، وان لا غنى عن ازالة سوء التفاهم ، لانها السبيل الوحيد لاعادة نفوذه على رجاله الثائرين المنشقين

وارسلت الحكومة الانكليزية الى ابن سعود صديقه الحميم السير

جلبرت كلايتون ، مع بعض الاشخاص الذين يمثلون العراق وشرق الاردن فوصل هذا الوفد الى جده في ايار

ووجد الوهابيون ان موقفهم بات دقيقاً ، فانه اذا لم يتم الاتفاق تزداد مشاكل نجد تعقيداً ، بل ربما يستحيل حلها

وعرضت قضية مراكز البوليس عَلَى بساط البحث فتبين فوراً للمتفاوضين بانها من القضايا المعقدة المحيرة

وكان موسم الحج عَلَى الابواب ، وكان على السير جلبرت كلايتون ان يترك جدة قبل نهاية ايار ، والقضية لم تحل بعد ، فان الملك ابن سعود كان يصر على ازالة هذه المراكز ؛ لانها اعتداء على معاهدة العقير ، وعبثاً حاول المندوب الانكليزي ان يقنعه بان هذه الاماكن تبعد عن اقرب نقطة من حدود نجد ٢٥ ميلاً ، وان النقط الاخرى تبعد ٩٠ ميلاً

ومع هذا فقد افترق السير جلبرت كلايتون عن الملك عبد العزيز في اواخر ايار ، كصديق ، ثم اجتمعا ثانية كصديقين في جدة في الاول من آب ، ولكن الفشل لازمهما في المرة الثانية ، كما لازمهما في الاولى فانقطعت المفاوضات بعد اسبوع

وترك السير جلبرت كلايتون جدة ودلائل الاسف بادية على وجهه ، وابحر الى انكلترا . وترك ابن سعود جدة الى مكة والطائف والرياض وهو لا يقل اسفاً عن صديقه كلايتون ... اجل فشلت

الطرق السياسية وانتظر الاخوان على احر من الجمر ما يفعله ابن سعود بعد تلك الخيبة ، وكانوا يلومونه لانه اضاع الوقت في المفاوضات العقيمة ، واخذوا يحضونه على التفكير في الطريقة المجدية القائمة على القوة والحرب ؟ ....

وأيقن ابن سعود انه يستحيل عليه صد الاخوان عن الغزو في موسم الغزو

ولم يكن يداخله ادنى ريب في وقوع الحرب بين نجد والعراق ولكن قيام هذه الحرب لا بد ان يسفر عن اندحار النجديين ، وكان الاخوان لا يفكرون في النتائج ، ولا يبالون بغير تحقيق شهواتهم في الانتقام وفي السلب

عاد ابن سعود من الحجاز الى الرياض ، ليقف على نفسية الشعب الحقيقية فتبين له ان الشعب هائج وانه غاضب على جلالته ... شعر بهذا الغضب ... فعقد في الحال مؤتمراً وطنياً عظيماً في الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٢٨ في الرياض ، على امل ان يحل اعضاء المؤتمر هذه المعضلة ويخرجوه من هذه الازمة ، اجل اراد الحاكم الاتوقراطي استشارة رعيته ، والاستعانة بالوسائل الديمقراطية ، وقد صمم ان يمثل المؤتمر كل انحاء البلاد ، وان يجمع كل العلماء وزعماء القبائل حتى يعبر تعبيراً صحيحاً عن اماني الشعب ، ولكن فيصل الدويش لم يحضر هذا المؤتمر كما لم يحضر سلطان بن بجاد زعيم قبيلة عتيبة ، ولم يحضر

ايضاً دهدان ابن حثلين زعيم قبيلة العجمان ، وهذه شخصيات ضخمة لها اكبر الاثر في تاريخ المملكة الوهابية ، فلماذا لم يحضروا وما الذي حدا بهم الى التخلف عن موءتمر وطني كهذا ؟ كان السبب الوحيد الاستخفاف بابن سعود ! والرغبة في تحديه ، وانقلبت الامور فاصبح الاخوان يحاربون الاخوان بعد ان كانوا يحاربون جيرانهم ؟ ...

وكانت البلاد على ابواب حرب اهلية ، بين الملك عبد العزيز ، والرجال الذين ساعدوه في الوصول الى ما وصل اليه من مجد، وكان ينتظر ان يدور القتال حتى الموت ! .

واخذ العالم يتساءل :

هل يعيد التاريخ نفسه ؟

الحزب الامبراطوري في روما ، والانكشارية في تركيا ، والمماليك في مصر

وعلى كل حال فان العالم قد ايقن بشيء واحد وهو :
ان الحرب الاهلية واقعة حتماً في نجد

٣١

كان المؤتمر القومي الذي انعقد في الرياض مظهراً من اكبر المظاهر الدالة عَلَى الحذق في المباهاة والبراعة في الزهو ، كان معرضاً متقناً لتصنع القوة ، بل معرضاً فاخراً لاظهار الدهاء ، ولكنه كان اكثر من هذا اذ تجلى فيه اخلاص الملك عبد العزيز وشجاعة الملك عبد العزيز .

جابه هذا العاهل العربي الخطر ولم يفر منه ، وقف في وجه السخط العام الذي قضى على كل البيوتات العربية ، التي كانت تتمتع يوماً ما بالعز والمجد ، والتي كانت لا تحلم بالاندثار ، ولكنه لم يظهر امام هذا الشعب الهائج بمظاهر الملك وحدها ، بل بمظهر الرجل الاخ الذي يعطف عَلَى الاخوان ، على البدو جميعاً ، على العرب . كان اتوقراطياً وديمقراطياً في آن واحد ، كان رجلاً فذاً

واستمرت المجادلات وطالت المناقشات وكان كل زعيم يحاول فرض رأيه على بقية الزعماء .

ولم يترك المؤتمر القومي موضوعاً تحت الشمس الا بحث فيه ، او على الاقل تعرض له ، ولكن الملك لم يترك انتقاداً وجه اليه الا الخم قائله بالحجة والبرهان . وافتتح الملك المؤتمر بهذه العبارات التي تدل على زهو غير قليل :

ايها الاخوان

« اني لم اطلب منكم ان تجتمعوا اليوم في هذا المكان خشية منكم ، فاني قد اسست هذه المملكة بقدرة الله وحده ، الذي عضدني وساعدني ، والذي كتب لي الفوز ، وكتب لي التوفيق .

وان خوفي من الله وحده ، هو الذي حدا بي لان اجمع شملكم اليوم ، لنتباحث معاً وقد فعلت ذلك حتى لا اقع في نقيصة الاعجاب بالنفس او الكبرياء في غير موضعها »

اما قلوب النجديين فقد ذابت امام اقوال هذا الرجل العظيم ، الذي يهاب الله الى هذا الحد ، والذي يخشاه الى هذا المقدار .

وفي الواقع ان للملك قد عرف كيف يضرب على الوتر الحساس ، النغمة التي يطرب لها البدوي ويتأثر منها ، البدوي الذي يريد من قائده ان يكون باسلاً كل البسالة ، واثقاً بنفسه كل الثقة ، ولكنه يريده ايضاً ان يكون خاشعاً امام الله كل الخشوع ، ورعاً كل الورع .

ووقف الملك يخطب في المؤتمر فسحر سامعيه بقوله :

« اني اريد منكم ايها الاخوان ان تفكروا في الرجل الذي يتولى قيادتكم ، وفيما اذا كنت جديراً بهذا الحكم او غير جدير ، فان لم تجدوني اهلاً له ، فاختاروا رجلاً آخر ، على ان يكون من افراد اسرتي التي اعتز بها ، ومن عائلتي التي تجدونها ماثلة بينكم في

وسطكم . واني اتوج رأسه بنفسي، واعاهدكم بان اتفاني في مساعدته».

فوقع هذا الكلام في نفوس الحاضرين كالسحر ، وتعالت الاصوات : — كلا … كلا … يا عبد العزيز لن نرغب في ملك سواك يا عبد العزيز

هذا ما تجلى من الشعب بعد ان عرض الملك تنازله عن العرش، وهذا ما كان يتوقعه عبد العزيز من الاخوان ، وكان هذا التنازل سبباً في تقوية نفوذه ، واعلاء مكانه ، واشتداد التعلق به

وتعرض اعضاء المؤتمر لبحث قضية التلغراف اللاسلكي . قال الرجعيون من الاعضاء انه نوع من السحر ، وانه من عمل الشيطان . وقال ابن سعود ، يؤيده الاخوان الذين يفهمون غير هذا الفهم ، قولاً غير هذا ، واصر ابن سعود على رأيه ، ووقف يخطب فيقول :

« ليس في الشريعة الاسلامية ما يمنعنا من الانتفاع بطرق المواصلات الحديثة ، والتمشي مع التقدم العلمي ، ومع هذا فاني اترك الامور هذه للعلماء ، والتفت الى العلماء وقال :

هل تجدون في اقوال النبي (ص) ما يعارض الانتفاع بهذه المخترعات الحديثة ؟ وكان العلماء قد فكروا في هذا الموضوع وقتلوه بحثاً فاجابوا : — كلا

وانتقل ابن سعود الى موضوع آخر بعد نجاحه في الموافقة على

ادخال التلغراف اللاسلكي . اراد من اعضاء المؤتمر ان يفكروا في طريقة لتحقيق السلم بينهم وبين الجارات العربيات . . . وكان لا يخفى عَلَى ابن سعود النكبات التي حلت بالاخوان ، وكان يقدر شهواتهم القوية للانتقام ، وكان يشعر بالضيق الاقتصادي الذي عانوه ، وما زالوا يعانونه ولم ينسَ ان البدوي ينظر الى الغزو نظره الى وسيلة لكسب العيش ، والبحث عن القوت . ولكن مع شعور ابن سعود بكل ذلك لم يجد ما يبرر غزوهم للاقطار العربية الواقعة تحت الانتداب الانكليزي ، وكان يقول انه لا يؤيد الا السلم، ثم يطالب بالتعويضات لما يلحق الاخوان من الاذى والضرر

وايقنت القبائل ان ابن سعود لا يرغب في غير السلم ، فصاح رجال قبيلة المطير ، والعجمان ، في وجهه :

اتريد السلم ؟ اتريد السلم ؟ اتصادق العراق والكويت وشرق الاردن ؟ . . . ابداً . . . نحن الاخوان سنقاتل خصومنا ، رضيت يا عبد العزيز ام ابيت ؟ وتجسم استخفاف البدو بصاحب الجلالة .

وكان من زعماء المعارضة فيصل الدويش ، زعيم قبيلة مطير ، وابن حميد زعيم قبيلة عتيبة ، اقوى الزعماء في كل نجد ، واندلعت نيران الثورة الاهلية في البلاد .

ولكن ابن سعود لم ينس الخدمات الماضية التي اداها هؤلاء

الزعماء للقضية الوهابية ، ولم يفكر في القضاء عليهم ، بل حاول جذبهم اليه بالحسنى وحقناً للدماء . ورأى ان يترك الامر للمحاكم الشرعية لتوقع القصاص العادل بهم

ووجد ابن سعود ان الهياج قد زاد ، وان الحرب قد اشتعلت في الصحراء ، فبدأ يحشد الجيوش حالاً ، ووجد ان لا مفر من القتال

ولم يأت ربيع سنة ١٩٢٩ حتى كان على استعداد لان يضرب خصومه من الاخوان الضربة القاضية

وحوالى نهاية شهر اذار كانت الجيوش السعودية الملكية تقاوم الثوار بين الارطوية وزلفى ، واشتبكت القوات عند «سبيلا»

وكان بالامكان ان ينتهي القتال في يوم واحد ، فان الثوار وان كانوا يستميتون في القتال ، الا ان عددهم كان اقل كثيراً من عدد المقاتلين في جانب الملك .

توقف القتال بسرعة ، بعد ان سقط مائة من القتلى بينهم بندر ابن فيصل الدويش ، فوقعت هذه النكبة على المقاتل الطاعن في السن ، وقع الصاعقة فحمله اتباعه من ساحة القتال ، وقد ظن الذين شاهدوه محمولاً انه قد جرح جرحاً مميتاً ، وهرب ابن بجاد ولكن الاخوان لم يتركوه يفلت من ايديهم ، فاقتنصوه في الحال وحملوه مبجيناً الى الرياض ، حيث يعيش الآن طليقاً مع بقية الزعماء الذين وقعوا اسرى في يدي ابن سعود

اما فيصل الدويش فهو رجل يتعصب لقبيلته ، ولا يستطيع ان يتصور كيف يمكن ان تحل العصبية القومية لبلاده مكان عصبيته لقبيلته ، وكان فارساً مغواراً من الطراز القديم . رجل قد طعن في السن ، فاخذ ابن سعود يرثي لحاله وعَلَى الاخص عندما سمع بالنكبة التي حلت به بسبب ذبح ابنه ، فتركه يقضي ايامه الباقية حراً بين رجال قبيلته .

وطاف ابن سعود الحجاز وكانت البلاد على ابواب الحج ، وسرعان ما تبين له ان الثورة التي ظن انه قضي عليها قد تجددت ، وان فيصل الدويش الذي ظنه عَلَى ابواب الموت لم يمت ، بل ان ابنه بندر لم يقتل كما اشيع ، وان هذا الرجل الذي اظهر له الملك عبدالعزيز عطفاً خاصاً ، ورثى لحاله ، قد عد هذا العطف مظهراً من مظاهر ضعف الملك عبد العزيز ، وان كان قد فشل في ثورته الاولى لقلة عدد رجاله ، ففي بطن الصحراء الوف المقاتلين ، ولن يقع في هذه الغلطة الشنيعة مرة اخرى ، ولن يهاجم الملك عبد العزيز الا ومعه اكبر عدد من المحاربين ، وكان يقول : اذا كان رفيقي في القتال ابن حميد قد وقع اسيراً يقيم سجيناً في الرياض ، ففي الصحراء غيره من الزعماء ، ولماذا لا يحل مكانه « فرحان بن مشهور » زعيم قبيلة الرولا ، الذي لا يقل بأساً عن رفيقه السجين .

ولكن الاهم من هذا كله ان قبيلة العجمان التي تقيم في الحسا ،

وهي من القبائل الكبيرة القوية ، المشهورة بتاريخها الطافح بالخيانة والغدر، والتي لم تعرف الاذعان والانقياد في كل ماضيها، على وشك ان تلقي بنفسها في التيار مع فيصل الدويش

وكانت القبائل التي صممت على مقاتلة ابن سعود قد حذقت فن الغزو وتمرنت عليه تمريناً كافياً ، في غزواتها العديدة للكويت والعراق ، في سنة ١٩٢٩ وكانوا يشعرون في قرارة انفسهم ان الصحراء لهم، وانه في وسعهم ان يغزوا الاماكن التي يريدون غزوها متى شاءوا

اما حاكم الحسا عبدالله بن جلوي الذي تحدثنا عن اخلاصه وولائه لمليكه في فصل مضى ، فلم يطق ان يحتمل هذا الحديث الذي يتفوه به هؤلاء الخصوم ، فصمم عَلَى منع غزو العراق ، تنفيذاً لاوامر مليكه ، وعَلَى الاخص بعد ان تعين صديق ابن سعود الحميم السير جلبرت كلايتون مندوباً سامياً في بغداد سنة ١٩٢٩

وحاول الملك ان يقنع زعماء قبيلة مطير بالاستسلام ، فلم يقتنعوا ، وحاول عبدالله بن جلوي ان يقنع زعماء قبيلة العجمان ففشل فوقعت الحرب الاهلية ثانية في القسم الشرقي من البلاد

وجمع فهد بن جلوي بعض سكان مدينة الحسا ، وبعض رجال قبيلة بني خالد ، وبني مرة ، وبني هاجر ، وبعض الرجال الذين كانوا يوالون ابن سعود من قبيلة العجمان ، والف منهم جيشاً تحت

قيادته وتقابلت الجيوش في مكان يقال له « سرار » مقر دهدان ابن حثلين ؛ ولكن قبل ان تدور رحى القتـال ، دارت رحى المفاوضات ، فتقدم دهدان مع عدد صغير من الفرسان الى خيمة فهد

ووصل الى رجال دهدان ان فهداً لا يفكر في المفاوضات ولكنه اراد ان يحتال حتى يغتال زعيمهم ، فتملكتهم ثورة شديدة من السخط وتقدموا في هياج ليلاً لمقاتلة فهد ، ولما وجد فهد هذا الهجوم ظنه خيانة منهم فلم يكن منه الا ان قتل دهدان انتقاماً فلما جاء رجال العجمان ووجدوا زعيمهم قتيلا تنبهت فيهم كل الغرائز الفطرية وكان احد خدم فهد من قبيلة العجمان ، فما كان منه الا ان هجم على مولاه وذبحه .

وانضم الموالون من قبيلة العجمان الى غير الموالين منهم وتغلبت عصبية القبيلة ، وفر البدو الذين كانوا لا ينتمون لهذه القبيلة ولم يبق غير سكان الحسا مع رجال قبيلة العجمان الذين عادوا فاتحدوا ودار القتال طول الليل حتى الفجر ؛ وتقهقر سكان المدينة وانتصرت قبيلة العجمان على طول الخط

وترك ابن سعود الحجاز في تموز قاصداً الى نجد وحل نايف بن حثلين مكان دهدان المقتول وسادت الفوضى

ولم يضيع ابن سعود وقته في مفاوضة الثوار ، بل ارسل ابنه

الاكبر ولي العهد الامير سعود على رأس حملة لتأديب قبيلة العجمان

وكان المرض قد اشتد على عبدالله بن جلوي بعد موت ابنه فهد فامر ابن سعود ابنه الامير سعوداً ان يحكم ولاية الحسا ، مكان هذا الزعيم الى ان يشفى

وفي الوقت نفسه اخذ الملك يعد عدته لتأديب العصاة ، فقرر نهائياً تجريدهم من سلاحهم ، ولكن قبل ان يقدم عَلَى ذلك وجد ان الجيوش الموالية في الحسا والتي كانت تتألف من افراد قبيلة العوازم قد استطاعت في الخامس من تشرين اول ان تهزم قوة متحدة مؤلفة من افراد قبيلتي العجمان ومطير

وقتل ابن فيصل الدويش الثاني في هذه المعركة

وكان هـذا الانتصار غير المنتظر يبشر بنهاية هذه الثورات الداخلية .

وحمل فيصل حملة قوية ولكن القوات السعودية الموالية كانت تشدد الخناق عليه ، كانت العراق معادية ، وكانت الكويت معادية وكانت نجد معادية ، فتعاونت هذه الممالك الثلاث على حصر الثوار في « موطنهم »

وفي العشرين من تشرين الثاني قاد الملك عبد العزيز بنفسه حملة قوية مؤلفة من رجال قبيلة حرب وعتيبة وقحطان ، والدفير ،

وشمر ، وعنيزة ، فتعاونت كلها على صد الثوار الذين لم يكن في وسعهم الا الاستسلام التام بلا قيد ولا شرط

اخذت الجيوش السعودية تطاردهم فيتقهقرون ميلاً فميلاً الى ان حصرتهم في ركن بين الكويت والحدود العراقية في الجنوب الشرقي من المنطقة المحايدة . ولم يكن في وسع هذه القوات ان تفلت واضطر فيصل الدويش للاستسلام

وفي ٢٩ من كانون الاول التقى فيصل برجال قبيلة مطير والقوات الملكية في ركوي بوادي البطين فهزم هناك هزيمة شنيعة وهرب ولكنه لم يدر الى اين يهرب

واشرقت شمس سنة جديدة ، فاستسلم الثوار ولكنهم لم يستسلموا للوهابيين ، وانما استسلموا للعراقيين وللسلطات الانكليزية

اجل ، تقدم فيصل الدويش وابن لامي زعيم قبيلة مطير ، ونايف بن حثلين زعيم قبيلة العجمان ، وفرحان بن مشهور زعيم قبيلة الرولا ومعهم الالوف من الاتباع ، فعبروا حدود الكويت والعراق ، وسلموا انفسهم ، وبعد ان وعدهم ابن سعود بعدم الانتقام منهم ، عادوا الى واليهم ومليكهم الذي تمردوا عليه

اما ابن مشهور وهو من الرعايا السوريين ، فانه لم يعد الى ابن سعود وهكذا انتهت الحرب الاهلية في نجد

انتهت ثورة فيصل الدويش ، وازيلت الاسباب التي كانت تدعو للاصطدام بين العراق ونجد

وان العرب ولا شك مدينون الى حد بعيد للانكليز الذين كانوا قد اصروا على وضع حد لهذا القتال ، يدور في شبه جزيرة العرب والى المساعدة التي قدمها الانكليز لابن سعود ، فمكنته من اخضاع الثوار وتم التفاهم بين القطرين العربيين ؟ العراق ونجد

٣٢

طلب ابن السعود من الكويت والعراق تسليم الثوار، وكانت التقاليد العربية تحتم على الملك الوهابي تقديم الضمانات الكافية لتأمين سلامتهم قبل التسليم ، فلم يكن في وسع حكومتي الكويت والعراق ان تسلما هؤلاء الفارين لتقطع رقابهم في نجد

وهاج ابن سعود عندما سمع هذا الطلب من الحكومتين وظل في هياجه مدة ، ولكن الكولونيل بيسكو، المندوب السامي في الخليج الفارسي ، استطاع ان يحل هذه الازمة ... توفي هذا الكولونيل في الخليج الفارسي في ١٩ من تموز سنة ١٩٣٢ وخلفه الكولونيل فويل

ووافق الملك الوهابي على بحث للموضوع مع المندوب السامي في الكويت، في كانون الثاني سنة ١٩٣٠ واعطيت الضمانات الضرورية فتم تسليم الثوار

وبعد ان حلت هذه القضية اصبح الطريق ممهداً لفكرة الجمع بين فيصل ملك العراق ، والملك ابن سعود ، هذه الفكرة التي كان يسعى الانكليز منذ زمن بعيد لتحقيقها

ولم يكن الملك فيصل بالرغم من انه كان يحكم العراق منذ سنة ١٩٢١ قد التقى في حياته بابن سعود وجهاً لوجه ، فكان من

الطبيعي ان يترقب العالم اخبار هذه الزيارة المنتظرة التاريخية

وكان الانكليز هم الذين احكموا وضع هذه الرواية التمثيلية البديعة... ولا ننس ان بريطانيا العظمى قد لعبت دوراً في اخضاع الثوار النجديين واذلالهم ، فأدت بذلك لابن سعود خدمة لا تقدر بثمن

اجل ، لم تقدم حكومة الهند بناء على الحاح الملك الوهابي في سنة ١٩٢٩ الى نجد الاسلحة والذخيرة الحربية التي يقدر ثمنها بنحو ٣١،٥٠٠ جنيه، ولم يدفع هذا المبلغ حتى الان وان كانت الحكومة قد قررت في ٢٩ اذار سنة ١٩٣٣ ان تدفع لحكومة الهند ثلثي هذا المبلغ — فقط ولكن وجود قوة الطيران الملكية على حدود نجد كان له اعظم الشأن في نجاح القوات التي خرجت لمقاتلة الثائرين

وكانت القوات العراقية تنتفع — بالمراكز التي اقامتها في الصحراء ، هذه المراكز التي كانت قد كثرت بعد تدمير الاخوان لنقطة البصة في سنة ١٩٢٧ — في اخماد حركة هولاء الاخوان

التقى العاهلان العربيان في ٢٢ من شباط على متن السفينة الانكليزية الحربية « لوبين » بحضور السير فرانسيس همفري وهو الذي خلف السير جلبرت كلايتون، وكان قد مات فجأة في بغداد في ١١ من ايلول سنة ١٩٢٩

وكان القصد من اجتماع هذين الملكين ان يتعاونا معاً على ايجاد السلم في بلاد العرب

ولم يكد يجتمع العاهلان حتى اعجب كل منهما بالآخر اعجاباً شديداً .

كان المغفور له الملك فيصل رجلاً ، طويل القامة ، نحيلاً ، انيقاً ، لا يمكن ان ينكر احد عليه جاذبيته وسحره ، ولما التقى بالملك ابن سعود لم يكن يحمل في صدره اي حقد ، بل اجتمع به كما يجتمع الصديق بالصديق . أليس كل منهما من نبلاء العرب ؟

اما الملك عبد العزيز فهو اطول من فيصل ، واكبر منه سناً ، وهو الذي بادر فيصل بالترحاب والمجاملة

وسرعان ما تبين للعاهلين ان سوء التفاهم الذي قام بينهما ، قد جعلهما يقدران بعضهما تقديراً صحيحاً ، وان محبتهما لبلاد العرب ينبغي ان تدفعهما لنسيان كل شيء سوى التفاني في خدمة القضية العربية .

وبعد ان شعرا هذا الشعور لم يكن من الصعب ان يتم الاتفاق مبدئياً بينهما ، وان كان من الصعب حل المعضلات الكبرى الواقعة بين نجد والعراق على مياه الخليج الفارسي .

وقد تم الاتفاق المتبادل على الاعتراف باستقلال العراق ، والمملكة السعودية (الحجاز – نجد) وان ترسل كل منهما من يمثلها ،

وتتعهد بمقاومة الغزو ، وتسليم الفارين الى العدالة ، وتأليف لجنة دائمة خاصة بالحدود ، وفض المنازعات التي تنشأ عن شرح المعاهدات ، وذلك بطريق لجان التحكيم كما وافقت المملكة السعودية عَلَى النظر في المطالب العراقية الخاصة بالتعويضات ، بسبب غزوات الاخوان في السنوات الاخيرة ، وان تفض المنازعات القائمة بسبب المخافر العراقية في الصحراء الجنوبية ، على يد لجنة تحكيم موءلفة من خمسة اعضاء هذا اذا لم يتم الاتفاق في خلال ستة شهور

اما سرور العاهلين بهذا الاجتماع فكان اعظم كثيراً مما كان ينتظر ... اجل ، وجد فيصل ان املاً من آماله السامية قد تحقق ، وهو سيادة الاتحاد في بلاد العرب ، ولم يكن اغتباط الملك ابن سعود باقل منه عندما وجد ان هذه المقابلة قضت على التوتر الشديد الذي كان بين العراقيين والنجديين .

وتبادل العاهلان الهدايا ، وافترقا وهما على اتم ما يكون من الصفاء والود .

اما سرور العالم العربي فكان بالغاً الحد الاقصى ، فانهالت البرقيات والرسائل على العاهلين تحمل التهاني الحارة بهذا التوفيق العظيم .

وسافر بعد ذلك بقليل مستشار الملك الوهابي الشيخ حافظ

وهبة ، ومعه وزير الخارجية في المملكة الحجازية النجدية الى بغداد، لوضع الصيغة النهائية للمعاهدة

ووضعت المعاهدة في العاشر من اذار ، ولكنها لم تمض لان العراق كانت لا تزال تحت الانتداب الانكليزي الذي لم ينته الا في سنة ١٩٣٢

وعلى هذا انقضى زمن طويل بين وضع المعاهدة وابرامها ، وفي خلال هذه المدة تعكر الجو بين الرياض و بغداد، وذلك لعدم تسليم « فرحان بن مشهور » زعيم قبيلة الرولا للوهابيين ، وكان قد احتمى بالعراق في نهاية سنة ١٩٢٩

وفي الواقع فان هذا الزعيم احتمى بالملك فيصل ، وقوانين الضيافة لم تكن لتجيز للملك فيصل تلبية رجاء ابن سعود وتسليمه كما اراد ، ومع هذا فقد وعد الملك فيصل بان يرغب ابن مشهور في العودة الى الرياض ، ووعد الملك الوهابي ابن مشهور بانه لن يتعرض له احد اذا عاد ، ولكن هذا الداهية السوري خشي ان يكون مصيره كمصير فيصل الدويش، ان يزج في اعماق سجن من السجون المظلمة التي في الرياض .

وافق ابن مشهور على العودة عن طريق سورية ولكن كان سحر سورية قوياً جداً فبقي فيها ، فاخذ ابن سعود يلوم الحكومة العراقية اشد اللوم لانها مكنته من الفرار .

وفي الثامن من نيسان سنة ١٩٣١ ابرمت في مكة معاهدة صداقة ، ومعاهدة تسليم المجرمين الفارين من العدالة ، وكان رئيس وزارة العراق في ذلك الحين القائد نوري باشا السعيد ، قد سافر الى الحجاز ، والتقى بالملك ابن سعود ومع هذا فاذا كان الملك ابن سعود قد استطاع التوفيق بين مصالح بلاده ، ومصالح العراق ، وان يعيش على وفاق مع الملك فيصل ،فانه لم يتمكن من تهدئة اعصاب الامير عبدالله ، حاكم شرق الاردن ، وان يقلل من عداوته له

وفي الواقع فان النزاع الذي كان بين شرق الاردن ونجد ، قد بقي مدة اطول مما استغرقه اي نزاع آخر بين الملك الوهابي ، واي امير او ملك عربي ، هذا اذا استثنينا النزاع الذي قام بين ابن سعود والحكومة المصرية بسبب المحمل الشريف .

ولكن الاهتمام الذي لاقته العراق ، لم تلقَ شرق الاردن منه غير جزء قليل ، وكان الرأي العام في العالم لا يعرف حقيقة ما يجري بين ابن سعود والامير عبدالله .

وكان بدو شرق الاردن يميلون للغزو فيما مضى ، كما يميل بقية البدو ، ولكنهم لما كانوا ينتمون الى مملكة صغيرة لا يعرفون هم انفسهم كيف تكونت ، فان العالم كان يتجاهل الضيم الذي يلحقهم ، او الحيف الذي يصيبهم .

ولا يغيب عن اذهاننا ان الوهابيين ، بعد سقوط الحايل في

سنة ١٩٢١ كانوا يحاولون ان يمدوا نفوذهم الى جهة شرق الاردن ، وانهم كانوا يقومون بالغزوات المتتابعة ، لا يصدهم عنها غير خوفهم من لوقوع في ايدي قوة الطيران الملكية ، فان في معاهدة جدة في سنة ١٩٢٣ تم الاتفاق بين نجد وشرق الاردن على التوقف عن الغزو

ولا يغيب عن اذهاننا ايضاً انه في خريف سنة ١٩٢٧ خرج قسم من النجديين تحت قيادة فيصل الدويش عن طاعة مليكهم ابن سعود ، واخذوا يغزون ، ولكن لحسابهم الخاص ، وكان من بين هؤلاء الغزاة فرحان بن مشهور الزعيم السوري الذي جاء الى نجد . كان معه جماعة صغيرة من البدو الذين يعتمدون في كسب قوتهم على شيء واحد ، وهو الغزو

وفي ربيع سنة (١٩٢٨ — ١٩٢٩) جمع اكبر عدد من البدو العصاة وغزا شرق الاردن ، فهاجم عرب بني صخر ، والحويطات ، والحق بهم خسائر فادحة ، وكان من الطبيعي ان يقابل عرب شرق الاردن هؤلاء الغزاة بالمثل ، فراح بدو الحويطات يغزون كل اقليم الجوف ، الذي عانى ابن سعود كثيراً قبل الاستيلاء عليه ، وضمه الى نجد بعد معاهدة سنة ١٩٢٥

اما حكومة شرق الاردن فكانت في ذلك الحين عاجزة عن حماية الحويطات ، وصدها عن الغزو ، وكانت قسوة عرب شرق الاردن لا تقل عن قسوة القوات الوهابية في الحرب

وتعقدت وارتبكت الامور بعد قيام فرحان بن مشهور مع ثواره في اذار ونيسان سنة ١٩٢٩ بحركة هجوم جديدة فشقوا لهم طريقاً في بلاد العرب الى جهة الكويت ، والتقوا في طريقهم برجل لا يقل شجاعة عنهم ، هو فيصل الدويش الفخور بنفسه المعجب بذاته

وكانت نتيجة هـذه الحركة ان عقوبات قبيلة الحويطات التأديبية ، لم تقع على خصومهم الاساسيين ، الذين جاؤوا خصيصاً من اجلهم ، بل على رجال فيصل الدويش

وقد انضمت الى ابن مشهور بعض قبائل الجوف المحلية كقبيلة الشرارات والرولا

وتجددت المنازعات بين الملك ابن سعود والامير عبدالله

وغضب ابن سعود عَلَى القبائل التي تقدم على غزو اراضيه غضباً هائلاً ، ولكن هذا الغضب لم يكن يعد شيئاً بجانب غضبه من اقدام بدو شرق الاردن على الهجوم على بلاده ، فانه لم يكد يصفي حسابه مع اتباع فيصل الدويش ، وينتهي من اخضاعهم ، حتى قام بغزوتين قصد الانتقام من عرب الحويطات

وكان ابن مساعد حاكم الحايل يقود احدى هاتين الحملتين ، اما خسائر الحويطات فكانت فادحة للحد الاقصى

وجاءت التعليمات للانكليز في شرق الاردن ، بان يبذلوا كل ما في وسعهم لوقف هذا القتال ، فاستعانت حكومة عمان — وهذا

ما ضاعف من غضب الحويطات — بقوة الطيران الملكية ، لمنع غزو نجد ، وحاول الانكليز ان يوفقوا بين القطرين العربيين نجد وشرق الاردن ، فطلبوا عقد مؤتمر تحت رئاسة المستر ماكدونيل من حكومة السودان في عمان خريف سنة ١٩٣٠

وكانت حالة الحويطات تدعو للرثاء حقاً ولم يكن من الممكن تحسين حالتهم الا اذا قامت الحكومة باعالتهم مباشرة ، والا اضطروا للعودة حتما الى غزو نجد ، فلما وجدوا ان الحكومة لا تفكر فيهم لم يكتفوا بالغزو بل قاموا بالسرقة ؛ والفرق بين الغزو والسرقة ان الاول « مشروع » والثاني « عار ونذالة »

وهنا لم يعد بوسع ابن سعود الصبر ، فاطلق قبائل نجد لمقابلة السلب بالسلب ، وكان من الطبيعي ان ينفض المؤتمر ، فزادت الخصومة بين نجد وحكومة عمان ، التي لم تكن محبوبة من القبائل الاردنية

وكان من الجلي ان السلطات في حاجة لاتخاذ تدابير صارمة شديدة ، لمنع الغزو ؛ والا فانه ما من قبيلة تحجم مطلقا عن الغزو

واذا كانت الحكومات المتمدنة تمنع الغزو — وهذا ما ينبغي ان تفعله — فلا بد ان تفكر في هذه القبائل التي تعيش من وراء الغزو ، والا فانها تتعرض فعلاً للمجاعة

ولم تنته المنازعات بين عمان والرياض الا فى سنة ١٩٣٣ واننا

نرسل هذا الكتاب للطبع والمفاوضات جارية لعقد معاهدات : صداقة وتحكيم وتسليم المجرمين بين الحكومتين السعودية والاردنية فنتمنى لها التوفيق

ووجد ابن سعود ان الحاجة ماسة لايجاد مواصلات سريعة في مملكته الواسعة لقمع ما تقوم به القبائل على وجه السرعة

اما وقد استطاع ابن سعود التغلب على العقلية الرجعية في نجد واضطر هؤلاء الرجعيين للموافقة على الانتفاع بالاختراعات العلمية ففي وسعه اليوم ان يستعين بالطيارات والسيارات ، وربط قلب امبراطوريته العربية باطرافها عن طريق اللاسلكي



٢٣

وقبل ان يصمم الملك عبد العزيز على تحسين ادارة البلاد ، مستعيناً بالاختراعات ، فان الدول العظمى كانت قد سبقت فاعترفت بمكانته السامية في شبه الجزيرة ، وادخلت التعديل اللازم على مراكز ممثليها السياسيين في جدة

و كانت فرنسا اولى الدول التي ابدلت القنصلية بالسفارة في نهاية سنة ١٩٢٩ وحذت بريطانيا العظمى حذوها بعد زمن غير طويل فعينت السير (اندرو ريان) في شباط سنة ١٩٣٠ ليكون اول وزير انكليزي مفوض لدى الدولة الوهابية ، وحذت الدول الاخرى حذو فرنسا و بريطانيا العظمى ، فاصبح لكل دولة غير اسلامية ممثل في جدة

وقد طلبت بعض الاقطار الاسلامية ان يكون لها سفارات في مكة فلم يوافق الملك الوهابي وحجته في ذلك ان تعامل الدول كلها على السواء ، وان تكون جدة لا مكة مركزاً لها

وحدث في صيف سنة ١٩٣٢ ان قامت ثورة صغيرة قام بها شيخ مجهول يسمى ابن رفادة ، لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، والغريب ان العالم اهتم بامره كانما كل ما يجري في بلاد العرب يثير الناس و يستفزهم ، والا فما شأن رجل جاهل ليس معه غير اربعمائة او خمسمائة رجل بازاء قوات الوهابيين ؟

لقد حاول هـذا الابله ان يقوم بالمستحيل ، فقابلته القوات الملكية في تموز بالقرب من دبا الواقعة على البحر الاحمر ، فافنت شرذمته التي كانت خليطاً من عناصر مختلفة ، اشبه بالثوب المرقع ، وحد بينها الجشع والانانية ، والتعطش للسلب والنهب ، فاستأصلتها استئصالاً

اما هذا الرجل المجنون الذي اودى بحياة نصف الف من الرجال فقد اكتفوا بقطع رأسه

وبعد ذلك بشهور قليلة حاول الادريسي حاكم العسير — والعسير كما لا يخفى تحت الحماية الوهابية منذ ابرمت المعاهدة بينها وبين ابن سعود — ان يقوم بثورة ، مصغرة طبعاً ضد الملك عبد العزيز ، فارسل ابن سعود حملة تأديبية تحت قيادة حاكم الحائل ، الذي اشتهر في تاريخ حياته بمعاملته الثائرين باللين فاستطاع في اوائل سنة ١٩٣٣ ان يسحق هذه الثورة ويقضي عليها قضاء تاماً

وفي ربيع سنة ١٩٣٣ وجد ابن سعود انه قد حان الوقت لان يفكر في خليفته الذي يتولى عرش المملكة السعودية بعده ، فاختار ابنه الاكبر الامير سعوداً ، الذي يحكم نجداً بالنيابة عن ابيه الملك ، منذ عدة سنين

وهو شاب لا يقل عن جلالة والده جرأة وفهماً لنفسية البدو ، الذين اشترك معهم في القتال .

كما انه واقف علىَ ما يجري في الغرب ، وإن كان لم يرحل الى ابعد من مصر ، ولكن هذا لا يقلل من شأنه فان ابن سعود ذاته لم يخرج من بلاد العرب ٠

وفي ايار سنة ١٩٣٣ اعلن رسمياً ان الامير سعود هو الوريث الشرعي لعرش المملكة السعودية ، وولي عهدها ٠

٣٤

قبل ثورة سنة ١٩٢٩ بمدة طويلة كان ابن سعود يتحدث عن ميزات السيارات والخدمات التي ادتها لبلاده، فلا يمكن مقارنة الجمل بالسيارة ، الا طبعاً في الثمن ، كوسيلة من وسائل النقل بين الحجاز ونجد

وحتى قبل فتح الحجاز كان ابن سعود قد استورد من الخليج الفارسي عدداً كبيراً من السيارات ، وكان لا يتنقل الا فيها ، فلما اتسعت فتوحاته الى جهة البحر الاحمر اخذ يزيد عدد السيارات المستوردة .

ولا حاجة لتعبيد الطرق في الصحراء ، وان كان ابن سعود قد عبد الطريق بين جدة ومكة

والغرض الاساسي من جلب السيارات الانتفاع بها في الاغراض المدنية ، وزيادة رفاهية الطبقة الممتازة من الشعب

وكانت ثورة سنة ١٣٤٢ نعمة على ابن سعود فانها جعلته يهتم للانتفاع بالمخترعات العصرية التي تسهل عليه مهمة الحكم وتنظيم الادارة

وقد تبين له بجلاء انه ما من بدوي يستطيع الوقوف امام السيارات المسلحة ، واللاسلكي ، والسيارات

وفي نهاية سنة ١٩٢٩ ابتاع الملك ابن سعود اربع طيارات سلمت اليه في نجد ، وقد جاءت من بريطانيا العظمى عن طريق الخليج الفارسي ، وقد جاء وصولها متـأخراً فلم يستطع استعمالها في صد الثوار

ونقلت الطيارات في ايلول من السنة التالية الى جدة ، ولكن قوة الطيران الصغيرة هذه قد اختفت لاسباب مالية علَى الارجح

كما ان ابن سعود تعاهد في سنة ١٩٣٠ مع شركة ماركوني في لندن بان ينصب في مملكته عدة جهازات لاسلكية وتم العقدفعلا في سنة ١٩٣٣

ويوجد الان محطتان في مكة والرياض ، قوة كل منهما ٦ ميكلوات وقد استعانت شركة مركوني عند تجهيز هذه المحطات بمهندس مسلم استعارته من شركة السكة الحديدية المصرية ، كما ان هناك محطة من نصف كيلوات في كل من المدينتين الحجازيتين تبوك ، وجدة ، والمدن الواقعة في اواسط بلاد العرب قاف ، والحايل وبريدة ، والمدن الواقعة في الخليج الفارسي كالقطيف وجبيل والعقير

وفضلاً عن هذه المحطات الثابتة يملك ابن سعود اربع سيارات لوري ، مجهزة بمعدات شركة ماركوني اللاسلكية ، وعن طريق هذه الاجهزة يمكنه اثناء رحلاته الطويلة في الصحراء ان يكون

واقفاً على كل ما يجري في اواسط الصحراء او في اطراف مملكته المترامية الاجزاء

وان ادخال هذه الاختراعات العصرية لا بد ان يحدث انقلاباً عظيماً في بلاد العرب ، والحكومة وحدها هي التي تنتفع بهذه المحطات في داخل البلاد

ولكن اذا كانت الحكومة تحتكر اللاسلكي ، فان اهالي البلاد يشجعون على ابتياع السيارات

ويقول المستر فيلبي في مؤلفه الحديث عن الربع الخالي بانه قد استطاع ان يقطع في سيارة فورد في سنة ١٩٣١ للسافة التي بين ابو ذهبي ومكة ، دون ان يلقى اقل عناء

ولكن كيف يمكن ان تسهل هذه المواصلات عملية النقل ، اذا كانت البلاد قاحلة لا تنتج شيئاً ؟

ان الجهود التي يبذلها ابن سعود في استثمار هذه الاراضي الجرداء هي فوق قدرة البشر ، اما علة هذا الجفاف فهو قلة الماء فبلاد العرب تفتقر افتقاراً كلياً الى الانهار ، واضطر ابن سعود سنة ١٩٣٠ ان يستورد المياه ويوزعها على الاخوان

ولا يسمح ابن سعود بتأسيس دور السينما في بلاده ، او ادخال غيرها من الاختراعات التي يرى انها تتعارض مع حياة التقشف والطهر .

وقد استطاع ابن سعود بشخصيته القوية الجبارة ان يوطد الامان في البلاد منذ ١٩٣٠ فلم تقم اي ثورة غير الهياج الذي قام به ابن رفادة في سنة ١٩٣٢ في خارج الحجاز مما لا يعد ثورة ولا شبه ثورة

ولكن بعد ان اقبل المسلمون على الحج بين ١٩٢٦ و ١٩٢٩ اخذ يقل عددهم ، فان العالم الاسلامي قد تأثر بالازمة العالمية ، وهذا القول ينطبق على المسلمين في مصر ، حيث يعنون بزراعة القطن او في جزر الهند الشرقية حيث يعنون بزراعة المطاط ، او في بمباي حيث يتاجرون باللؤلؤ . عجز الالوف الذين كانوا يجدون الاموال تعمر ايديهم عن الحج الى البلاد الاسلامية المقدسة ، بالرغم من اعتقادهم بان الحج فرض من الفروض الدينية المهمة .

واضطربت الحالة في سنة ١٩٣٢ اضطراباً عظيماً بسبب القحط الذي عم البلاد ، فقضى على التجارة ، وعجز الاهلون عن سداد الديون التي تراكمت عليهم ، فتوقفوا عن الدفع وتملك اليأس التجار ، فوجد الموظفون انه من العبث مطالبة الحكومة بدفع رواتبهم .

وكان الهدوء يشمل البلاد ، ولكن كانت المملكة السعودية تئن انيناً ، وكانت دلائل الغم مرتسمة على الوجوه .

ولو كان القحط وقع فيما مضى لكانت مراعي الجيران

الحصيبة تحل الازمة ، ولكان الاخوان قد لعبوا لعبتهم وتوغلوا قليلا ثم عادوا بالغنائم ، ولكن ابن سعود الملك غير ابن سعود القائد الوهابي

رأى ابن سعود ان الغزو لن يكون حلا للازمة مهما كان الامر .

وحلت الازمة ولكن عن طريق آخر غير الغزو

منحت الحكومة السعودية امتيازات لجماعة من الهنود المسلمين لمد الخطوط الحديدية من جدة الى مكة ، عَلَى ان يسلفها هؤلاء المسلمون مبلغاً لتفريج الازمة .

وفي الوقت نفسه كانت المفاوضات جارية بين ابن سعود وخديوي مصر السابق عباس حلمي ، لتأسيس بنك يدفع الخديوي الشطر الاكبر من رأسماله

وانتعشت الامال عند ما اكتشف البترول في الحسا ، كما عثر هناك على ثروات معدنية عظيمة عثر عليها في الحجاز عالم اثري اميركي هو المستر توتشل وعاونه مالياً المليونير الاميركي المستر كراين ، الذي قام بجولات عديدة في غرب بلاد العرب ، بعد الحرب الكبرى

ولكن الرخاء الاقتصادي الذي ينتظر ان تتمتع به المملكة السعودية العربية ، وهذا هو الاسم الذي تسمى به مملكة (الحجاز

— نجد) منذ ١٩٣٢ لايزال الامل فيه ضعيفاً الا اذا اقبل المسلمون على الحج .

أجل يمكن ان يقوم العلم بالعجائب في تسهيل حكم البلاد ولكنه لا يمكن ان يخلق المياه او التربة الخصيبة ، في بلاد لا تعرف غير الجفاف ، ولا تعرف غير الجدب



٢٥

اذا كان ابن سعود قد فاز فوزاً مبيناً في جزيرة العرب ، فان الوهابية نفسها لم تنعم ببعض هذا الفوز ، حتى في المملكة الوهابية ذاتها فان هنالك الشيعة في الحسا واهل السنة في الحجاز ذاتها

ولا تظن ان الزيديين في اليمن ، وهم يتباهون بعقائدهم ويتعصبون لها تعصباً شديداً ، يسهل عليهم ان يبدلوا هذه العقائد لاعتناق المذهب الوهابي

والوهابية رغم ما فيها من شدة ، يمكن ان تناسب الرجل المسلم الذي لم يعرف — او الذي لا يريد ان يعرف — نوع الحياة التي يحياها غيره في خارج بلاده ، والمملوءة ببهرجة وفتنة .

وليس من المحتمل ان تنتشر الوهابية بين الشعوب الاسلامية المتحضرة ذلك لان العقائد الوهابية فطرية في الدرجة الاولى ، او هي رجعية لا تمشي مع المدنية . ومن المرجح ان لا يكتب لها الانتشار ، لان القائمين بها لا يتسامحون مع ان دين الاسلام هو دين التسامح

وعرب الشمال ، وعرب العراق وشرق الاردن ، وسورية وفلسطين لا يميلون الى الوهابية ، لان هؤلاء العرب قد القوا بانفسهم في تيار الغرب فتأصلت فيهم الميول الغربية ، وبهرتهم المدنية الحديثة ، فكيف يرضون بالوهابية تعود بهم القهقرى

ومع هذا فالعرب جميعاً يعجبون بابن سعود وان كانوا لا يعتنقون الوهابية ، وهم الآن يحترمونه احتراماً لم يحظ به في زمن من الازمان ، ففي الشمال فيصل ملك العراق ... وفي الجنوب الغربي الامير عبدالله حاكم شرق الاردن ، والامام يحيى حاكم اليمن ، كل هؤلاء الملوك الثلاثة يقدرون لابن سعود اعماله الباهرة

كما ان سلطان مسقط وعمان ، وحكام الكويت والبحرين ، وغيرها من الامارات يعجبون بابن سعود ، بل ان شخصية هذا العاهل العربي هي موضع اعجاب سكان الصحراء الجنوبية الكبرى المخيفين ، فاذا كان الملك عبد العزيز قد وصل الى هذه المكانة الرفيعة ، مع ما في الوهابية من شدة ، فكيف به لو كان من المتساهلين

وهل اتصال الاخوان بالغرب من شأنه ان يخفف يوماً ما من هذه الحدة ، ويلين منها ؟

لا يمكن لاحد ان يشك في غيرة ابن سعود على الاسلام ، وعلى بلاد العرب ، ومع هذا فكل الاوروبيين الذين احتكوا بالملك عبد العزيز اقتنعوا بمقدرته المدهشة ، على تحويل الرأي العام في بلاد العرب .

هذا ما يقوله كل الذين عرفوه منذ كان زعيماً من زعماء نجد قبل الحرب ، وهذا رأي الانكليز فيه

اجل ، فهم يقولون انه من النادر ان تجد رجلاً مثله بين المليون

نسمة فالسير برسي كوكس ، والكابتن شكسبير ، واللورد بلهافن ، وستتون ، وجون فيلبي ، والكولونيل ريكسون ؛ والسير جلبرت كلايتون ، والسير فرانسيس همفريز ، هؤلاء الانكليز الذين يمثلون وجهات نظر الانكليز المختلفة قد اعجبوا اعجاباً شديداً بقوة شخصية الملك الوهابي ، وسعة صدره ، ورجاحة عقله ، وقدرته على مجاراة الزمن .

والساسة الانكليز عادة لا يتفقون فيما بينهم عَلَى مدح اي حاكم شرقي ، ولا يجمعون عَلَى الاعجاب ، بامير عربي ، فانه من الشاق جداً ان تثير اعجابهم ، ولكن ابن سعود استطاع ان يحملهم على الاعجاب بشخصيته الفذة العجيبة

وربما كان اعجاب الانكليز به في الدرجة الاولى لصفات الرجولة التي يتحلى بها ، ولصراحته المدهشة ، ولانه لا يعرف اللف والدوران في مخاطبته واحاديثه ، بل يقحم خصمه ، ويقذف الكلام الذي يريد ان يقوله قذفاً ، دون تزويق ، او تصنع ، فهو لا يعرف المداهنة ولا الرياء .

***

والسير برسي كوكس الذي خدم الشرق ، واشتهر في اثناء خدمته له بحكمته ، وصبره ، وسداد رأيه ؛ صرح امامي ، ذات يوم ، ان الملك عبد العزيز في اثناء حكمه الطويل ، لم يرتكب غلطة

باقية لا تزول ، ولا يمكن ان تتلاشى ، ولكن بينما يفكر العرب في مجد دمشق وبغداد نجد الوهابيين يفكرون في مجد الخلفاء الاربعة الراشدين

والوهابيون لا يريدون ان يكونوا في الدرجة الثانية من الاهمية، فانهم يعتقدون انهم هم العرب الخلص، وانهم هم ابناء العرب الاحرار، وانهم هم سكان الصحراء الذين لم يتلطخ اسمهم ، ولم يتلوث بالعار .

ومع ان العرب لا يحلمون اليوم بالجامعة العربية، الا انه نظراً لجهود الملك عبد العزيز ، والاعمال التي قام بها ، فان العربي العادي اليوم شديد الثقة بمستقبله ، وان الشعور الذي يشعر به لم يحس به منذ ان غزا المغول العراق، وقضي على تلك المدنية الزاهرة، والعرب لا يؤمنون الا بالمدنية التي اخرجتها العقول العربية ؛ والتي قامت بالجهود العربية ، ولمصلحة العرب .

***

الخاتمة

ونقول في ختام هذه السيرة الحافلة بجلائل الاعمال ، ان اهم ما يشغل بال ابن سعود في الوقت الحاضر ، هو القضية الاقتصادية ، لا الدينية ، ولا السياسية

اما الحج فهو رأسمال المملكة السعودية، فاذا لم يقبل المسلمون على اداء هذا الفرض ، لم ينتفع ابن سعود بهذا الرأسمال العظيم ٠

وفي الواقع فان على ابن سعود ان يبذل اقصى جهده لتسهيل السفر الى الحد الاقصى ، اذ اي شيء نجده في الحجاز ونجد غير الاماكن المقدسة ؟ ٠٠٠ اتجارة اللؤلؤ ؟ ٠٠٠ ان تجارة اللؤلؤ التي كانت ذات يوم مصدراً من مصادر الثروة للموانىء الوهابية ، الواقعة عَلَى الخليج الفارسي ، قد اصابها السقم ، وان كان بميسور التجار ان يحيوها

هل يتاجر البدو بالجمال ؟ ٠٠٠ لقد انقضى عصر الجمال ٠٠٠ هذه التجارة التي كانت مصدر ربح عظيم للنجديين ٠ لقد ماتت تجارة الجمال ، ولا امل في احيائها

وان هذا التبديل الذي حدث في بلاد العرب هو الذي دفع القبائل العراقية لان نفضل الزراعة ، وتقبل عليها

يقولون ان هناك بترولاً في الحسا ، ومعادن في الحجاز ، ولكن

واحدة، وهذا القول يؤيده كل الذين تعمقوا في دراسة هذه الشخصية التي يندر ان تجد لها مثيلاً

اما الانكليز فقد كانوا يعاملونه ارق معاملة يمكن ان يعاملوا بها عربياً

وليس في بلاد العرب كلها اليوم حاكم يستطيع ان يدعي انه غير مدين للانكليز

اجل، لقد لاقى ابن سعود من الانكليز طول حياته المساعدات الرسمية ·

ومع هذا فاننا لا ننكر ان الحكومة الانكليزية في اطوار الحرب الاخيرة، وبعد انتهائها مباشرة ، كانت تميل الى تأييد عائلة الاشراف وحدها ·

ولسنا ننكر ايضاً انه بينما كان الاخوان يغزون العراق ، وشرق الاردن ، كان من الطبيعي ان تتوتر العلاقات بين الانكليز وحكومة ابن سعود ، وكان للانكليز ما يبرر غضبهم ، ومع هذا كله فلن تجد اي انكليزي ، بل اي اوروبي او اميركي، اجتمع بالملك الوهابي الا اقتنع بانه الرجل الذي لم تنجب شبه الجزيرة نظيره ، منذ عدة اجيال، بل ان حياته لم تكن نعمة فقط عَلَى بلاد العرب ، او على العالم الاسلامي، بل عَلَى العالم قاطبة·

ولم يتم الوفاق حقيقة بين العراق ونجد، الا بعد ان اجتمع الملك

فيصل بالملك ابن سعود ، ومن المنتظر ان تتم المعاهدة بين الامير عبدالله ، والملك الوهابي

وفي الواقع فان الحظ قد خدم ابن سعود ، وكانت الايام في جانبه ، فالبلاد العربية لا تزال تفتقر افتقاراً تاماً لتنمية مواردها ، وهي توقن اليوم اكثر مما ايقنت في اي وقت آخر ، بان هذا لا يمكن ان يتم الا اذا ساد السلام شبه الجزيرة ، وعلى هذا فالاتفاقات الجديدة التي ستمضى مع ابن سعود رجل السلم ، لا يمكن ان يدهش لها العالم غير الوهابي ، بل هو يراها شيئاً «طبيعياً» في الظروف الحرجة ، التي تمر فيها البلاد العربية اليوم

اما القضية التي لا يمكن ان تجد من لا يؤيدها ، فهي ان نجاح ابن سعود قد نشط القومية العربية نشاطاً عظيماً ، وهذا ولا شك سيؤثر على غربي آسيا تأثيراً بعيداً ، ولكن ابن سعود لا يستسلم للخيال ، ولا يحلم برابطة عربية يكون فيها العرب جميعاً اخوة ، ورعايا لحكومة مركزية واحدة ، او حكومات متحدة ، مع ان هذه الفكرة تخلب ألباب الكثيرين ، وتشغل عقول بعض المفكرين ، وفي طليعتهم الشباب العربي

ولكن مع هذا فان ابن سعود مشغول بالواقع عن الخيال ، فوحدة بلاد العرب اسطورة سياسية في نظره

ومع هذا فان ذكرى مجد العرب ، ومدنيتهم ، واعمالهم المجيدة ،

هذه ما زالت في حيز الفكر ، ولم تخرج الى حيز الواقع .

وعليه فنعود مؤكدين بان مشكلة ابن سعود اقتصادية قبل كل شيء .

اجل ، لا يمكن للعاهل العربي ان يتباهى ببلاده من الناحية المادية ، فهي ليست « ارض الموعد » ولكن يحق له ان يتباهى بانه الرجل الوحيد الذي في امكانه ان يجلب السلام الدائم الى مملكته القاحلة ، التي لا تفيض لبناً وعسلاً فحسب ، بل لا تفيض حتى بالماء !



ملاحظات على كتاب

كونت ويلمز [1]

لا خلاف جوهري بين الوهابيين وسائر المسلمين

هي السياسة... اجارنا الله من شرورها ، لا تشفق ولا ترحم وتهدم بيتاً لترفع حجراً ، وتتغلغل الى النفوس والعقائد ، اذا كان في ذلك مصلحتها ، وتضرب على الوتر الحساس ، لتفرق بين الاخ واخيه ، والابن وابيه

وعلى هذه الاسس ، قامت تلكم الحروب الدينية في الغرب والشرق وتفرعت هذه المذاهب المختلفة في كل دين من الاديان ، وقد صدق شيخ المعرة حيث قال :

انما هـذه المذاهب اسبا ب لجلب الدنيا الى الرؤساء

قام في مستهل القرن الماضي للهجرة ، من قلب الجزيرة العربية الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وولده سعود من بعده ، يطالب

---

[1] ربما يخطر لبعض المشايخ ان يكتب رداً على بعض ما جاء في هذه الملاحظات ، فارجو ممن يريد ذلك ان يتقيد بنقل العبارات من كتب العلماء الوهابيين انفسهم ، و يشير الى الكتاب الذي نقل عنه العبارة ، لا ان يرمي الكلام جزافاً كما يشاع و يقال ، او ينقل كلامهم عن كتب اخصامهم . وكل قول يثبته لهم ، فاني سآتيه بمثله من اقوال العلماء المعتبرين عنده ، واثبت له ان الوهابيين لم يكونوا مبتدعين

باستقلال العرب ، ونزع السلطة التركية عن البلاد العربية ، وكان المشوق له على هذا الطلب ، احد علماء نجد الاعلام ، الشيخ محمدعبد الوهاب (عليه الرحمة) ، وهو من اتباع مذهب الامام احمد بن حنبل (رضي الله عنه) احد الائمة الاربعة المعتبرين

ولما اتسعت حركات السعوديين في ذلك الحين ، واخذت تهدد العراق والشام ، والحجاز واليمن ، لم تر السلطة العثمانية ، او السياسة الغاشمة ، بدا من ان تعمل لصرف قلوب العرب عن هذا الامير ، الطامح لاسترداد مجد العرب ؛ فاوعزت الى بعض عمالها من المشايخ فاخذوا يدسون على الشيخ ابن عبد الوهاب اقوالاً ما انزل الله بها من سلطان ، ويتخذون من المسائل الخلافية بين مذهب الامام احمد بن حنبل ، وبين المذاهب الاسلامية الاخرى ، وسيلة للطعن على الوهابيين الذين الصقوا بهم هذا الاسم ، تضليلاً للرأي العام الاسلامي ، وايهاماً بانهم ذوو مذهب جديد غير معترف به ، مع انهم لم يخرجوا في شيء عن مذهب الامام احمد ، الذي هو مذهب السلف الصالح ، ولم يقولوا شيئاً مبتدعاً في الدين ، وكل ما قاله الشيخ بن عبد الوهاب ، قال به غيره ممن سبقه من الائمة الاعلام ، ومن الصحابة الكرام ، ولم يخرج في شيء عما قاله الامام احمد بن تيمية ، وقد ابان العالم الآلوسي في كتابه « جلاء العينين » : ان ابن تيمية لم يقل شيئاً الا وهو مأخوذ من الكتاب والسنة ، ومن اقوال ائمة المذاهب ، كالشافعي والحنفي

والمالكي والحنبلي ، فلم يكن ابن تيمية مبتدعاً ،ومثله ابن عبد الوهاب

على اننا لو نظرنا في آراء علماء المسلمين المحققين اليوم ، وفي كل زمن في جميع الاقطار الاسلامية ، لوجدناها متفقة كلها مع رأي من يسميهم الناس وهابيين. اذن فعلماء المسلمين المحققون كلهم وهابيون

سرت هذه الدعاية الباطلة في نفوس السذج من المسلمين وشجعها بعض المشايخ البسطاء ، الذين لا يروق لهم الا ترويج خرافاتهم، التي ينكرها عليهم الاسلام ، وعلماؤه الاعلام ، ويحاربها الوهابيون بكل ما يستطيعون من قوة ، حتى توهم كثيرون من المسلمين، انالوهابية مروق عن الاسلامية والعياذ بالله ، وان الوهابيين يقرون لله بالوحدانية ، ولكنهم لا يقرون لمحمد بالرسالة ، وانهم يمنعون الصلاة على النبي (عليه الصلاة والسلام) وانهم يحرمون زيارة قبره الشريف، الى غير ذلك من التهم التي يرمونهم بها ، وهم منها براء

اذا كان بعض المسلمين يظنون بالوهابية هذه الظنون الآثمة ، فلا عتب على رجل اجنبي «ككونت ويلمز» ان يغلط في تقرير مذهبهم ويقول في كتابه هذا ان الوهابيين يخالفون سائر المسلمين بعدة مسائل جوهرية، وهي[1] :

١ — يتشدد الوهابيون في وجوب الاقتصار على عبادة الله وحده ، بينما المسلمون يرون في النبي محمد شفيعاً لهم عند الله

---

(١) انظر صفحة ٧٨

٢ — ان المسلمين يذكرون اسم النبي في صلواتهم، بينما الوهابي لا يذكر سوى اسم الله وحده.

٣ — ينكر الوهابيون سلطة الخليفة الروحية

٤ — يحرم الوهابيون التقرب من الاولياء، وهذا ما دفعهم لهدم القبور في الاماكن المقدسة، وعدم السماح بانارة المنارات، او السجود امام مقامات الاولياء.

٥ — يعيد المسلمون سبعة اعياد بينما لا يعيد الوهابيون سوى عيدين: عيد الفطر وعيد النحر، ولا يعترفون بشرعية الاعياد الاخرى.

ومع هذا فالوهابيون يعكفون على قراءة القرآن، ويهتمون بالاحاديث النبوية، ويحرمون لبس الحرير والذهب، وحلق اللحية وشرب الخمور، والتبغ والقمار، تحريماً باتاً» انتهى قول كونت ويلمز

لقد عرفنا حضرة الكونت من كتابه عن العاهل العربي العظيم انه كاتب مبدع ومؤرخ ثقة فيما ينقل، فشكرنا له هذه الناحية، واما ان يكون مستنبطاً للآراء والمعتقدات، وناظراً في الخلافات المذهبية بين المسلمين، فهذا ما لا نسلم له به ولا نوافقه عليه.

يقول كونت ويلمز: ان الوهابيين لا يرون في النبي «عليه السلام» شفيعاً لهم، مع انهم كسائر المسلمين يقولون بشفاعته (صلى الله عليه وسلم) وانما يوجد خلاف بين علماء المسلمين الاقدمين،

في كيفية هذه الشفاعة ، والوهابيون يأخذون باقوال الامام احمد بن حنبل امام مذهبهم في هذه المسألة وباقوال كثير بن غيره من علماء القرون الاولى، والخلاف كما قلنا بالكيفية لا بالاصل، اذ انهم جميعاً على شفاعته في الاخرة متفقون

واما ان الوهابيين لا يذكرون اسم النبي (عليه السلام) في صلواتهم ، فهذا باطل ايضاً ، لانهم جد حريصين على الصيغة المعروفة « بالصلاة الابراهيمية » التي ثبت عن النبي (عليه السلام) انه علمها لاصحابه وهي «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم الخ » وهم يتلونها في كل صلاة من صلواتهم ، كما يتلوها جميع المسلمين

واما انكار سلطة الخليفة الروحية فهذه مسألة خلافية ايضاً بين العلماء ، لا علاقة لها باسس الدين ، الا عند بعض الفرق الشيعية ؛ واما تحريم الوهابيين التقرب من الاولياء ، والسجود لهم الخ ، فهذه امور يستنكرها جميع اهل العلم من المسلمين، ولا يقول بها الا بعض عامتهم ، او ممن هم في طبقة العامة ، من اصحاب العمائم المتطفلين على العلماء

واما ان المسلمين يعيدون سبعة اعياد شرعية فهذا ما لم يقل به غير المؤلف اذ ان الاعياد الشرعية لدى جميع المسلمين، هي اثنان فقط من زمن النبي (عليه الصلاة والسلام) الى يومنا هذا ، والى الابد وهما

عيد الفطر وعيد النحر ، وما عدا ذلك فهي اصطلاحات قلد بها المسلمون غيرهم من الامم ، ومعظمها حديث العهد ، وهي ليست من الدين في شيء وهذا يعرفه جميع المسلمين

واما انهم يحرمون شرب الخمر ولبس الحرير والذهب والقمار تحريماً باتاً ، فهذا مما لم يخالفهم فيه احد من المسلمين ، وكذلك تحريم التبغ فان جميع السنوسيين في المغرب وكذلك مسلمو روسيا يحرمونه ايضاً ، ولم يضللهم احد بتحريمه ، لان السياسة لا شأن لها معهؤلاء ويوجد كثيرون من مسلمي الاقطار الاخرى يرتاحون لهذا التحريم ومثل ذلك تحريم حلق اللحى ، فقد قال به كثير من العلماء غير الوهابيين .

هذا ما اردت بيانه بصورة موجزة ، تعليقاً على ماجاء في كتاب « كنت ويلمز » لئلا ينخدع بعض البسطاء باقواله ، من هذه الناحية الدينية ، كما انخدع هو ، والله الهادي الى الصراط المستقيم

اللاذقية (منح هارون)

***

اسباب الخلاف بين الملكين

ابن السعود والامام يحيى

هذا الفصل لادارة المكتبة الاهلية ، فلا يتعلق بالمؤلف، ولا هو من صنع المترجم، وقد رأينا اثباته في آخر هذا الكتاب ، اتماماً لهذه الحوادث التاريخية التي اشار اليها المؤلف في كتابه ، خصوصاً ما يتعلق منها بالسياسة العامة في الجزيرة العربية ، وما ينتظم فيها من علاقات الامام يحيى عاهل اليمن مع جلالة الملك عبدالعزيز ابن سعود (ملك المملكة السعودية العربية) فنقول :

ان العلاقات السياسية بين العاهلين لا تبعث على الرضى والاطمئنان ، ويرجع ذلك الى اسباب كثيرة ، منها ما يتعلق بالحدود ، ومنها ما يتصل بسياسة العاهلين مع بعض القبائل العربية ، ومنها ما نشأ بعد استيلاء جلالة ابن سعود على بلاد الحجاز ، ونزول البلاد المقدسة تحت حكمه وسلطانه .

فاما مسألة الحدود فالخصومة فيها قديمة العهد ، واسبابها تنازع السيادة بين ابن السعود والامام يحيى عَلَى المناطق والاراضي الواقعة بين الحجاز واليمن ، وهي تشمل ولاية عسير الواقعة جنوب الحجاز وشمال اليمن ، ومنطقة نجران الواقعة شرق عسير جنوب شرقي

الحجاز وشمال شرقي اليمن . وقد كانت السيادة في عسير حتى سنة ١٩٢٢ مقسمة بين قبائل بني شهر القوية في قسمها الشرقي ، و بين الادارسة في قسمها الغربي وهو المعروف بتهامة

وقد حصل سنة ١٩٢٢ ان اجتاحت القولت السعودية منطقة عسير الشرقية ، وحطمت قبائل بني شهر واستولت على اراضيها حتى بلاد اليمن وضمتها الى نجد . ولما استولى ابن سعود على الحجاز سنة ١٩٢٥ رأــے ان الاستيلاء على تهامة ضروري لتأمين حدود الحجاز الجنوبية، ورأى الادارسة ان القواتالنجدية نطوق بلادهم من الشرق والشمال فآثروا التفاهم مع ابن السعود والاستظلال بلوائه ، وعقد زعيمهم السيد الحسن الادريسي اتفاقاً مع ملك نجد، توضع عسير تهامة بمقتضاه تحت حماية نجد واشرافها (سنة ١٩٢٦) . واستمر الادارسة في حكم البلاد تحت اشراف مندوب من قبل ملك نجد والحجاز ولكن هذا الوضع الشاذ كان مثاراً لمصاعب وخلافات لا نهاية لها ، واضطر السيد الادريسي في النهاية ان يتخلى عن مهمة الحكم والادارة وان يفوض الامر الى ملك نجد ، وشعر ابن سعود انه لا يستطيع المحافظة عَلَى عسير الا اذا ضمها الى املاكه ، فاعلن ضمها في سنة ١٩٣٠ ونزع عن الادارسة كل سلطان حقيقي ، وبذلك امتدت حدود المملكة السعودية الى شمال اليمن وزادت بذلك اسباب الاحتكاك بينهما . وكانت هذه الاسباب قائمة منذ استولى

ابن السعود على اراضي بني شهر (عسير الشرقية) وتسلل سلطانه الى منطقة نجران التي يدعي الامام ان قسمها الشمالي داخل في اراضيه

ولكن استيلاء ابن السعود على امارة الادارسة كان ابعد في استياء الامام وتوجسه من اشراف (الاخوان) على حدوده الشمالية (عسير الشرقية)، ذلك انه كان للامام نفوذ قوي على الادارسة، وكانت عرى التفاهم بينهم وبينه قوية متينة، وكان يعتقد انه اولى واقدر لضم هذه الارض الى املاكه من ابن السعود الذي قصد اليها من قلب الجزيرة، واستطاع في اعوام قلائل ان يدفع حدود املاكه حتى البحر الاحمر غرباً واليمن جنوباً. وقد اضطر الامام في اول الامر للقبول بالامر الواقع فلم يحرك ساكناً، لانه في الوقت الذي استولى فيه ابن السعود على عسير كان مشغولاً بخصومته مع الانكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن؛ وقد احتلها الانكليز بحجة انها اختارت الحماية الانكليزية، واغارت اسرابهم الجوية على اليمن مراراً والقت قنابلها على صنعاء عاصمة اليمن، فكان كل ذلك يحمله على السكون والانصراف لمشاغله وخصومته مع الانكليز، وقد لا يبعد ان يكون ابن السعود نفسه قد رأى في مشاغل الامام مع حكومة لندن سبباً دفعه الى توسيع املاكه وضم هذه البلاد اليه

هذه هي اسباب الخلاف الجوهرية بين الامام والمملكة السعودية، وهناك ايضاً ما قدمناه من امتداد سلطان ابن السعود

وتبسطه على اكثر البلاد في الجزيرة العربية، وهو امر لم يكن يروق الامام لما يخشاه من ازدياد هذا النفوذ على بلاده وقبائله . وقد استطاع ابن السعود والامام ان يتغلبا في السنوات المنصرمة على بواعث الخصومة ، وان يتذرعا بالروية والتفاهم ، وان يحسما اسباب الشقاق والاختلاف في كثير من المواطن ، بل لقد انتهى التفاهم بينهما بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار في سنة ١٩٣١ ، تعهد فيها كل منهما بمراعاة المودة والصداقة وتسليم المجرمين من رعايا الفريق الآخر ، وتبادل حقوق التوطن والاقامة بالنسبة لرعايا الدولتين

ولكن هذه الجهود في سبيل التفاهم والوفاق لم تنجح على ما يظهر في حسم اسباب الخلاف الحقيقي، واستمرت بواعث الاحتكاك على مسائل الحدود تنفجر من آن لآخر ، وفي سنة ١٩٣٢ انتقض الادارسة عَلَى عمال الحكومة السعودية ، واضطرمت في عسير ثورة خطرة ، وهوجمت القوات السعودية بشدة، واصيبت بخسائر فادحة، وردت عن بعض المواقع الهامة ، فبادر ابن السعود بارسال النجدات القوية الى عسير، واخمدت الثورة بعد خطوب وفر الزعماء الادارسة الى اليمن ، والتجأوا الى حماية الامام.

واستشعر ابن السعود عَلَى ما يظهر ريباً في موقف الامام ازاء هذه الثورة ، خصوصاً وقد رفض ما طلبه ابن السعود من تسليم الزعماء الادارسة الذين قاموا بالثورة، بالاستناد الى نصوص المعاهدة

المعقودة ، عندئذٍ عاد الخلاف بين الملكين الى اشده ، واخذ كل منهما يحشد قواته على الحدود

ولكن تعود روح المصلحة العامة ، والنفر من ان يحارب المسلمون بعضهم بعضاً فترفع صوتها ، وتطلب من العاهلين ان يتفاهما و يتفقا ، فيبعث ابن السعود وفداً للمفاوضة الى الامام ، فيلبث هذا الوفد في صنعاء عاصمة اليمن عدة اسابيع فلا يوفق ، ويقال ان الوفد وضع في صنعاء في حالة اعتقال ، ومثل هذا غير جائز في العرف السياسي ، فتفشل المفاوضات ، و يتفاقم الخلاف ، وتتقدم على اثر ذلك بعض القوات اليمانية شمالاً في مقاطعة نجران ، وتستولي على بعض مواقع في جنوب تهامة . ويشتبك الفريقان في بعض معارك محلية

والواقع ان ما يخشاه عقلاء العرب هو ان يكون لبعض الدول الاجنبية ضلعٌ في الاستفزاز واثارة الحزازات ، ذلك ان المملكة السعودية قد بلغت من الفخامة والقوة حداً اضحى يشغل بال السياسة الانكليزية ، فالمملكة السعودية (نجد والحجاز وملحقاتها) تجاور بحدودها جميع مناطق النفوذ البريطاني في شبه الجزيرة ، فهي تجاور العراق من الشمال الشرقي ، وتجاور شرقي الاردن وفلسطين من الشمال الغربي ، وتجاور الكويت وعمان من الشرق ، وتشرف على حضرموت من الجنوب ، وقد برهن ابن السعود في اكثر من فرصة

على قوته ومنعة مملكته التي تشمل جميع اواسط الجزيرة من شرقها الى غربها، واظهر بالاخص انه شديد الحرص على سلامة حدوده واراضيه لا يغضي عن اية محاولة تقوم بها السياسة البريطانية لتوسيع نفوذها داخل الجزيرة ، وقد رفض مراراً ما عرضته بريطانيا من الاتفاق معه على استثمار موارد الحجاز الطبيعية ، او منحه قرضاً يمكنها من التدخل في شئون مملكته ، وعلائق ابن السعود حسنة مع روسيا السوفيتية ، والتجارة الروسية متفوقة في الحجاز ، وهذا لا يرضي البريطانيين ، وابن السعود يدعي ملكية العقبة وما حولها من الاراضي التي تحتلها بريطانيا ، ويهدد بالاغارة عليها من حين لآخر ، حتى انه اضطر الدولة البريطانية الى انشاء مركز بحري واخر للطيران الحربي في هذه المنطقة ، فهذه العوامل والظروف كلها تحمل السياسة البريطانية على التوجس من صديقها القديم ابن السعود ومن ازدياد قوته ونفوذه داخل الجزيرة

واما اليمن فهي محط انظار السياسة الايطالية ، لان موقعها على الضفة الشرقية من البحر الاحمر تجاه مستعمرة (اريترية) الايطالية الواقعة على ضفته الغربية يجعل لها في نظر ايطاليا مركزاً خاصاً .

وقد توثقت العلائق بين اليمن وايطاليا منذ سنة ١٩٢٨ وزار رومه يومئذ وفد يمني برئاسة سيف الاسلام ابن الامام ، واستقبل فيها بمنتهى الحفاوة ، وعقدت بين اليمن وايطاليا معاهدة ودية تجارية

سنة ١٩٢٩ وكان ذلك عاملاً قوياً في جزع السياسة البريطانية وتطور سياستها نحو اليمن ، ذلك ان بريطانيا تجاور اليمن في عدن اعظم مراكزها البحرية في البحر الاحمر ، وتحتل الى جانب عدن عدة مناطق اخرى تجاور اليمن من الجنوب الشرقي وهي بلاد ينازعها الامام في ملكيتها ، وكان الخلاف قوياً مستمراً بين الانكليز والامام منذ اعوام طويلة ، والسياسة البريطانية تتردد بين خصومته وصداقته ، وتحاول ارغامه من وقت لآخر بتنظيم الغارات الجوية على اراضيه حتى يعترف بملكيتها للمناطق التسع التي تحتلها ، فلما اتجه الامام نحو السياسة الايطالية ، وظهرت روسيا السوفيتية في الميدان تتقرب الى اليمن ، خشيت السياسة البريطانية عواقب هذه الخصومة ، فعادت الى مصانعة الامام ، ودارت بينهما مفاوضات انتهت اخيراً بعقد معاهدة يمنية بريطانية تعترف فيها بريطانيا باستقلال اليمن ، وتسوى فيها بعض المسائل المعلقة بين الفريقين

فيظهر مما بسطناه في هذا الفصل ان الخصومة التي قد تنتهي الى حرب بين العاهلين العربيين في الجزيرة ، خصومة ليست تعنيهما وحدهما ، بل قد تتعداهما الى بريطانيا وايطاليا ، ولكل منهما سياسة خاصة في الجزيرة العربية كما قدمنا

اما اليوم وقد وقع ما كنا نخشاه ، وانتقل الخصام من مناطقه الهادئة ، الى حرب طاحنة ، فانا نترك لجلالة ابن السعود نفسه البحث

في الاسباب التي ادت الى هذه الحرب او الى هذه المعارك؛ في خطاب القاه في مكة المكرمة ونشرته جريدة ام القرى (لسان حال الحكومة النجدية الحجازية) يوم السبت ٨ ذي الحجة (١٣٥٢) قال جلالة ابن السعود في المأدبة الكبرى التي اقيمت في القصر الملكي :

« قد يظهر ان الخلاف كان على اهل نجران ، ونجران قد لا يكون فيها مطمح لا دنيا ولا اخرى، ولكن قضيتنا تتعلق في امرين: محذور من جهة يجب ان نتقيه ، والثاني شيمة عربية :

ان عسير لم ادخله الا ايام الحسين الشريف ، وقد كان الاتراك خرجوا منه وتولاه اهل عائض بعد المدنة ، وكان اهل عائض محسوبين علينا وكانوا ولاة لاجدادي في تلك الجهات . ولكن تدخل الحسين بامرهم فحرضهم علينا باعمال يطول شرحها الى ان انتهى الامر بغدرهم بنا الى ان اخذهم الله ثم اخذناهم واعاننا الله عليهم

وجرت صداقة بيننا وبين محمد الادريسي وعند ما مرض اوصاني بآله واولاده ولما توفي تولى ابنه علي وكان الخلاف بينه وبين عمه الحسن فتولى الحسن واصلحتهم ووضعت نظري عَلَى الحسن بناء على طلبه وطلب اهل عسير وابقيت علياً عندي

وبعد خمس سنوات تقريباً ارسل الي الحسن يخبرني بعجزه عن ادارة البلاد وتأمينها وتنازل لي عن البلاد فقبلت ذلك منه ولكنني ابقيته عَلَى مقامه وامارته، وتحملنا في سبيل وفائنا بعهد الادريسي مشاقاً ومصاعب

كثيرة وخسرنا اموالاً طائلة و كنت انفق على تلك المقاطعة فوق وارداتها من ٢٠٠—٢٥٠ الف ريال في السنة تقريباً. وعاملنا الادريسي بكل معاملة حسنة ثم لم اشعر الا ووصل الي ان يحيي سعى مع الادريسي للعمل ضدي ، فعجبت وقلت هذا غير ممكن فلم تمض ايام حتى ابلغت ان الادريسي هجم على رجالي الذين عنده في جيزان وحاصرها فارسلت سرية قليلة تتألف من «٤٠٠» في السيارات و «٢٠٠» في زورق من الزوارق البخارية ، وساروا لفك الحصار عن رجالي . ولكن في اثناء طريقهم الى جيزان كان الادريسي تغلب على رجالنا فيها وابرق لي يتملق بعد ذلك ، فابرقت اليه انه ان كان صادقاً في دعواه فيمكنه ان يراجع امير السرية التي ارسلتها وابرقت لامير السرية المتقدم بان لايحدث حرباً مع الادريسي. ولكن اراد الله ان يبطل كيد الكائدين فحدثت تأثيرات جوية لم يتمكن اللاسلكي من اخذ برقيتنا فلم تصل للادريسي ولكن الادريسي كان عازماً على الغدر فارسل القوى لتخريب طريق السيارات ومقاومة السرية القادمة فلم يصل امرنا للسرية بالتوقف وتقدمت فاحتلت جيزان وقضت على الفتنة فيها

فلما رأيت الموقف على هذا الشكل استوحشت وخشيت من مداخلة يحيى في هذا الامر فارسلت جنوداً اخرى قضت على الفتنة في سائر المقاطعة. ولما رأى يحيى ان الامر انتهى تنصل، وقد قبضت على كتب لبعض امرائه تنقض المعاهدة التي كانت بيننا و بينه ايام حكمني

في حادث «العرو» ثم نقض معاهدة تسليم المجرمين بيننا وبينه بامتناعه عن تسليم الادريسي . ولكنني لم اشأ فتح باب الشقاق معه فتركت الادريسي ليحيى بشرط ان يمنعه من اي مداخلة او عمل وان يبعده عن الحدود . ثم كتب الي يحيى يقول لي هؤلاء الادارسة اصدقاؤك واعداء لي فهلا انعمت عليهم وسددت حاجتهم فخصصت لهم مع ذلك مرتباً شهرياً قدره ٢٥٠٠ ريال محافظة عليهم رغم ما كان منهم على عادتنا مع سائر البيوت العربية . ثم امرت جندي بالرجوع من تلك الديار لاني ما كنت احب الشقاق مع الامام يحيى . فلما اخذ الجند يرجع الى بلاده وردتني برقية من يحيى يذكر قبيلة «يام» و يذكر وصول اهلها الى ابها لمقابلة ابن مساعد قائد الجند ، فلم يخطر لي ان يكون له مقاصد اخرى من مثل هذه المراجعة فاجبته ان لا غرض لنا في الولاية عليهم الا نجران والبادية ، نظراً لملاقاتهم بنا من قديم وحديث ونظراً لمصالح رعايانا انوي لعمل اتفاق على هذا الاساس ، ثم وردتني منه برقية اخرى بهذا الشأن اجبته عليها بوضوح انه لا يمكن ان نختلف نحن واياه على ما كان بيننا وبينه في السابق بشأنهم ، ثم ارسلت له وفداً حبسهم حقيقة مدة طويلة و بينهم خالد القرقني الذي يعرفه كثير منكم وقد قال لهم ان المعاهدة التي بيننا و بينه ان شاء عمل بها وان لم يشأ لم يعمل بها

وقد كتبت له بشأن الوفد وانهم لم يجرموا حتى يعاقبوا .

ولما رأيت ان الشر تفاقم ووصل الى هذا الحد امرت بارسال عشرة آلاف مقاتل ليرابطوا على الحدود استعداداً للطوارئ وبقوا هناك سبعة اشهر لم يأتوا باي عمل عدائي . لاني لا احب الحرب ولقد كان من دواعي صبرنا هذه المدة مع ما تكلفناه من النفقات اننا رأينا يحيى دخل في مفاوضات مع الانكليز من اجل النواحي التسع ، فلم نشأ ان نأتي بحركة توجب الضرر وتفسر على غير حقيقتها . ولكنه لم يقدر هذا الموقف منا فمضى في سبيله واتم اتفاقه مع الحكومة البريطانية وكان خلال ذلك يطاولنا و يخادعنا ولما ازداد الخلاف بيننا و بينه بشأن نجران و يام ، ومع انه لا حق له بهم وانهم يؤدون الزكاة لنا من قديم وحتى من زمن اجدادنا الاولين وكتبهم لا تزال محفوظة لدينا والمعاهدات بيننا و بينهم موجودة ولكن فضاً للنزاع اقترحت عليه ان تكون نجران بلداً محايداً بيننا و بينه واقترحت شروطاً لحيادها فاجاب بان يام من همدان وهمدان يمنية

فواعجباً هذا ابن شعلان ابن عمي (واشار اليه) واستطيع ان اجلبه الي ولكنه مقيم في سورية

و كثير من اهل سورية انفسهم من اليمن انزلهم فيها معاوية فهل يكون حجة ليحيى ليطالب بسوريا بدعوى انها يمانية

واخيراً بعد مراجعات طويلة اقترح علينا تحديد الحدود بيننا وان نعمل معاهدة لمدة عشرين سنة ونتعهد برفع الادارسة الى الزيدية

-و بعد ان اتفقنا على هذا واتفقنا على ارسال مندوبين لتثبيت ذلك عمل معنا عملاً قبيحاً لم اذكره والله الا الان ، وقد كتمته عن اخص رجالي وابناء عائلتي وذلك انه ارسل عبد الوهاب الادريسي واحتل بلاد العبادل وفيفاء و بني مالك من بلادي، فكتبت له اسأله عن هذا العمل فكان جوابه ملق وتملص ووعود ، وآخر الامر ابرق لي بانه لا يفعل معي الا ما يفعله الاخ مع اخيه والصديق مع صديقه وهكذا سلسلة حوادث له معي اخجل من ذكرها اذ لا يعملها انسان عنده مروءة ولا يقبل بها رجل ذو شرف وشيمة

لم اترك وسيلة للصلح والسلام الا فعلتها ولكني ما رأيت غير المحاولة

لذلك امرت ولي العهد ليتقدم بجنوده الى الامام ليستخلص البلاد التي غدر بها يحيى و يدافع عن بلادنا و كياننا وشرفنا وابرقت ليحيى باننا لا نريد الا السلم ولا نريد الحرب وان باب السلم لا يزال مفتوحا متى اراد ان يجنح له وان ينسحب من بلادنا ولا يتدخل بشؤوننا وهذا التدبير لم الجأ اليه الا مضطراً و بعد ان اعيتني جميع الوسائل، ولا اعذر امام الله ولا امام خلقه اذا لم اقم بواجب الدفاع

لنا اكثر من عشرة اشهر ونحن نقابل يحيى ونجادله وانتشر خبر ذلك في سائر الانحاء فلم يظهر من المسلمين من ملوكهم او امرائهم او احزابهم من يتقدم لاصلاح ذات البين او يطلع على حقيقة ما بيننا

ويعلم من الصادق ومن الكاذب . ولم يردنا غير برقيات التمني التي لا تنتج شيئاً » اه

اما الامام يحيى فقد فهم من المصادر القليلة التي تنقل أخباره انه أجاب على ما عمله ابن سعود بانه اي الامام يحيى ما كان ينتظر هذه المفاجأة باعلان الحرب . . . لان وفد المفاوضة اليمني لا يزال في (أبها) والمخابرة جارية لانهاء الشؤون المختلف عليها فهو يعد اعلان الحرب عليه من جانب ابن سعود اعتداء صريحاً

وعلى كل حال فانا نرجو وقد ذهبت الوفود الاسلامية واتصلت بالملكين ان تعود المفاوضة بينهما ويجري الاتفاق المرغوب فيه حفظاً لقوة العرب والاسلام وصوناً لكرامتهما

تم الكتاب



المحمديات

وهي سلسلة كتب صغيرة لمشاهير كتاب الغرب ، في سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

بعني بنشرها وطبعها :

محمد جمال — صاحب المكتبة الاهلية — في بيروت

١ — محمد — البطل

لاشهر كتاب الانجليز : توماس كارليل

عربه عن الانجليزية :

عمر ابو النصر

٢ – ماذا يجب ان تعرف ؟؟

عن محمد والاسلام

للـكاتب الافرنسي الشهير : هنري دسون

عربه عن الافرنسية : عمر ابو النصر

---

٣ – محمد نبي العرب

للاستاذ ارتر جيلمان ، من جامعة اكسفورد

« انى احب المسلم ، لانه لا يخجل من ر[illegible]
[illegible] »

– الجنرال كوردون -

عربه عن الانجليزية – عمر ابو النصر

بطل الريف

الامير عبد الكريم

مذكراته وتاريخه وحوادثه الحربية الاخيرة

بينه وبين الاسبان والافرنسيين

— عربه عن الافرنسية : عمر ابو النصر —

هرون الرشيد

اول كتاب من نوعه ، لاشهر خليفة من الخلفاء العباسيين

عني بترجمته عن الافرنسية :

عمر ابو النصر

تتولى طبعها ونشرها دارة مكتبة الاهلية في بيروت

تيمورلنك

اول كتاب من نوعه ، في اللغة العربيـــة

للـكاتب الانجليزي : هارولد لامب

عربه — الاستاذ عمر ابو النصر

ديوان

عمر بن ابي ربيعة

شاعر الهوى والشبــاب ، والغيــد الحسان

تتولى طبعهما ونشرهما ادارة المـكتبة الاهلية في بيروت